



سيغموند فرويد

انظر مقال التحليل النفسي الأستاذ موكسلي نقل الأستاذ حسن السلمان مقتطف مارس ص ٢٥٣ و أبريل ص ٢٦٥

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والتسعين

٣ ربيع اول سنة ١٣٦٠

١ ابريل سنة ١٩٤١

سر طاقة الشمس

وأدوار زيادتها ونقصانها

لأحياة على الارض ولا حركة بغير أشعة الشمس . فما مصدر طاقتها ؟ ومتى بدأت تولدها وتخزنها ؟ والى متى تستطيع أن تمضي تمدنا بها ؟ وكيف نشأت شمسنما وما يكون مصيرها ومصير أرضنا بعد أن تنفد مصادر طاقتها

قيس مقدار مايقع عمودياً من اشعاع الشمس على مساحة سنتيمتر مربع من سطح الارض في الثانية فإذا هو ١٣٥٠.٠٠٠ ارج (erg) وذلك بعد حساب مايمتصه الهواء في خلال اختراق الأشعة له . فإذا حوّلنا هذا القدر من الطاقة الشمسية الى مايقابله من طاقة الفحم ، وجدنا أن أرضاً مساحتها بضع مائة قدم مربعة تتلقى من طاقة الشمس في يوم عادي قدرأ يعادل الطاقة المستخرجة من فحم ثمنه بضعة جنيهات . وغني عن البيان أن الشمس تتلقى جزءاً صغيراً جداً من مجموع ما تشعه الشمس من طاقة في الفضاء

وتقدّر حرارة سطح الشمس بنحو ستة آلاف درجة . وليس في العالم مادة لا تتحول غازية بفعل حرارة هذه شدتها . ولذلك فجميع العناصر على سطح الشمس في حالة غازية . وتدل مباحث أخرى رياضية وتجريبية على أن حرارة قلب الشمس تبلغ عشرين مليون درجة أو أكثر قليلاً . ولو كان في الوسع أن تصنع مدفأة صغيرة لا يصهر معدنها بفعل الحرارة العالية وولدت

فيها شعلَةٌ حرارتُها من رتبة حرارة قلب الشمس ، لكفت حرارة هذه الشعلة لاشعال كل مايقع حول المدفأة في دائرة نصف قطرها مائة ميل

ومن الخطأ أن نظن أن الغازات في الشمس لطيفة مخلخلة البنيان . فالغازات التي تتناولها على سطح الأرض أطف وأقل كثافة من السوائل والجوامد . ولكن الضغط في باطن الشمس عال جداً يبلغ عشرة آلاف مليون جو . في حالة كهذه تضغط الغازات حتى لقد تفوق في كثافتها كثافة السوائل والجوامد المألوفة أي إنها في حالة طبيعية غير مألوفة على سطح الأرض

وشدة الضغط، وقبول الغازات للانضغاط، يفضيان الى زيادة الكثافة في مادة الشمس زيادة كبيرة سرية وفقاً للانتقال من سطح الشمس الى قلبها . وقد حسب فريق من العلماء ان كثافة قلب الشمس أعظم من كثافة الشمس جملة واحدة نحو خمسين ضعفاً . ولذلك يعتبر العلماء أن كثافة الغازات في قلب الشمس تفوق كثافة الزئبق ستة أضعاف . ويقابل هذا ان غاز طبقات سطح الشمس لطيفة ، والضغط الجوي في جو الشمس — Chromosphere وهو غلافها الخارجي — لا يبلغ أكثر من جزء من الف من ضغط هواء الأرض

فعند ما نسأل ما مصدر حرارة الشمس ، متذكرين درجات هذه الحرارة العالية ، نعلم أن عمل الاحتراق المعروف على سطح الأرض لا يكفي لتوليد هذه الحرارة العالية ولا لتوليدها مدة طويلة كافية تتفق وعمر الشمس . فعند ما نحرق غراماً من الفحم نولد طاقة لا تزيد على جزء من خمس مائة الف جزء من الطاقة التي ولدها غرام من كتلة الشمس في خلال تاريخها . ولو كانت الشمس من الفحم وبدأت تشتعل في عصر الفراعون الأول لما كانت الآن إلا رماداً بارداً والحقيقة أن فكرة الاحتراق نفسها لا تتفق وأحوال الشمس . ففي طيف الشمس خطأ الكربون والا كسجين وهما عنصران الاحتراق . ولكن حرارة الشمس أعلى من ان تدع مجالاً لاحتراق هذين العنصرين . فنحن نفهم الاحتراق على انه تفاعل المادة القابلة للاحتراق مع الاوكسجين فتتولد من التفاعل مواد مركبة وتنطلق طاقة حرارة . ولكن شدة الحرارة في كتلة الشمس تحل المركبات المعقدة الى عناصرها . فبخار الماء ينحل ايدروجيناً وأوكسجيناً وثاني اكسيد الكربون ينحل كربوناً وأوكسجيناً . فالغازات التي تتقوم بها كتلة الشمس يجب ان تكون عناصر لا مركبات

وقد عجز علم الطبيعة في القرن الماضي عن تفسير مشكلة طاقة الشمس وسرها . ولكن كشف ظاهرة انحلال المادة الاشعاعي، واحتمال تحويل العناصر بعضها الى بعض، اطلقا ضوءاً على هذا

المر الغامض . ذلك ان العلم الحديث أبان أن في باطن نوى الذرات تختبئ مقادير عظيمة من الطاقة

هذه الطاقة الذرية sub-atomic التي كشفت أولاً منطلقاً من تلقاء نفسها من ذرات العناصر المشعة ، تنطلق في أحوال خاصة في تيار عظيم تفوق طاقته ملايين الأضعاف طاقة التفاعلات الكيميائية المعروفة كنفثال الاحتراق . وإذا كانت الشمس المكونة من خم مشتمل تتحول رماداً في خمسين قرناً أو ستين ، فإنها وهي تستمد طاقتها من العالم الذري تستطيع ان تمضي في اطلاق طاقتها العظيمة ملايين والوف الملايين من السنين

إلا أننا نعلم أن العناصر المشعة التي من قبيل الاورانيوم والثوريوم ليست على جانب من الوفرة في جسم الشمس يفسر هذه الطاقة العظيمة التي تنطلق منها . ولذلك لا مفر لنا من القول بأن طاقة الشمس مردّها الى تحوّل العناصر العادية المستقرة، الى عناصر مشعة فإهي الأساليب المتبعة في هذا الأتون الكوني ، حيث يحدث تحول واسع النطاق في نوى الذرات فتنتطلق هذه المقادير العظيمة من الطاقة ؟

كان الجواب الاول عن هذا السؤال من مقترحات باحثين شابين في سنة ١٩٢٩ احدهما بدعى روبرت أنكنسن والثاني فرتز هوترمانز . ومؤدى رأيهما ان الاصطدامات التي تقع في قلب الشمس بين نوى الذرات المتطايّرة ، في جوّ عالي الحرارة ، تحدث تحولاً في هذه النوى من نمط التحوّل الذي تحدّثه القذائف التي يطلقها العلماء بوسائلهم القاصرة على نوى الذرات في معامل البحث على سطح الأرض

ويجب ان نذكر ان العناصر في جوّ هذه حرارته الشديدة ، ليست مجموعة من الذرات والحزيّات ، بل هي نوى ذرات جردت من كهرياتها وكهريبات فصلت بعضها بعض . ونحن نعلم ان الكهريبات تنزع من النوى اذا كانت الحرارة اقل من حرارة باطن الشمس . فصورة باطن الشمس حيث يقع التفاعل بين النوى مولداً مقادير عظيمة من الطاقة ، هي صورة نوى مجرّدة من كهرياتها وكهريبات منفصلة بعضها من بعض وجميعها تتحرك هنا وهناك بغير ضابط او نظام ودوام الاصطدامات بين النوى في باطن الشمس بفعل الحرارة العالية والحركة ، يجعل تأثير الاصطدام اعظم واقوى من طريقة قذف النوى في معمل البحث بقذائف شتى . فاذا اخذنا قدراً من مزيج الايدروجين والليثيوم وأحميناه الى درجة وافية فإن الاصطدامات الغفيفة بين دقائق هذين العنصرين تستمر حتى تتحوّل جميع النوى الى هليوم . وفي هذه الحالة ينطلق

من النوى المتحوّلة ، في أثناء تحوّلها ، قدر عظيم من الطاقة يكفل استمرار حمّالة المزيج الى ان تنفذ النوى المعرّضة لهذا التحوّل

فكل الحاجة الى رفع درجة حرارة المزيج حتى يبدأ التفاعل

والغالب ان الشمس بدأت عمرها كتلة ضخمة من غاز على درجة واطئة من الحرارة . وان حرارتها ازدادت رويداً رويداً بتأثير التجاذب بين دقائقها ، وبتجاذبها تقلصت وكان من أثر تقلصها تولد حرارة جديدة في باطنها ، فلما بلغت حرارة باطن هذه الكتلة الغازية ، درجة كافية لاجداث التفاعل المتقدم وصفه بين النوى ، كفي انطلاق الطاقة الذرية من النوى المتحوّلة بتأثير هذا التفاعل ، لمنع الشمس من تقلص آخر ، ولاستمرار التفاعل بين النوى ، فبلغت الشمس حالتها المستقرة التي هي عليها الآن

ان طبقات الشمس الخارجية ، تضبط انطلاق الطاقة من باطنها . فاذا حدث ، لسبب ما ، ان ضعف التفاعل بين النوى المولد للطاقة ، أعقبه تقلص في مجموع كتلة الشمس ، ينشأ عن التقلص زيادة الحرارة ، — لأن التقلص يفضي الى زيادة معدل الاصطدام بين النوى — فيعود انطلاق الطاقة الى معدله السابق . واذا حدث لسبب ما ، ان زاد التفاعل بين النوى وزاد مقدار الطاقة المنطلقة ، أعقب ذلك تمدد ، ينشأ عنه زيادة المشع من طاقة الشمس وهبوط في معدل الاصطدام بين النوى ، فيقل التفاعل ويهبط مقدار الطاقة المنطلقة الى معدله السابق غير ان التفاعل بين الايدروجين والليثيوم سريع جداً فلا يكفي منبعاً رئيساً لطاقة الشمس . لأن تحوّل الليثيوم والايدروجين الى هليوم لا يستغرق اكثر من بضع ثوانٍ اذا كانت الحرارة عشرين مليون درجة . يقابل هذا ان التفاعل بين البروتونات ونوى الأكسجين بطيء جداً فلا يفي في تفسير حرارة الشمس

أما التفاعل الذي يرجع اليه معظم ما يتولد في الشمس وما ينطلق منها من طاقة فقد كشفه الدكتور هانز بيث Bethe بجامعة كورنيل والدكتور كارل فون فيساكر وهو لا ينحصر في تفاعل واحد ولكنه سلسلة من التحولات حلقاتها مرتبطة بعضها ببعض ، أي انه تفاعل مسلسل فاذا كان مقدار الايدروجين وافياً توقف معدل التحول على نسبة الكربون الى النتروجين في كتلة الشمس . واذا سلمنا بأن نسبة الكربون في كتلة الشمس تبلغ واحداً في المائة — بحسب علم الفلك الطبيعي — فالتا نجد أن « بيث » استطاع أن يثبت أن مقدار الطاقة

المنطلقة من الشمس على اعتبار ان معدل الحرارة ٢٠ مليون درجة ، يطابق المقدار المنطلق منها فعلاً. ولكن اذا فرض ان حرارة قلب الشمس ٥٠ مليون درجة فان الدورة تستغرق خمسة ملايين من السنين اي أن كل نواة من الكربون او النتروجين دخلت في هذا التفاعل تخرج منه ثانية بعد هذا الزمن وكأنها لم تمس

فإذا يفنظر من تحول في شمسنا نتيجة لاستنفاد وقودها الايدروجيني ؟ يبدو لأول وهلة أن هذا يقضي الى نقص مستمر في مقدار الطاقة المتولدة فيها . وهذا يعني أن شمسنا سالكه طريقاً يقضي بها رويداً رويداً الى القتام والبرودة

ولكن بحث العلامة « جامو Gamow » يدل على ان الشمس على الرغم مما تقدم سالكة الآن طريقاً يقضي بها رويداً رويداً الى زيادة الحرارة والاشراق

ذلك ان معدل التحول في نوى الذرات لا يتوقف على مقدار العنصر المتفاعل (وهو الايدروجين) بل على درجة حرارة التفاعل كذلك . ولا يخفى ان الهليوم الذي يتولد في باطن الشمس نتيجة لتفاعل الايدروجين ، أكتشف من الايدروجين وأقل شفوفاً منه . فالطاقة السالكة طريقها من باطن الشمس الى سطحها الاشعاع ، تجد في الهليوم ستاراً اختراقه أشق عليها من اختراق ستار الايدروجين فيزيد مجموع الطاقة في باطن الشمس . وهذا يقضي بدوره الى زيادة معدل حرارة الشمس والى زيادة معدل التفاعل النووي وزيادة معدل الطاقة المتولدة من هذا التفاعل . ولا بد من أن يزيد على الزمن رغم ستار الهليوم ، مقدار الطاقة المنطلق من سطح الشمس لكثرة الخزون في باطنها . وبعد انقضاء زمن معين يزداد هذا المقدار مائة ضعف في حين أن مقدار الايدروجين في كتلة الشمس يكون قد قارب النفاد

ولكن هذه الحالة لا تحدث تغييراً في الحرارة المتولدة والمنطلقة فحسب بل تحدث تغييراً في حجم الشمس فيزيد حجمها - أولاً - لأن زيادة حرارة الباطن تقضي الى زيادة الحجم فيزيد الاشعاع ويقل التفاعل — ثم بعد ذلك يبدأ حجمها في الضمور

وزيادة حرارة الشمس بمقدار مائة ضعف يرفع معدل حرارة سطح الارض الى درجة غليان الماء . واذا كانت الصخور لا تنصهر عند ما تبلغ هذه الحرارة ، فالبحار والمحيطات تبلغ درجة الغليان

من المتعذر علينا ان نتصور حياً ما باقياً على سطح الارض في مثل هذه الاحوال . ولكن يجب ان نذكر ان التغير في اشعاع الشمس بطيء جداً . يدل على ذلك ان في اثناء العصور

الجيولوجية المعروفة ، خُسِرت الشمس مقدار واحدٍ في المائة من ايدروجينها ، ولكنَّ معدل حرارة الأرض لم يزد الاَّ بضع درجات

غير ان الارتفاع البطيء المتدرج في معدل حرارة سطح الأرض ، يحتمل ان يصحبه تطوُّر في عالم الاحياء بحيث تصبح الاحياء قادرة على العيش في بيئة حرارتها أعلى من حرارة بيئتها الحالية . ولكن لما كانت الاحياء العليا — كما نعرفها — طاجزة عن العيش في ماء غالٍ ، فالغالب ان ارتفاع الحرارة يصحبه تنكُّسٌ وانحطاط في انواع الأحياء . ولذلك يرجح ان تكون الأنواع العليا من الأحياء قد اندثرت من الأرض قبل ان تبلغ حرارة سطحها على المعدل درجة الغليان

ومتى استنفدت الشمس آخر ايدروجينها تغدو وهي مجردة من مصادر الطاقة الذرية ، وعندئذٍ تبدأ في التقلُّص . ولكن الحرارة الناشئة عن التقلُّص لا تكفي لبعث الروح فيها بعثاً جديداً ، وهي اذا قيسَت بالطاقة الذرية لم تكن شيئاً مذكوراً . وعندئذٍ تبدأ الشمس في الانحطاط اي في الضمور وضعف الاشراق . وعندئذٍ تشرف على «الموت»

وقد تتصور الشمس في هذه المرتبة من تحوُّلها ، كتلةً صخرية باردة . ولكن هذا تصوُّر خاطيء . والغالب ان حالة باطن الشمس تكون حينئذٍ على غير ما نعهدهُ من احوال المادة على سطح الأرض

ان الغازات تعنو للضغط لأن الفراغ بين ذرَّةٍ واخرى ، وجزئيٍّ وآخر ، فراغ كبير جداً وبخاصة بالقياس الى احجام الذرَّات . وعندما تنفخ الهواء في عجلة سيارة لا تضغط جزيئات الهواء نفسها وانما تنقل المسافات التي تفصل بينها . ولكن اذا مضينا في ضغط الهواء ، ولا سيما اذا برَّدنا الهواء المضغوط تحوُّل سائلاً وعندئذٍ تعجز زيادة الضغط عن نقص حجم السائل نقصاً يذكر . أما السوائل والجوامد فذراتها وجزيئاتها قريب بعضها من بعض قريباً متفاوتاً وهذا سر المشقة في ضغطها ونقص حجمها

على اننا نعلم أن الذرات نفسها فراغ على الأكثر ، وان معظم كتلة الذرَّة مركز في نواتها . والكهبريات واقعة في نطاق سديمي حول النواة على أبعاد كبيرة جداً بالقياس الى حجم النواة والكهبريات نفسها ، حتى لتبلغ مسافة الكهبريات في بعض الذرات الوفاً من أضعاف حجم النواة نفسها

ولكن بالضغط الشديد ، أو بالحرارة العظيمة والضغط الشديد ، قد تنحشك الذرات فتشغل حيزاً من المكان أقل كثيراً من الحيز الذي تشغله وهي في حالتها الطبيعية . أي أن الكهبريات البعيدة عن النواة مثلاً تتداخل في مناطق الكهبريات القريبة من النواة وكذلك تصبح المادة المحشوكة على هذا الوجه كثيفة جداً حتى لقد وزن البوصة المسكبة

منها — كما في رقيق الشمري — ٦٢٠ طنناً ، وحتى اذا ذهب رجل يبلغ وزنه على سطح الارض ١٥٠ رطلاً الى سطح نجم من هذا القبيل ووقف عليه بلغ وزنه على سطحه ٢٥٠ ألف طن . ويبلغ من شدة جذب كتلة النجم له ان يضغط وينبسط كأنه

واقع تحت كتلة بارجنين ضخمتين

وقد حسب العلماء مبلغ الضغط الذي يفضي الى هذه الحالة غير المألوفة من حالات المادة ، فاذا هي ١٥٠ مليون جو ، يقابلها الضغط في مركز الارض فاذا هو لا يزيد على ٢٢ مليون ضغط . أي ان كتلة الارض وضغطها على مركز الارض لا يكفي لضغط الذرات وحشكها على النحو المتقدم ولكن

كتلة المشتري تفوق كتلة الارض ٣١٧ ضعفاً . فالضغط الواقع على مركزه قريب جداً من الضغط اللازم لتحويل المادة الى هذه الحالة العجيبة . واذا كانت الذرات في باطن المشتري لم تضغط وتتشك فانها قريبة من ذلك الحد بحيث لو زادت كتلتها الزيادة اللازمة لصغر حجمه وزادت كثافته وكل جسم تزيد كتلته على كتلة

المشتري لا بد ان يفضي ضغط كتلته الى انضغاط ذراته فيقصر قطره ويصغر حجمه بغير ان تقل كتلته وكل ما هنالك ان معدل كثافته يزيد

فالمشتري أكبر جسم من المادة الباردة يمكن ان يكون

والشمس عند ما تبلغ

مرتبة « الموت » الكوني اي عندما يضم حجمها ويقل اشراقها ، تكون أصغر حجماً من المشتري مع أنها أعظم كتلة منه

وقطرها حينئذ يكون من قبيل قطر الارض فتوضع في طبقة « الأقزام البيض » وقد دعيت اقزاماً لصغر حجمها ووصفت بالبياض لشدة تألق سطحها وارتفاع حرارتها البالغة درجة البياض

نحيل حضرات القراء على مقالين في هذا الموضوع أحدهما مقال : نجوم الأقزام البيض مقتطف مارس ١٩٤٠ ص ٢٥٥ والآخرفصل : آفاق الكون ، حجمه وحرارة نجومه وهو الفصل الاول في كتاب (آفاق العلم الحديث)

أثر الرياضة البدنية

في تكوين الخلق



لحضرة صاحب المعالي احمد محمد حسنين باشا
رئيس الديوان الملكي

أيها السادة

كان مزماً أن التقي بحضراتكم في هذا الحرم العالمي في يوم من أيام الشهر المقبل لأكون آخر متحدث في موسم الاتحاد الانكليزي المصري الثقافي لهذا العام ، غير ان الاتحاد شاء ان يحجمني أول من يفتح برنامج محاضراته . وبهذا قصر علي الطريق فما بقي لي الوقت الذي يستلزمه بحث موضوع عميق كهذا البحث . فان رأيتم ان حديثي اليوم غير موفى وانه ظاهرة فيه العجلة وانه مجرد خطوط وحدود اكثر مما هو جوهر ولباب فمعدرة كريمة

وأرى لزماً عليّ قبل أن ألقى كلمتي هذه ان اشكر هيئة الاتحاد الموقرة اجزل الشكر أن أتاحت لي هذه الفرصة السعيدة فرصة التحدث اليكم في الرياضة والاخلاق لعل في هذا الحديث بعض فوائد ينتفع بها شباب مصر الناهضة وخاصة في مثل هذا الظرف الدقيق الذي تجتازه بلادنا التاريخية العزيزة والذي تشهد فيه عن بعد وقرب براكين الحرب تتفجر فوق بقاع الأرض وتنتقل حممها المستعرة من ميدان الى ميدان والذي نستطيع ان نقف منه على مدى ما يمكن لذلك السلاح المستتر وراء السيف والمدفع ان يؤدي من واجبات وفروض وأعني بهذا السلاح وهو عندي أقوى الأسلحة وأمضاها : الاخلاق

ولست بمطيل الكلام في موضوع بديهي وليس منكم من يجمله . ألا وهو شأن الاخلاق في بناء الأمم وأثرها في تدعيم أركانها وتشديد مجدها . فذلك امر معروف سجله التاريخ في صحفه ولم يعد يحتاج الى بيان

ولقد عمد علماء الاخلاق والاجتماع والفلسفة الى التنافس في وضع الكتب الخاصة بالاخلاق ونشرها بين أبناء احيالهم وتحايلوا على استنباط اسهل الطرق التي تؤدي الى ان يفيد النشء بها ويتأثر

ورأيت هذه الموضوعات رجال التربية والتعليم فسارعوا الى تضمينها ببرامج التدقيق في المدارس على أنها عنصر رئيسي في مناهج التعليم المدرسي يبذل الاساتذة جهدهم في بث هذه النظريات في أنفس أبنائهم وغرس أصولها في عقولهم من طرق شتى

التمسوا في سبيل ذلك الكتب الملائى بالنصائح والمثل العليا والمؤلفات الفياضة بالقصص التاريخية والحياوية والمصنفات المحتوية رسالة الكتب السماوية في الاخلاق. ملتزمة في ذلك الحظ والترغيب تارة والوعيد والتخويف تارة أخرى

وكان الرأي الاساسي في هذا الموضوع أن يزود النشء بهذه الدروس النظرية الاخلاقية حتى اذا اكمل الفتى دراسته واوشك أن يدخل ميدان الحياة افاد مما تلقن من هذه الدراسات العقلية واستطاع أن يطبقهما على شؤون الحياة تطبيقاً عملياً

جاء الانكليز إليها السادة آخر الأمر وكانوا قد أخذوا بما أخذت به مدارس غيرهم من البلاد متبعين نفس الطريق طريق الكتاب والمدرس في تلقين أصول الاخلاق للنشء. جاء الانكليز وهم قوم عمليون طبعوا على تبسيط الطرق ليسهل ادراك الغايات وفاجأوا العالم المتمدن باكتشاف جديد في هذا الموضوع اكتشاف ما اكاد اسميه علماً جديداً ومايسميه آخرون فتحاً جديداً في عالم التربية القومية. ذلك هو تطبيق أصول الاخلاق منذ الصغر تطبيقاً عملياً على شؤون الحياة متخذين من ميدان الالعب الرياضية الحقل التجريبي لهذا الاعداد النفسي الشاق ولقد هداهم الى هذا الاكتشاف أمران : —

أولهما . قلة مارأوا من فوائد ايجابية للدراسات الاخلاقية النظرية . فالأخذ بها يكاد ينساها عندما يصدم بالصخرة الاولى من صخور الحياة

وثانيهما . أن نفس النشء الصغير لينة كقطعة العجين صالحة أيما صلاح للتأثر وهي في تلك السن المبكرة بكل مايراد لها أن تتأثر له والشكل على كل مايجب لها أن تتشكل عليه . فان أنت أردتها شيطناً فهي شيطان . وان أنت احببت أن تكون ملكاً فهي ملك

أثر الانكليز اذن أن تدرس الاخلاق دراسة عملية منذ الصغر واتخذوا ميدان الالعب الرياضية ليكون الحقل التدريبي لهذه الدراسة الاخلاقية . وبذلك اختصروا طريقاً طويلة ووفروا سنين عدة ومكنوا لأبنائهم اذا خرجوا من أبواب المدارس ليدخلوا أبواب الحياة أن يكونوا مزودين سلفاً بالسلاح الذي يخوضون به غمار الحياة سلاح الأخلاق وهو كما قلت أقوى الأسلحة وأمضاه

لنتنقل الآن إليها السادة الى ميادين الالعب. لنرى — أولاً ماذا يفيد منها الالعب. ولنرى — ثانياً — كيف انها تمثل في صورة مصغرة ميادين هذه الحياة

ها نحن أولاء نرى بين أيدينا طريقين للألعاب طريق الألعاب الفردية وطريق ألعاب الجماعة فالميدان الأول — ميدان الألعاب الفردية وأعني بها الألعاب التي يواجه فيها اللاعب الفرد خصماً واحداً هذه الألعاب تروّض اللاعب على الشجاعة والصبر وبذل الجهد والجرأة واستخدام الفكر وحسن التصرف وتجنب اليأس اذا غلب والتواضع حين ينتصر والاعتماد على النفس وخلق الأمل في الصدر . ثم انكم ترون — أيها السادة — كيف يتعلم الفرد — في هذا الميدان — أقدس الواجبات الاجتماعية التي ترسم له حدود خصمه . وتعلمه أنه خصم شريف وليس عدواً . فهو اذا وقع في أثناء اللعب أنهضه واذا جرح ضمه واذا انتصر عليه صالحه بقلب صاف لا يعرف الضغن ولا الشبهة

اذا رأيتم أيها السادة كل هذه الاخلاق الفاضلة تثبت وتزدهر وتقطف ناضجة في الحقل الرياضي فاذكروا ان ثمت صفات عالية أخرى مخفية وراء جدران الملعب الرياضي وان أثرها في خلق الرجولة المبكرة لا يقل عن أثر الاخلاق التي لمستوها في شيء وأعني بهذه الصفات يتطبع بها النشء طبعاً من تلقاء نفسه في أثناء تحضيره للاعبه . انه ليروض نفسه على الحد من رغباتها والتسكين من قلقها والكبح من شهواتها والنضحية بما تنزع اليه من ملذات وصبوات ترون أيها السادة — أن كل خلق من هذه الأخلاق وكل صفة من تلك الصفات انما هي هي بعينها الأخلاق والصفات التي ينشدها المجتمع في المثل الانساني الكامل . فاذا ما مرن عليها اللاعب وهو صغير وتأثرت بها نفسه وهي لينة وفهم روحها منذ حداثة واحاطت به جوانبها وهو بعد في سن مبكرة لم بعد ثمت شك في أن يصبح هذا اللاعب حين يكبر الرجل الكامل المرتجى . ولن يتغير منه خلق ولا صفة وهو ماضٍ في طريق الحياة فهي ثابتة في نفسه متمكنة من طبعه . انما الذي يتغير هو محيط حياته فقط . ولن يكون في نظره سوى الميدان الرياضي القديم اتسعت ارجاؤه وتشعبت نواحيه

ذاكم — أيها السادة — ميدان الألعاب الفردية

فلنتقل بعد ذلك الى ميدان ألعاب الفرق أو ألعاب الجماعة . ولن مرة أخرى ما يفيد منها اللاعب ومدى آثارها في تكوين الخلق

ويجب ألا يغيب عنا — قبل كل شيء — ان كل ما يتأثر به اللاعب الفردي انما هو متوافر للاعب الجماعة . ثم ماذا تكون ألعاب الجماعة ؟ ان هذه الألعاب حركة مشتركة وأداء مشترك وعمل موحد واذن فمثل هذا النوع من اللعب عبارة عن تنظيم دقيق لعلاقة اللاعب بفرقه . كما أنه تنظيم دقيق لعلاقة اللاعب بخصمه وفي هذا الميدان يتمحي الفرد أمام الفريق ويتمحي الفريق أمام الغاية الكبرى من اللعب . ولكن ليس معنى ذلك قناء الشخصيات الالعبة

بل ان معناه تحديد عمل هذه الشخصية وتنظيم خطاها وتعيين وظيفتها . فاللاعب المنظم يخلق أحسن الفرص ويهيئ أنسب الظروف لظهور مقدرة اللاعب . ذلك لأنه يجعل عمله ومجهوده مشتبكاً اشتباكاً وثيقاً مع عمل فريقه ومجهوده .

وهكذا — في مثل هذا الميدان أيها السادة — تنكر الذات كما ترون وتحمل المسؤولية عن طيب خاطر وينظم عمل الجماعة بين أفرادها من ناحية وبينها وبين خصومها من ناحية أخرى وتشيع روح التضامن القوي ويتجلى مظهر التعاون الوثيق في أروع الصور

فلا تعجبوا إذن أيها السادة اذا رأيتم بلاد هذه الامبراطورية كلها تهب هبة رجل واحد تحمل السلاح دفاعاً عن مثلها المشتركة العليا . انما ذلك وحي الملاعب الرياضية الذي بدأ بالفصل المدرسي ثم بالمدرسة ثم بالجامعة ينبعث في الأيام الشداد يأخذ يذكر من جديد بأن التضامن والمسؤولية هما الدين القومي لكل بريطاني لزام ان تؤدي فرائضه عندما يدق ناقوس الخطر

مع هذا كله ، لم يترك الانكليز ميدان اللعب يوجه اللاعب الوجهة التي يراها من غير قيد ولم يتركوا كذلك للاعب حرية الافادة من اللعب بلا ضابط بل انهم حددوا هذه الحرية بمحدد وفرضوا على الميدان قوانين . وركزوا الألعاب على قواعد واحاطوا اللاعبين بقيود أدبية قد تكون في كثير من الاحوال مسرفة في القسوة وجعلوا عماد ذلك التشريع الفني : الأخلاق

فعلوا ذلك أيها السادة وبالغوا فيه كما سترون حتى لقد استهدفوا من أجله لتثديد أكثر البلاد . وما ذلك الا لأن تلك البلاد لم تكن تفهم أول الأمر من أسرار الروح الرياضية ما فهمه الانكليز . ولعلها فهمته اليوم حق الفهم . وفهمت ضمناً أن هذا الشعب العملي كان على حق حينما عنى بالألعاب هذه العناية كلها . وحين احلها من برامج تعليمه المحل الأول . وحين لم يعتبرها كما يزال يعتبرها كثير من الناس ميادين هو مبتذل . وإنها مضيعة للوقت ومعينة على بلادة الذهن . بل ومفسدة للأخلاق أيضاً

ولنرى الآن ماهي تلك القيود والقوانين التي شرعتها التقاليد الرياضية الانكليزية واحاطت بها الميادين واللاعبين . ولست بذاك نصوصاً ولا مواد بل اني سأسوق بعض حوادث . وقع شيء منها لي وشيء لفيري . وأشياء عامة أخرى . وأرجو أن يكون فيها غناء . وان تستخلصوا منها مدى تقدير القوم لهذه الألعاب وتقديراً يكاد يتسامى الى مقام التقديس

فقد حدث اني لما كنت ملتحقاً بالفريق الثاني لكرة القدم بكلتي اكسفورد ان استقرت الكرة يوماً بين قديمي وأنا قريب من المرمى . فأوعز اليّ رئيس الفرقة ألا أمس الكرة وأن أدعها لزميلي الذي كان عن يميني . فلم أفعل وسددت الكرة نحو المرمى ولكنها لم تصب الهدف وفي أثناء الراحة أقبل رئيس الفرقة عليّ وأخبرني اني أخطأت في عدم الاستماع اليه ولفتني الى

ألا أخالف أمره مرة أخرى. واتفق في أثناء الشوط الثاني أن استقرت الكرة ثانية بين قديمي في اللحظة التي كنت أواجه الهدف . فأوعز إليّ الرئيس — كما فعل أول مرة — أن أتركها لزميل آخر فلم أستمع لرأيه . وضربت الكرة ضربة موفقة فأصابت الهدف . وفرحت إنما فرح . وكنت إذ ذاك مرشحاً لأن أتقل من الفريق الثاني إلى الفريق الأول للكلية . وقدرت أنني لا شك مدرك هذه الترقية وخاصة بعد أن أصبت الهدف ونصرت فريقى . ولكن شدا ما كان عجبى ودهشتى حينما ناداني الرئيس بعد انتهاء اللعب وأخبرني أنه يأسف أولاً لعدم اطاعتي للأمر في كلنا الحاليين . ويأسف ثانياً لأن يرى نفسه مضطراً للاستغناء عني حتى في الفريق الثاني . فجادلته محتجاً بأنى في المرة الثانية أصبت الهدف . وبفضلي انتصر الفريق . فقال لي بصوت هادئ متزن « قد يكون الانتصار رغبتنا الشديدة في اللعب . ولكن قبل ذلك يحجب النظام »

وحدث في أثناء المباريات الأولمبية التي أقيمت بمدينة استكهولم سنة ١٩١٦ أن كان بين أفراد فريق للالعاب الرياضية عداء ماهر ملأت شهرته الأسماع وأنهر الصحف لما أبدى في فنه من تفوق بعد تفوق . وكان مزماً بالطبع أن تشتبك الفرقة في المباراة الدولية وكان مقدراً كذلك أن يأتي هذا العداء بنتائج ترفع من شأن فرقته وبلاده وكان متحماً على أعضاء هذا الفريق أن يكونوا في مخادعهم في تمام الساعة العاشرة ليلاً . ولكن لأمر ما تأخر هذا العداء في إحدى الليالي نصف ساعة عن الموعد المقرر للنوم . فما كان من رئيس الفرقة إلا أن أعاده فوراً إلى بلاده على ظهر أول باخرة أبحرت إليها

وعلكم تعلمون أيها السادة أن طالب العلم في جامعة أكسفورد أو كمبرج ليعتز جد الاعتزاز إذا ما اختارته جامعته لتمثيلها في لعبة من الألعاب الرياضية . وليس من عجب أن يجالجه وهو الذي يمثل نحواً من ثلاثة آلاف طالب أو يزيد شعور خفي يبطولته الرياضة لتفوقه في هذه اللعبة على أقرانه أجمعين . ولكن هذا الانتخاب الاجتماعي لا يكفي لتمتع الطالب بشرف المباراة إذا أعوزه جانب ظاهر أو خفي من جوانب الرجولة الحققة ولا يتردد المسؤولون عن الأمر عن التضيحية به والتخيلية بينه وبين النزول إلى ميدان اللعب مهما يكن تفوقه الرياضي والثقة التامة بانتصاره

فلقد حدث يوماً في جامعة أكسفورد أن كان أحد الطلبة مرشحاً لتمثيل جامعته في لعبة الكركت . ولم يشك أحد منا في أن لهذا الطالب زميلاً منافساً أو في احتمال استبداله بآخر لأمر ما . نظراً لما كان يمتاز به في هذه اللعبة امتيازاً كبيراً . واتفق في أثناء مباراة تجريبية أقيمت قبل اللعب لانتخاب الفريق الذي يمثل الجامعة أن جاء صاحبنا متأخراً بعض الوقت عن

بدء اللعب . فقد كان متعباً من جراء سهرة اضطرته الى ان يطيل في النوم اكثر مما يجب فما كان من رئيس الفرق الا ان نحاه عن اللعب واستبدل به آخر . وكان القانون الذي اعتمد عليه في هذا الحكم الجائر قوله في لهجة حادة « اذا لم تكن تقدر المسؤولية في اللعب التجريبي فلا يمكن ان اعتمد عليك اذا ما كنت ممثلاً للجامعة يوماً ما »

انظروا الى ناحية اخرى في هذا الموضوع ايها السادة وقعت لي في حلبة السلاح . فقد كنت اللاعب زميلاً لي في الجامعة فأصبت اصابة لم يظن اليها الحكم . فرّبها كريماً فدهش صاحبي وهمهم في اثناء اللعب . وقال « ولكنك اصبتني » قلت له « ان الحكم لم يظن لما أصبت » . واسترحته وماكدنا نبدأ الدورة الثانية حتى فتح صدره غير مدافع فأصبت طبعاً . فقال « لقد أخذت حقك . هيا اذن تم اللعب »

ايها السادة : ما شبه ميادين الحياة بميادين الالعب كما قلت بل انها هي بعينها تلك الميادين الرياضية في صورة أوسع وارجاء أفسح . وما نحن الرجال — في كل ما نضرب فيه ونتحايل ونشط في مناكب الارض الا اولئك الصبية او التلاميذ وهم ينشطون ويتحايلون ويتواثبون في ميادين الالعب . ان كل ما يعرض لنا في طرق هذه الحياة من شدة وبسر . وضيق وفرج . ونجاح وفشل . انما عرض لنا يوماً في صورة مصفرة في ميادين الالعب . وان كل ما افدناه من تلك الميادين الرياضية من صفات واخلاق انما هو تراث معنوي مستقر في اعماق النفس يظهر اثره في الحوادث فيعدنا بالرأي وبلهنا الحكمة ويعتقنا الهمة وبضيء صدورنا بالأمل وبعلنا ثقة بالمستقبل ويدفعنا الى طلب النصر من الطريق الشريف . والا فالفضل الشريف أحق وأولى

فقوا ايها السادة عن كتب من حلقة الملائكة في جامعة ما وتمثلوا قصة هذين المتلاكين التي انصها عليكم . لقد كان أحدهما أكفاً من صاحبه . ولقد أثقل الاكفاً على زميله في الشوط الاول . ونال منه في الشوط الثاني . فأسر الى مدربه بقوله انه لا يستطيع المضي في مقاومة خصمه فقال له مدربه « تحمل واستمر » وجاء الشوط الثالث ولكن خصمه القوي لكه لكه أوقفته على الارض يتوجع . فنظر الى مدربه فظرة يرجو منه فيها ان يعفيه من مواصلة اللعب فحسبه ما ألم به . وهتا أهاب المدرب بصوت عال « اصمد له واستمر » . فما كان منه الا ان نهض مستجمعاً كل ما له من قوة والكم خصمه لكه خراً من أثرها على الأرض واستسلم . وبذلك انتصر أقل اللاعبيين كفاءة بفضل تلك المعجزة النفسية

مضت بعد ذلك الستون ايها السادة وتركنا الجامعة وشيت الحرب وانهت واتفق ان قايلت ذلك للملاكم اللينين في أحد شوارع لندن وسأله عن امره فقال انه انتظم في الجيش وسرح

بعد أن خمدت الحرب وكان أبوه قد أضاع كل ما كان يملك . وتعطل فلا رزق ولا مال وأظلمت الدنيا في عينيه ووطن نفسه بعد أن باع كل ما كان يملك على أن يبدأ حياة جديدة في إحدى المستعمرات . غير أن نظره وقع عفواً ذات يوم على صورة له ومدربه القديم بمكتبته فتذكر من فوره صيخته له « أن أصد له واستمر » وكأها على حد تمييزه هاتف سماوي يسخر من النفوس المستضعفة فسرعان ما صمد للحوادث وما لبث بعد ذلك أن وفق إلى عمل وفقه إليه عزمه وأمله وصبره ومثابرته

وكم من ليل قضيتها في الصحراء — أيها السادة — وأنا مسهد الجفن . شارداً الدهن . حيران لا أدري ماذا اصنع . فهناك . حين تبعث إلى الصحراء من جوفها المجهول العاصفة السافية فتهد خيمتي . وتعطل أدواتي العلمية . وينضب الماء . وينفق الجمل في أثر الجمل . وبسأل الدليل أين نحن . فيقول — وهو كالحالم — الله اعلم . هناك حين تتمحي معالم الطريق . ونكاد ننتهي في كل خطوة إلى قبر . وأسمع همهمة من رجال القافلة هي ولا شك تدمر مكبوت بما تعاني صدورهم من ضيق في هذا المنبسط الرملي الغامض ونخور قواي وبأخذمني النعب فلا أستطيع أن أنقل قدماً بعد قدم . وأشعر بأن هذا الفراغ المصغر الفسيح قد استحال إلى طوق حديدي صغير أخذ يحتوي رقبتي ويضيق عليها شيئاً فشيئاً . هنالك في أمثال هذه اللحظات وهي مفارق يسيرة بين حياة مشكوك فيها وموت محقق هنالك كنت انتقل من فوق الزمال إلى ملاعب الرياضة القديمة وأسكن ساعة إلى ذكريات عزيزة فأراني قد وقفت من أزمان مواقف تشبه من وجوه موقفي في ذلك الفقر الموحش اللانهاي . وأراني قد تغلبت عليها في النهاية وانتصرت . بماذا؟ بالصبر — أيها السادة — والتحمل . وضبط النفس . وهذوء الأعصاب حتى لا يختل تقديري . ويشط فكركي . فسرعان ما ألح قبس الامل يخلج بين عيني . وما لبث أن أجمع زمامي وأقلب على ما يعرض لي من صعاب . وأرى القافلة تساقط مسيرها على هدى وأرى رجالي وقد سرى إليهم المرح فانطلقوا بغنون ويتضاحكون

هنالك أثر آخر من آثار الرياضة في النفس وغلبتها على طبيعة الانسان حتى في وقت الخطر فقد حدث عند ما أردت أن أهبط مصر طائراً أن انكسرت بي الطائرة في بدء الرحلة فأصلحتها ومضيت بها فسقطت في ايطاليا وتحطمت . ثم حلفت في طائرة جديدة أخرى فسقطت في مياه صقلية . واستخدمت طائرة ثالثة كان من حظها ان سقطت هي ايضاً . وعدت إلى مصر على غير متن الهواء لأن رغبة ملكية كريمة اقتضت ذلك . ترون ان الفشل المتلاحق والتعرض لشر الاخطار لم يكونا أبداً لثنياني عن عزمي . ولعل سر هذا الشعور الغريب ملاحظة مارة كان أبدأها لي استاذ الرياضة بجامعتي في اثناء مباراة الهوكي وقد غلب فريقنا بـ ١١ على ٣ ولما

ذهبت إليه أبين له عبث الاستمرار في اللعب ولا سيما بعد أن أخذ المطر ينهمر قال لي وعلى شفقتيه ابتسامة ساخرة.. «تفضل وأتم أنت وزملائك اللعب الى النهاية . وهذا ما أتيتم لاجله اليوم » هذه الجملة أيها السادة هي التي كنت اسمع دويها في أذني بعد أن غادرت انكلترا بسنين .

وهي التي يرجع اليها فضل مواجهتي الموت غير مرة كما ذكرت

أيها السادة : لأن كان من الميسور أن أبين لحضراتكم في مثل ذلك الوقت المحدد أثر الروح الرياضية في تكوين الاخلاق فانه من الصعب أن أبين هذا الأثر في نفسية الشعوب ومصائر الأمم . أما الآن ، وهذه الحرب قد شبت وحدث من شؤونها ما حدث . ووقع من ريلاتهما ما وقع وكان من صروفها ما لم يكن يخطر لاحد منا على بال

فإن امامكم أكبر مثل وأروع بطالع التاريخ به العالم حين يسجل موقف انكلترا منها . ذلك الموقف الذي لم تكن مدينة فيه لصفحات الكتب ولا لنا بر الخطابة ولكن لميادين الالعب الرياضية اضطرت انكلترا الى خوض غمار الحرب - كما تعرفون - وهي غير مستعدة لها . ولكنها حين رأت الواجب يقضي عليها بتجريد السلاح بعد عشرين عاماً من حرب طاحنة عانت فيها ما عانت ودفعت من الثمن المبهق ما دفعت . مضت تتحمل تبعه غير ضجرة ونهض الشعب كله ، بل وشعوب الامبراطورية جميعاً نهضة رجل واحد كل فرد رجلاً كان او امرأة شيخاً كان او صبياً يسعى في صمت للاخذ بنصيبه . واداء واجبه

وهكذا الشعوب أيها السادة تردد صدى ميادين ألعابها . فاذا رأيتم لاعباً في أمة من الأمم قد استأثر بالكرة مثلاً . ملتصقاً بحجاب الجمهور به وتصفيقه له فثقوا انه اذا كبر ودخل ميادين المجتمع فسيكون فيها كما كان في ميدان اللعب . سيكون الفرد الذي يؤثر نفسه على الجماعة ويضحي في سبيل أنايته بكل مثل من المثل العليا

واذا وجدتم لاعباً في ملعب من الملاعب يهرب من المسؤولية ويلقيها على زميل له ويحتكم الى الجمهور بطريقة من الطرق مبتغياً أن يكبره وينتصر له ، فاذكروا انه بمثل هذه الاخلاق سيعيش في المجتمع

واذكروا كذلك أيها السادة ان أمة يرضيها ان تسود الفوضى فيها ميادين الالعب ويتنصل أبناؤها من التبعات بسهولة لهي في الواقع أمة منحلة العرى مفككة الروابط الأمم مراياها ميادين ألعابها

والشعوب تمثل في حياتها أخلاق لاعبي الرياضة من بينها

لاعجب إذن ان نرى الانكليز وهم يسرون الى ميادين الحرب وعلى كل شفة ابتسامة وكل وجه آية الرضا ، وكل لسان نكتة ذات معنى

إن أغرب ما سمع العالم اليوم عن البلاد المتحاربة ما سمع عن مبلغ الاستخفاف الذي يبديه الانكليز بويلات الحرب وكوارثها . فلقد علقت أندية الجلف بجدرانها نشرات تبين القواعد الجديدة التي أدخلت على هذه اللعبة ، متمشية في ذلك مع ظروف الحرب الراهنة كأنما هي اجابة غاية في التهكم المر على ما أحدثته الطائرات المغيرة بالبلاد من تخريب وتدمير

استمعوا أيها السادة الى بعض تلك القواعد الجديدة

أولاً — المرجو من الاعضاء ان يضعوا جانباً شظايا القنابل اذا ما وجدوها في طريقهم لكي يسهلوا بذلك عمل البستاني في تهمد الخضرة

ثانياً — اذا ما أُلقيت قبلة في ملعب الجولف وأحدثت حفرة اعتبرت هذه الحفرة كالحفر الصناعية الموجودة بالنادي . ويسري على اللاعبين القوانين التي تسري على حفرة النادي الأصلية ثالثاً — اذا ما هم لاعب بضرب الكرة ودوى صوت قبلة طائرة معادية او سمع صوت قذيفة مدفع مضاد للطائرات . فشغله هذا الصوت او ذاك عن احكام ضرب الكرة ، فللاعب الحق في ان بعيد ضربها ولكنه يخسر نقطة . ولعل هذه العقوبة جزاء له لأنه سمح لنفسه ان تضطرب ولو بأثر أدوات الموت في الوقت الذي يؤدي فيه عملاً مقدساً

وتذكر هذه المسألة بقصة شبيهة لها من بعض الوجوه . فقد كانت بارجة انكليزية تجوب أنحاء البحر . وكان ربانها قد أمر باقامة مباراة بعد الظهر لبعض الالعاب واتفق ان ظهرت بعد ذلك بوارج للعدو . ورؤي ألا مناص من موقعة هائلة بعد قليل . فتقدم خادم القبطان الى سيده ، وهو في غاية من الهدوء وحياء التحية العسكرية وسأله « متى يرى سيدي ان تقام المباراة ؟ أقبل الموقعة أم بعدها »

أيها السادة يمثل هذه الروح العظيمة المستمدة من ميادين الألعاب الرياضية بميش هذا الشعب ويحافظ على امبراطوريته المترامية الأطراف

والآن وقد حدثكم عن الرياضة وأمرها في تكوين الخلق . أتوجه اليكم يا شباب مصر لا بحض على أن تذهبوا الى الملاعب فأنتم تذهبون اليها . وانما أتوجه برجاء شديد أن تذهبوا الى هذه الملاعب وأنتم صادقوا النية في الأخذ بهذين القانونين من قوانين الرياضة وهما ما يقولون عنها Fair Play — Play the Game أي اللعب حتى نهاية الشوط واللعب العادل الشريف . وأن تجعلوا أيها الشبان من أهداف ملاعبكم رمزاً لاهدافكم الوطنية . اذكروا انكم تعدون أنفسكم اليوم للمستقبل واذكروا انكم ستقفون غداً في الملعب العالمي حراساً أوفياء على مجد الوطن . والله أسأل أن يجعلكم خيراً منا وأكثر توفيقاً

رسالة المؤرخ

في عصور الاضطراب

للدكتور قسطنطين زريق
استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية

يختار أحدنا نوع عمله في الحياة ، او تدفعه الظروف اليه ، فيحمل اعباءه يوماً بعد يوم ، وسنة بعد سنة ، الى ان يصبح ذلك العمل أمراً طبيعياً لا يثير في نفس صاحبه شكاً او حيرة او تساؤلاً . وليس من ريب عندي في ان أكثرنا لو رجعوا الى نفوسهم ، ونظروا في حياتهم نظراً دقيقاً ، لوجدوا ان أعمالهم وطرق معيشتهم قد غدت عادات متأصلة في كيانهم ، وانهم يجرون فيها جرياً آلياً ليس فيه كبير تفكير او تفاعل داخلي ، بل ان هذه الأعمال تصبح قسماً من ذواتهم لا ينفصل عنها ، وقلمها يستطيعون — او يحاولون — ان ينتزعوها من نفوسهم ، وان ينظروا اليها نظراً موضوعياً مجرداً ، ويتساءلوا عن معناها ومفزاها ، وعن قيمتها في حياتهم الخاصة وفي حياة من يتصل بهم من الأفراد والجماعات

هذا الموقف يصلح في عصور السكينة والرخاء . أما في عصور الضيق والاضطراب ، حين نهز النفوس من جذورها ، وتختل الحياة من أساسها ، فحريٌّ ان يكون الأمر على غير ذلك . في مثل هذه الأوقات يجب ان تنمكس الأزمة الخارجية في النفس ، فتثير فيها الأسئلة والشكوك وتخرجها من خمودها المعتاد ومن سيرها الآلي الى نوع جديد من النظر والتفكير ، وتدفعها الى ان تنأمل في حياتها وعملها وغايتها تأملاً مجرداً لا ترد فيه ولا تتواء . فاذا جئنا نفحص حياتنا في هذه الأيام العصيبة ، وجدنا ان أغلبنا لم يتأثر بالأزمة التي يجتازها هذا التأثير ، وان الشدة التي نعانينا ان كانت قد خلقت فينا قلقاً وخوفاً ، فهو القلق على معيشتنا الخارجية لا على جوهر كياننا ورسالتنا في الحياة ، وهو الخوف من تضائل مواردنا المادية لا من بعدنا عن الحق والصواب في بناء حياتنا الخاصة والمساهمة في انهاض مجموعتنا وأمتنا . واذا كنا لا نطلب الغاء هذا النوع من القلق والخوف من الناس جميعاً ، فلا أقل من ان نطلبه من رجال « الفكر » أولئك الذين يفرض فيهم أنهم يعملون في خدمة المثل العليا ، ويسهرون على قوى الأمة العقلية والروحية ، ويحتلون مقاعد القيادة الحقيقية في مجتمعهم . فانهم مسؤولون لدى التاريخ ولدى

الحقيقة عن نوع قيادتهم ، وعن درجة تأديتهم لمهمتهم ، وعن كيفية مجابهتهم للآزمة وتوجيههم قوى الأمة لتحملها والتغلب عليها . فحري بهم ان يقفوا في مثل هذه الاوقات موقف التساؤل ، وان يشعروا بأزمة داخلية تقوم في نفوسهم فتحملهم على ان يفكروا في حياتهم وفي عملهم تفكيراً أساسياً جديداً . فان هم لم يقطعوا هذه الخطوة الاولى من جهادهم النفسي الداخلي ، فلا أمل لهم بأن يقوموا بواجبهم ، وخلق بهم عندئذ ان يتخلوا عن مقاعد القيادة الفكرية وأن لا يدعوا انهم من خدمة العقل والروح ، فهم موظفون فحسب ، او طلاب مادة او لهُو أو أي شيء آخر عدا الأدب الخالص ، أو العلم الصحيح ، أو الفلسفة الحية أو سواها من مظاهر الفكر الغير المبدع . ونسألاً لآمة لم يرتفع قادة نفوسها عن هذا الدرك !

ولقد حدث ان اخترت في الحياة مهنة التأريخ ، وان وقفت نفسى على البحث في ماضي أمتي العربية وعلى جلاء بعض نواحي هذا الماضي لمن يتصل بي من الطلبة او غيرهم ، وكثيراً ما تساءلت في غضون هذه الآزمة الطارئة بل قبلها — لان الأمة العربية تعيش في أزمة دائمة الى ان تستقر في الحياة الجديدة التي تطمح اليها — أقول : كثيراً ما تساءلت عن معنى مهنتي هذه ، وعن الرسالة الخاصة التي يجب على المؤرخين تأديتها تجاه هذا الاضطراب العميق الشامل . ولا أكنتم القراء اني وجدت في ابضاح ذلك لنفسى صعوبة حجة ، وانني لا ازال اشعر بشيء من الحيرة والارتباك ، وأرى امامي غموضاً وابهاماً يمنعانني من ان ارسم في ذهني صورة جلية كاملة . ولذا فلا يخرج ما سأقوله في ما يلي عن بضع ملاحظات تمهيدية وخواطر اولية لا تزال دون الرأي الناضج والحكم القاطع ، أعرضها امام القارئ وليس يشفع فيها سوى انها صادرة عن رغبة في الوصول الى الحق وعن عزم اكيد على النظر الداخلي ومحاسبة النفس

مهمة المؤرخ في عصور الاضطراب تبدأ في نفسه . فإلم يكن للآزمات أثر في ذات المؤرخ ، فمن المحال ان يكون لها بواسطته ، أثر في مجتمعه . او ان كل رسالة جديدة يؤديها الانسان يجب ان يسبقها تبدل اساسي في كيانه . والتبدل الاساسي الذي يجب ان تحدثه الآزمة في نفس المؤرخ هي أن تدفعه الى ان يجدد تفكيره في معنى « التأريخ » كعلم وفي غايته وأسلوبه ، وفي معنى « التأريخ » ^(١) كميدان لتنازع القوى البشرية والطبيعية ، فيقوم المؤرخ بمهمته على ضوء هذا التفكير الجديد وبالنشاط والحياة اللذين يخلفهما هذا التجدد في نفسه ان العمل التاريخي يتناول ثلاث نواحٍ مختلفة : أولها الوصول الى حقيقة الماضي كما هي ،

(١) استعمل « التأريخ » بتلويح المهمة في هذا المقال بمعنى الحياة الماضية ، و « التأريخ » بمعنى العلم الذي يصف تلك الحياة

أي أن تصور في ذهننا بالضبط الحوادث الماضية كما حدثت تماماً. هنا يكون المؤرخ عالماً، ويشارك سواء من العلماء في طلب الحقيقة، لا يخالفهم إلا في المادة التي يختارها والميدان الذي يحول فيه، وهما — كما ذكرنا — ماضي الحياة البشرية. على أن هذه المهمة العلمية صعبة شائكة لأن المادة التي تستخلص منها الأحكام التاريخية كثيراً ما تكون مشقة ناقصة، أو ملونة بغايات أصحابها ونزعاتهم الخاصة، فعلى المؤرخ أن يفهمها ويفهمها ويوفق بينها ويستخرج منها الحقيقة كما حدثت، أو بالأحرى أن يتصور الحقيقة كما حدثت لأن نتيجته هي أبدأً تصورية لا حسية فكل حادثة تاريخية جرت مرة واحدة في الماضي لا أكثر، وهي فريدة في نوعها لا يمكن أن تجري مرة ثانية كما جرت أولاً بالضبط، بخلاف حوادث العالم الطبيعي التي تتكرر وتعدد والتي يمكنك أن تشاهدها بعينك أو أن تحدثها بنفسك. ولذا كان العمل العلمي التاريخي غاية في الصعوبة، وهو يتطلب جهوداً متنوعة، وصفات متعددة قلما تجتمع للشخص الواحد، فهو لذلك موزع بين أفراد وجماعات يختص كل منهم بناحية من نواحي البحث أو دور من أدوار الماضي. فمن واجب المؤرخ، المجدد تفكيره في معنى عمله بضبط الأزمة النازلة به وبمجتمعه، أن يوضح لنفسه هذه الغاية العلمية للتأريخ وخصائص الأسلوب الذي يؤدي إليها والصفات العقلية والأدبية والروحية التي تتطلبها، وأن يميز جلياً القسم الخاص به من هذا العمل العلمي وعلاقته بالاقسام الأخرى، وبكلمة وجيزة: أن يفهم فهماً جديداً حدود وظيفته وطبيعته ومؤداها. فإذا كان مثلاً ينشر أصلاً من الأصول القديمة، وجب عليه أن يجلو في ذهنه معنى النشر وقيمه، ومقامه من البحث التاريخي، والأسس التي يقوم عليها والغاية التي يسعى إليها، وبذلك يأمن من الضياع في الجزئيات ومن تنفقت شخصيته تحت ضغط عمله اليومي المتكرر. وهكذا يجب أن يكون عمل الأزمة وأثرها في المؤرخ — بل في كل مفكر — أن تهزه من أصوله، وأن تعيد له شخصيته، وتنفذه من خطر الانحلال والضياع.

أما الناحية الثانية من العمل التاريخي، فهي التأليف التاريخي: أي اظهار النتائج التي توصل إليها البحث العلمي الذي وصفناه. لأن حقائق الماضي لا قيمة فعلية لها ما لم تنشر وبطالع عليها الناس وينموا باطلاعهم عليها عقولهم ونفوسهم، وهنا يفرض على المؤرخ في أوقات الاضطراب أن يجدد تفكيره في نوع عمله التأليفي: في العصر الذي يعنى به، في الموضوعات التي يتناولها، في أسلوب العرض الذي ينهجه. ذلك أن جميع نواحي الماضي، إذا قيست بمقياس العلم المجرد، نستحق — بل تستوجب — أن تكون موضوع الدرس والبحث والاستقراء، لا فرق بين الواحدة والأخرى مطلقاً، لأن العلم لا يعرف إلا مقياساً واحداً لتساوى عنده جميع الأحداث تساويًا تاماً: هو مقياس الحقيقة المجردة التي يجب أن يسعى إليها من كل ناحية وبكل طريقة

ممكنة . على ان حاجات مجتمع ما في دور من الأدوار ، قد تجعل لبعض الأعصر الماضية منزلتها الخاصة ، وللبعض الموضوعات خطرهما الفائق ، نظراً لعلاقتها الماسة بالنزعات التي يجيش بها عصر المؤرخ وبيئته ، فجتمعنا العربي الحاضر مثلاً هو اليوم في وسط هبة قومية تسعى الى حياة ناهضة جديدة . فحالته هذه تحتم على مفكره ان يهتموا اولاً بالمسائل التي تثيرها هذه النهضة القومية ، وتطلب من المؤرخين ان يوجهوا عنايتهم الى أصول هذه المسائل في الماضي القريب والبعيد . كأن يبحثوا مثلاً في عوامل القوة وعوامل الضعف في المجتمع العربي الماضي ، او في العناصر الباقية الخالدة في المدنية العربية ، او في المشكلات الأساسية التي جابهها العقل العربي والنفس العربية وكيفية مجابهتهما إياها . هذه الموضوعات يجب في ما اعتقد ، ان تنال من اهتمام المؤرخين العرب في الوقت الحاضر أكثر مما تناله الموضوعات الأخرى من التاريخ العربي ، لأنها أرق صلة بالحاضر وأشد التصاقاً بمشكلاته ونزعاته . أقول هذا وأنا أعلم اني أثير به انتقاد المتمسكين بالمبدأ العلمي الخالص ، الذين لا يقيمون للحاجات العلمية وزناً في البحث التاريخي ، كما انني أقرب بان هذا التمييز بين موضوعات التاريخ قد يضيق افق الباحثين وبالتالي افق مجتمعهم وقد يجر الى نتائج أخرى غير مرضية ، ولكنني لا استطيع مع ذلك الا ان اشعر ان التنظيم الذي تقوم عليه الحياة الحديثة بكاملها يجب ان يطبق في هذه الناحية العلمية التاريخية فيقدم الأهم (أي الألتصق بالحاضر) على المهم ، والمهم على التافه ولذا وجب - في نظري - على المؤرخ في عصور الاضطراب ان يتنبه من غفلته وان يفهم حاجات مجتمعه ومطالبه ، وان يختار على ضوء هذا الفهم المجدد الحي نوع التأليف الذي ينصرف اليه وأسلوبه ، متقيداً في هذا كله بالشرائط العلمية الصحيحة ، لأن الحق وحده في النهاية يسود ، وما يبني على غير الحق عبث زائل

غير ان مجرد الوصول الى حقائق الماضي وعرضها ليس كل عمل المؤرخ . فهناك بعدئذ تعليقه لهذه الحقائق وحكمه عليها ، وبذلك يتخطى المؤرخ دائرة العلم الى الفلسفة ، فينظر في العوامل الفعالة التي تسيّر الحوادث البشرية : أهى القوى الطبيعية المنبعثة عن المناخ وطبيعة الأرض وموقع البلاد ، ام المنازعات الاقتصادية في سبيل العيش والكسب المادي ، ام حب السيطرة والطموح الى السيادة ، ام الصراع بين الافكار والشخصيات والارادات الانسانية ؟ كذلك يحكم المؤرخ على قيمة الحضارات المختلفة ، على الأمم وطبيعة حياتها ونوع ماثرها . ولكنه لا يستطيع ان يفعل ذلك ما لم يكن قبلاً قد بنى لنفسه فلسفة خاصة يحكم على الحوادث على أساسها ويقيسها بمقياسها ، ونظم تفكيره في نفسه وفي العالم بعقيدة فكرية ثابتة تعبر له عن الحقيقة النهائية في الكون والحياة . وبكلمة أخرى لا بد للمؤرخ لتأدية مهمته كاملة من ان يمكن نفسه فلسفياً ، ويرتفع فوق الحوادث التي يصفها ليقدر قيمتها ويحكم عليها . وهنا أيضاً أخشى ألا

بواقفي اولئك المؤرخون المتقيدون بالغاية العامة البحتة الذين يعتبرون مهمتهم قاصرة على وصف الحوادث دون الحكم عليها . وعندي ان هذا الوصف نفسه لا يكون صحيحاً كاملاً الا اذا كان على ضوء نظرة شاملة وتأثير تفكير تحليلي عميق . فمن خصائص الازمات أو الاضطرابات — اذا شعر بها المؤرخ شعوراً داخلياً كما يترتب عليه أن يفعل كأن حقيقته لعصره وكمشاركه لجنبه في حياته — أن تحرك المؤرخ ، وتدفعه الى التساؤل مجدداً عن معنى الحياة البشرية وعن القوى الفعالة فيها وعن الكون وما وراء الكون ، وتحمله على أن يستن ويعمق ويحيي نظرتة الفلسفية التعليلية كي يفهم التاريخ على أساسها فهماً صحيحاً . هذا ، إذن ، هو تأثير الازمات في المؤرخ نفسه من نواحي عمله الثلاث العامة ، والتأليفية ، والفلسفية . وخلاصته ان هذه الاضطرابات نهب بالمؤرخ الى ان يفهم من جديد نوع عمله ، ويسبر غوره ، ويحدد غايته ، وينفذ الى باطنه . وبكلمة واحدة : انها تهز المؤرخ هزاً ، فتخلق منه انساناً جديداً ، وبالتالي مؤرخاً جديداً

* * *

والآن نتقدم الى ما وراء المؤرخ نفسه لتتساءل عن رسالته في عصور الاضطراب الى مجتمعه . ان هذه الرسالة مزدوجة : عامة وخاصة . أما العامة فسيبيلها ان يحاول المؤرخ ، بفعل فهمه الجديد للتاريخ ، أن يساهم في توفير من يتصلون به وايضاح نظرهم الى الماضي والحاضر ، فيعمل على نشر الحقائق الصحيحة الثابتة عن ماضي أمته والبشرية ، ويهتم اهتماماً خاصاً بتلك التي تتعلق مباشرة بالحاضر وبحاجات امته الروحية الأساسية ، ويسعى الى بعث فهم جديد لمعنى هذه الحقائق وقيمتها بالقياس الى القيم النهائية في الحياة . وبالايجاز ، ان اضطراباً عميقاً كالذي نمر به الآن ، اذا فهم المؤرخ حقيقة معناه ومؤداه لخلق بان يجعله ينهض بعمله الأساسي في الحياة على وجه أفضل وأسمى مما كان عليه قبلاً ، وأن يؤدي رسالته الخاصة الى مجتمعه تأدية مشبعة بفكر حي وروح جديدة أما الرسالة الخاصة فتتعلق بطبيعة الاضطراب وبنظر المجتمع اليه وتأثرهم به . ففي مثل هذه الاوقات تتساقط الاسئلة على المؤرخ من كل صوب وناحية مستفهمة عن أسباب الاضطراب المباشرة وسيره الحاضر ، ثم ، بصفة خاصة ، عن تديجته ونهايته . متى تنتهي الحرب ، وكيف ، ولن يكون النصر ، وعلى اي وجه ؟ وغيرها من الاسئلة التي قلما يساعد فهم المؤرخ المعاضي على حلها ، لأن الجواب عليها يتطلب معرفة حقائق دقيقة هي اليوم ، بفعل الصراع القائم ، محجوبة عنا بشتى الوسائل . فأسباب الحرب العظمى الماضية مثلاً وكثير من اسرارها لم تتجلى لنا الا بعد ان ألفت تلك الحرب أوزارها ونشرت الوثائق المتعلقة بها . فمن البعث اذن ان نتنبأ بمعلوماتنا الضئيلة عن المستقبل ، أو ان نحكم عليه بالقياس الى الماضي ، فان التاريخ ، بعكس مايقول المثل السائر ، لا يعيد نفسه وحوادث الحاضر بلغت حدّاً من التعقد والاشتباك لا يصح معه ان نطبق عليها أحكام الماضي لنقرر مسائل محدودة دقيقة كالتي ذكرناها وانما لتوضح

تفكيرنا في معنى الاضطراب القائم وفي أسبابه البعيدة وفي أثره الباقي في حاضرنا ومستقبلنا .
وبكلمة أخرى : ان المؤرخ يجب ان يتخلى عن وظيفة الصحفي المهم بمجزئيات الحاضر والمستقبل
ليدرس الخطوط الكبرى ويتطلع الى الآفاق البعيدة

وأول رسالة من هذا القبيل يبسطها لنا التاريخ هو ان الضيق والألم والقلق التي يجربها
علينا الاضطراب الحاضر ليست أول ما عاتته امتنا أو الانسانية من الشدائد والأهوال . فكل
من درس تاريخ هذه البلاد العربية يعرف ما مر عليها من حروب وغزوات ، ومن مجاعات
وأوبئة وفتن ، حتى انه ليعجب أحياناً كيف بقي فيها احياء الى الآن ، وكيف استطاع آباؤنا
وأجدادنا أن يتحملوا ما رواه المؤرخون من المصائب والرزايا

لنراجع في أذهاننا الحروب والمنازعات التي قامت على مسرح هذه البلاد منذ فجر التاريخ
بين المصريين والبابليين والاشوريين والحثيين ، ثم بين الفرس واليونان والرومان والعرب ، ثم
بعد استقرار الحكم العربي بين الدول والاحزاب والشعوب المختلفة ، ولنذكر كذلك الغزوات
الطاغية من الشرق كالأتراك والمغول ومن الغرب كالصليبيين وسوام من شعوب اوربا . لنذكر
هذا كله ، ولنذكر ما صحبه من اضطراب اقتصادي واجتماعي وحربي ، وما انزل بأسلافنا من
أهوال وويلات . ثم لنذكر أيضاً الضربات الاقتصادية والطبيعية كالجوع والفقر والوباء والفلاء
والاضطرابات الاجتماعية والعقلية والروحية ، نشعر عندئذ بأن أجدادنا قد خبروا ما هو
أشد وأفظع من الضيق الناتج عن الاضطراب الحاضر ، ولم تقطع مع ذلك الحياة في هذه
البلاد . واني أجتزئ من كل ما ذكرت بمثال واحد اقتبسه من كتاب نشره حديثاً الدكتور مصطفى
زيادة وجمال الدين الشيال من تأليف المؤرخ الشهير تقي الدين المقرئ بعنوان « اغامة الأمة
بكشف الغمة » يصف به المجاعات والاضطرابات التي وقعت في مصر منذ الأزمنة القديمة الى
أيامه ، وقد خبر هو بعضها في حياته . هاكم وصف المجاعة التي حدثت في أيام المستنصر بالله ،
الخليفة الفاطمي الذي تولى الحكم في مصر بين سنتي ٤٢٧ و ٤٨٧ هـ . (١٠٣٥ — ١٠٩٤ م)
ومن كان منا لا يزال يذكر أهوال الحرب الماضية او يقلق من الضيق الذي نعاينه الآن او الذي
يتظرنا في الأيام المقبلة ، فليعتبر بما يسمع من أهوال الماضي : —

« ثم وقع في أيام المستنصر الغلاء الذي فحش أمره وشنع ذكره ، وكان أمده سبع سنين .
وسببه ضعف السلطنة ، واختلال أحوال المملكة ، واستيلاء الأمراء على الدولة ، واتصال الفتن
بين العربان ، وقصور النيل ، وعدم من بزرع ما شمله الري . وكان ابتداء ذلك في سنة سبع
 وخمسين واربعمائة ، فنزع السعر ، وتزايد الغلاء ، وأعقبه الوباء حتى تعطلت الأراضي من
الزراعة ، وشمل الخوف ، وخيفت السبل برّاً وبحراً ، وتعذر السير الى الأماكن الأبخفارة

الكثيرة وركوب الفرار . واستولى الجوع لعدم القوت حتى أبيع رغيف خبز في النداء بزقاق
القناديل من الفسطاط كبيع الطرف بخمسة عشر ديناراً ، وأبيع الأردب من القمح [بثمانين
ديناراً] . وأكلت السكلاب والفسطاط حتى قلت السكلاب ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير .
وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، وتحرز الناس ، فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها
ومعهم سلب وجبال فيها كلاب ، فإذا مر بهم أحد ألقوها عليه ونشلوه في أسرع وقت وشرحوا
لحمه وأكلوه . ثم آل الأمر الى ان باع المستنصر كل ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث
وسلاح وغيره . وصار يجلس على حصير ، وتعطلت دواوينه ، وذهب وقاره ، وكانت نساء
القصور تخرجن ناشرات شعورهن تصحن « الجوع ! الجوع ! » ، تردن المسير الى العراق ،
ففسقطن عند المصلى ، وتبئن جوعاً . واحتاج المستنصر حتى باع حلية قبور آبائه [وجاءه الوزير يوماً
على بغلته فأكلتها العامة ، فشقق طائفة منهم ، فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم . وأفضى الأمر الى
ان عدم المستنصر القوت ، وكانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث اليه كل يوم بقعب من فريت
من جملة ما كاله من البر والصدقات في تلك الغلوة حتى انفقت ما لها كله وكان يحجل عن الاحصاء
في سبيل البر . ولم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعث به اليه ، وهو مرة واحدة في اليوم والليلة
ومن غريب ما وقع ان امرأة من أرباب البيوتات أخذت عقداً لها قيمته ألف دينار ،
وعرضته على جماعة في ان يعطوها به دقيقتاً ، وكل يعتذر اليها ويدفعها عن نفسه الى ان رحما
بعض الناس وباعها به تليس دقيق بمصر . وكانت تسكن بالقاهرة ، فلما اخذته اعطت بعضه لمن
بحمه من النهاية في الطريق ، فلما وصلت الى باب زويلة تسلمته من الحماة له ومشيت قليلاً ،
فكأثر الناس عليها واتهبوه نهياً . فأخذت هي أيضاً مع الناس من الدقيق ملاً يديها لم ينبا
غيره ، ثم عجنته وسوته ، فلما صار قرصة أخذتها معها ، وتوصلت الى أحد أبواب القصر ، ووقفت
على مكان مرتفع ، ورفعت القرصة على يدها بحيث يراها الناس ، ونادت بأعلى صوتها . « يا أهل
القاهرة ! ادعوا مولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأيامه ، وأعاد عليهم بركات حسن نظره
حتى تقومت علي هذه القرصة بألف دينار » . فلما انصل به ذلك امتعض له ، وقدح فيه
وحرك منه ، وأحضر الوالي وتهده وتوعده ، وأقسم له بالله جلست قدرته انه ان لم يظهر
الحزب في الأسواق وينحل السعر والا ضرب رقبته واتهب ماله . فخرج من بين يديه ، وأخرج
من الحبس قوماً وجب عليهم القتل ، وأفاض عليهم ثياباً واسعة وعمائم مدورة وطيليس سائلة
وجمع بحار الغلة والحبارين والطحانيين ، وعقد مجلساً عظيماً ، وأمر باحضار واحد من القوم ،
فدخل في هيئة عظيمة ، حتى اذا مثل بين يديه قال له « ويلك ! ما كفالك انك خنت السلطان
واستوليت على مال الديوان الى ان أخربت الأعمال ومحقت الغلال ، فأدى ذلك الى اختلال
الدولة وهلاك الرعية ؟ اضرب رقبته ! » . فضربت في الحال ، وتركه ملقى بين يديه . ثم

أمر باحضار آخر منهم، فقال له: « كيف جسرت على مخالفة الأمر لما نهى عن احتكار الغلة، وتماذيت على ارتكاب ما نهيت عنه الى أن تشبه بك سواك، فهلك الناس؟ اضرب رقبتك! » [فضربت في الحال]. واستدعى آخر فقام اليه الحاضرون من التجار والطحانين والخبازين، وقالوا: « ايها الأمير! في بعض ما جرى كفاية ونحن نخرج الغلة وندير الطواحين، ولعمري الأسواق بالخبز، ونرخص الأسعار على الناس ونبيع الخبز رطلاً بدرهم ». فقال: « ما يبيع الناس منكم بهذا ». فقالوا: « رطلين »، فأجابهم بعد الضراعة، ووفوا بالشرط. وتدارك الله الخلق وأجرى النيل، وسكنت الفتن، وزرع الناس وتلاحق الخبز، وانكشفت الشدة وفرجت الكربة. وخبر هذه الغلوات مشهور، وفي هذا القدر كفاية من التعريف بها، والله يَسْبِيضُ وَيَبْسُطُ واليه تُرْجَعُونَ ^(١)

ولئن كانت هذه النسبة من أفضح النكبات التي حلت بمصر، فليست الوحيدة من نوعها ولم يكن ما وقع فيها من الغلاء والجوع والاحتكار وأكل الحيوانات والبشر غريباً عن اختبارات هذه البلاد في القرون الوسطى. ففي المائتين والاثنتين والثلاثين سنة بين ٦٧١ و ٩٠٣ هـ يذكر المؤرخون ما يقارب أربعين سنة مختلفة وقع فيها وباء أو غلاء في مصر أو في الشام أو في كليهما معاً، أي مرة كل ست سنوات تقريباً، ويصفون أكثر هذه المحن وصفاً يدل على شدتها وما خربت من البلاد وما أفتت من الناس. فرسالة المؤرخ الذي رافق أمته في محنها المتتابعة هذه، وتألم لآلامها وجروحها، هي رسالة الطائفة والشجاعة ورباطة الجأش هي الدعوة الى الأعصاب الهادئة، والقلوب الصامدة والادارة الحازمة. هي ان ما نخافه من الاضطراب النائر ليس أعظم مما حلّ بنا كأمة في الأيام الماضية، فليلم الخوف والذعر وتشتت الذهن واضطراب الرأي وضياح النفس؟ ان الذي لم يختبر إلا الأزمة الحاضرة يحق له ان يضطرب لها ويقلق من نتائجها. اما الذي يرتكز على صخرة الماضي القوية الممتدة أسسها الى أقدم عصور التاريخ البشري، فهو مع تألمه العميق للشدة والاضطراب في العصر الحاضر، يستطيع ان يجابهها بالايان الثابت والذهن الصافي والعزم الأكيد والنفس المسيطرة. هذا الايمان والصفاء والعزم والنيات — هذا هو رسالة المؤرخ الاولى الى مجتمعه في أيام الهول والاضطراب

ثم ان المؤرخ يعلم ان أمته — والبشرية عامة — لم تصمد لهذه الأهوال فحسب، بل تغلبت في النهاية عليها وتقدمت بالرغم منها إنه يعلم ان الحاضر، مع كل ما ينطوي عليه من شر وفساد، هو خير من الماضي ويمثل تقدماً عليه وارتقاء عنه، فهو ان استوحى ما يشع من الماضي من مجد وزهو وفخار، فليس ذلك لكي بعيد ذلك الماضي بكامله وبينني المستقبل على صورته وشكله. انه لا يلتفت الى « عصر ذهبي » انقضى فيسمى الى بعثه واحيائه. لا! ان المؤرخ الذي فهم روح

الماضي ينظر أبداً إلى الامام ، لا إلى الوراثة . وهو يميز عند دروسه الحياة الماضية بين عناصر الحمود والرجية ، وعناصر التحفز والتقدم ، فيوجه النظر إلى الثانية ، ويعمل مع العاملين على دفعها وتغليبها على الأولى . فعلى المؤرخ أن يتنبه لخطر عظيم يتعرض له دوماً : خطر الذوبان في الماضي والانحلال في عصر سابق يزينه الخيال بألوانه الزاهية فتطمئن إليه نفسه وتعيش فيه بعيدة عن الحاضر ومشكلاته والمستقبل وآماله . إنه ، والحق ، لخطر جسيم قد استولى على كثيرين من طلاب هذا العلم ، بل من قادة العالم العربي ورجاله على العموم . وليس مثل الازمة والاضطراب قوة توقف المؤرخ وتتقذه من هذا الخطر ، وتوجه نظره إلى الامام ، وتصرفه إلى الاهتمام بعناصر التقدم والنمو في تراث أمته ومجتمعه . فرسالة المؤرخ الثانية في عصور الاضطراب هي رسالة التفاؤل بالمستقبل ، والتطلع أبداً إلى الامام

على أن هذا التفاؤل ليس من النوع الذي يشل الجهد ويكتفي بالاستسلام إلى الاقدار ولقوى الكون الصماء ، لأن المؤرخ يعلم حق العلم أن التقدم إذا كان قد حدث فبفضل أوثك الافراد والجماعات الذين عملوا صادقين في شتى نواحي النشاط الانساني ، فتغلبوا على الصعوبات المادية والمعنوية وقادوا أمتهم والانسانية في معارج الرقي والنجاح . وهو يعرف ضرورة بذل هذا الجهد في عصور الاضطراب خاصة ، إذ أن حياة الأمة وعقليتها تكونان في هذه العصور في صورة مائعة بفعل القوى الشديدة التي تضغط عليهما ، ولذا تصبح الحاجة ماسة إلى قادة يفهمون الموقف حق الفهم ، ويدفعون تلك الحياة المائعة إلى المجاري الصميعة ، فالمؤرخ يؤمن بمبدأ القيادة ، ويلاحظ أن الأمم في الأزمنة الماضية لم تغلب على الأزمات والحن ، إلا بفعل قادتها الذين لمسوا حاجاتها وحددوا غايتها ، ونظموا قواها الداخلية ودفعوها نحو تلك الغاية . والأمة التي لا يولد الاضطراب والشدة فيها قادة من هذا النوع هي أمة بائسة حقاً ، وعليها أن تكابد وتتألم إلى أن يولد هذا الألم فيها القادة الذين يسرون بها في طريق الاستقرار والتقدم . والمؤرخ يذكر أمته في عصور الاضطراب أن الاضطراب على ما فيه من ضيق وحن ، مفيد لها لأنه لا ينفك « بنحضا » حتى يخلق منها القادة النافذين فهماً وعملاً الذين يعمنون فيها حياتها الجديدة

كذلك يذكر المؤرخ أمته في عصور الاضطراب بأن الشدائد الخارجية مهما تعظم لا يمكن أن توهن قوى الأمة وتوردها موارد الهلاك ، وبأن الضعف الحقيقي إنما هو الذي يصيب الأمة في داخلها . فإن درس الماضي يبين له أن الغزوات الخارجية قلما قضت على أمة لم ينخر جسمها سابقاً بجرائم الفساد والانحلال ، فالرومان مثلاً لم تهدم ملكهم قبائل الجرمان الغازية كما يعتقد البعض ، وإنما كان الخلل الاقتصادي والاجتماعي والروحي قد سرى فيهم واستشري ، فإذ كان على الجرمان ألا أن ضربوا ضربة واحدة حتى سقط البيزان الروماني بكامله . ولذا

فالمؤرخ الواقف على هذه الحقائق يدعو الأمة الى المحافظة على عصبها ومنابع قواها الروحية ،
والى تعزيز مناعتها ، وتنمية مواهبها ، ويلقى ايمانه عليها نفسها ، ويركز نظره فيها ، فلا يتطلع
الى هذه او تلك من قوى الخارج رابطاً بمقدراته بها ، او مؤمناً بأن حياته وتقدمه متوقفان
عليها . فن رسالة المؤرخ الى أمته في عصور الاضطراب ، إذن ان يوجه نظرها الى ذاتها ،
وان يثبت إيمانها في ان تقدمها او نجاحها — بل بقاءها او موتها — معقود على ما تبذل من جهد
وما تبدي من قوة ، وان خلاصها يقوم في نهاية الأمر على اعتمادها على نفسها

ولكثرة ما يشاهد المؤرخ عند درسه الماضي من خطوب وأهوال ، ولوفرة ما يلقي من
موت الأفراد واضمحلال الجماعات ، يتولد عنده الشعور بقلّة خطر الفرد بالقياس الى المجتمع ،
والى القوى التي تضطرم فيه . ولذا فانه لا يقلق على حياته قلقاً شديداً ، ولا يحصر نظره واهتمامه
بنفسه وبالجماعة الضعيفة المتصلة به لأنه يعرف انه قد يكون بين الذين قدر لهم ان يصحى بهم في
سبيل مجتمعهم وكيانهم الأكبر ، كما يصحى بالآلوف والملايين من البشر حتى بلغ المجتمع الانساني
درجته الحاضرة . نعم ! ان غاية التقدم والرفي هي ان يضمن لكل فرد من البشر سلامته
وحريته وأوسع مجال للنمو والسعادة ، ولكن المؤرخ يعلم انه في سبيل الوصول الى هذه الغاية
قد بذل كثير من الأفراد في الماضي حياتهم وان كثيرين غيرهم سيدلون في المستقبل حياتهم
ايضاً ، فلا عجب اذا كان هو نفسه جزءاً من الثمن الذي تدفعه امته لتتأمن حريتها وتؤمن سعادة
أفرادها . ومن أجل هذا وجب عليه — اذا كان قد فهم رسالة التاريخ حق الفهم — ان
يكون في مقدمة الذين يبذلون نفوسهم في سبيل الحق ولأجل سيادة المبادئ العليا في الحياة .
انه يعلم — أكثر مما يعلم غيره — معنى الاضطراب النازل بأمتة ، وانه يتطلب منها جهداً
وتضحية ، بل الحياة نفسها يقدمها بعض أفراد الأمة ليتمكنوا من التغلب على محتتها ويبلغوا بها
غايتها ، ولذا تراه في مقدمة العاملين على انهاء مجتمعها ، باذلاً كل رخيص وغال في سبيل أمتة
وبلاده . هذا كله اذا كان فهم روح الماضي فهماً صحيحاً ، وشعر شعوراً داخلياً عميقاً بما حوله
من اضطراب ، وانعكس هذا الشعور عنده في نوع من القلق النفسي لا يشتم روحه وبزعزع
كيانه ، بل يجدده ويبعثه ويخلق خلقاً جديداً ، أو بعارة أخرى اذا كان قد عرف رسالته
الى مجتمعه على وجهها الصحيح

ان من المؤرخين من يلتقي بوظيفة التاريخ ولكن منهم ايضاً قلة تطمح الى ما هو أعظم من
هذا وأسمى : الى ان تكون بين القوى التي تنظم الحياة وتصنع التاريخ . وعندي ان الأزمات
والاضطرابات هي خير عامل ينه المؤرخ الى هذه المرتبة العليا ، فاذا ما فهم جوهر رسالته في تلك
الأوقات العصيبة وبذل جهده لتأديتها ، لم يكن مؤرخاً بالمعنى المعروف فحسب ، بل كان قوة
لا يستهان بها في خلق أمتة ، وعن طريق أمتة في خدمة الانسانية جمعاء

الغياالم

أو السّلاحف البرية

لاسماعيل مظهر

— ١ —

لعلّ القارئ يتساءل : أي شيء من جمال الخلق في تلك الصّدقات المتحركة التي ان
ثت دهمسجت ، وان سكنت استكانت وقبعت منكشة انكماش السرّ المطوي في صدر شجيع
بالكلام ؟ ولكن جمال الخلق شيء وجمال المعنى شيء آخر . فاذا أردت أن تعرف سرّاً
من أسرار الآيات اليناث في خلق الحيوان ففرّق إذن بين جمال الخلق وجمال المعنى . بل
أنه ينبغي لك أن تنظر في جمال المعنى قبل جمال الخلق . فانك قلما تقع في الحيوان على صور فيها من
جمال الخلق ما هو أبلغ من جمال المعنى ، كما أن المهندس الأعظم قد انصرف قدرته الى بث المعاني
في تضاعيف المخلوقات حتى لقد طغت على الخلق الظاهر . فاذا نظرت في مخلوق ما وأردت
أن تستمري به ، فانظر في المعنى الكامن فيه ، وهناك تسبى الآيات . والمقصود هنا بالغيالم
(جمع غيالم) وهي السّلاحف في المعنى العام . والغيالم أعضاء في طبقة عظيمة من طبقات
الحيوان تعرف بالزواحف ومنها الحيات والسّحالي والعظايا والحرباوات والناسج
والصفادع والسّادل وغير ذلك ، فانظر كيف تشعب في جميع هذه الصور المنفرقة صفات مشتركة
تستفها باريء الاكوان تفتيقاً عن صورة أولية مثالية ، فجعل منها السّام والوديع والقافز
والدّارج والمقرس والعاشيب والمتكر والسّافر والأملس والك والبادن والنحيل وذا الناب
وذا الخلب ، وغاشي البر وغاشي الماء

والسّلاحفانيات — Chelonia قبيلة عظيمة من قبائل الزواحف : Reptilia مماز

(١) طلب اليّا فريق من العلماء من قراء المتطف معرفة اسم كاتب هذه المقالات العلمية الغوية المفرغة
لي قال أدبي قزلنا على رغبتهم وبدأنا نورد اسم كاتبها الحق وهو الاستاذ اسماعيل مظهر

طبقاتها بصور ثلاثة: الأولى الغيال *Tortoises*: وهي بربة صرفة، والثانية اللجأ: *Turtles*: وهي بحرية صرفة، والثالثة الطرايين^(١): *Terrapins*، وهي نهريّة أو بحيريّة. وسنفرّد لسلك من هذه الصور بحثاً خاصّاً نلم فيه بالكثير من جمال المعنى الذي بثته الطبيعة في تضاعيف هذه الصدقات الصلبة، المنظوية على أحياء فيها من آيات الخلق اليبّنة، ما تقر القدرة البشرية بالماجز الكامل عن إدراك أنفه توافه.

لم يفت أوائلنا الكلام في هذه المخلوقات. ففي الديميري (٢: ٢٤) السلاحفة البرية واحدة السلاحف، قال أبو عبيدة: وحكى الرواسي *سلاحف*، وهي بالهاء عند الكافة، وعند ابن عبدوس *السلاحف* بغيرها، وذكرها يقال له الغيلم. وذكر الديميري السلاحفة البحرية (٢: ٢٥) فقال هي اللجأة. وذكر اللجأ: فقال نوع من السلاحف يعيش في البر والبحر (٢: ٣١٦). أما اختيارنا للفظ الغيلم وجعله عنواناً لهذا المبحث فجباً منا في تخصيص اللفظ للمعنى العلمي. ذلك بأننا إذا قلنا السلاحفائيات قصدنا: *Chelonia* وهو اسم القبيلة وهذه تنطوي على الطبقات الأخرى: الغيال واللاجأ والطرايين (*Tortoises, Turtles, and Terrapins*). أضف إلى ذلك أن اسم الجنس ينبغي أن يدل عليه مذكر، والسلاحفة مذكرها الغيلم، وهو أحق بأن يكون اسم جنس. ومن أحق بالتقديم من خصته الشريعة بمثل حظ الانثيين؟

لو قال لك قائل إن من الحيوان ما خرج هيكله عن باطنه، وانطوى باطنه في داخل هيكله، لبدى لك الكلام في صورة يبعد على المشاهدة القريبة أن تؤثر في عقلك بحيث يسلم بصحته. ولكن إذا فوجئت بالمثل وقيل لك انظر هذا الغيلم! أأست ترى أن هيكله قد ركب جسمه فبرز، وأن جسمه قد انطوى في داخل هيكله فخفي، كأنما الطبيعة تريد أن تقول لك بفصاحتها الصامتة: كيف ترى؟ أليس لي القدرة على جعل الآية ونقيضها آيتين؟ فما يكون من عقلك إلا أن يسلم بأن النقائص أصبحت بدهيات.

إذن فهذه الصفائح القرنية التي تراها متراكبة على ظهر الغيلم ليست سوى هيكله الظاهر وهو يتألف من صدفة عليها يقال لها في لغتنا «الذبل» — *Carapace*، وقد تسمى أيضاً الصفيحة أو الصدفة الظهرية أو الترس الظهري، ومن صدفة سفلى سميتها «الصدرة» *Plastron* وقد تسمى أيضاً الصفيحة الصدرية أو الترس الجوفي أو البطني. والقاعدة المطردة في خلق الغيلم

(١) *Terrapin*: Formerly also *terapin*, *terrapene*, *turpin*: supposed to be of Amer. Ind. origin. *Cent-Dict* p. 6246, vol. VIII.

يذكر معجم سنشوري أن الكلمة اميركية هندية فربتها: الطرايين بفتح فسكون والجمع طرايين، لانه اسم اهلي يعرف به الحيوان في مراهيه

أن الذبل والصدرة يتحدان من لدن الجانبين بصفائح عظيمة ، وفي بعض الاحيان يتصلان برابط من الانسجة الضامة : Ligament ، وفي مقدم هذه الصدفة ومؤخرها منفذان يحبر الحيوان من خلالهما اجزاء الظاهرة الى الداخل فتختفي اختفاء كلياً أو جزئياً . وهناك ثقب الرأس والاطراف والذنب ، فلا يبقى من ذلك الزاحف غير الصدفة الشوهاة التي لا تقدر على شيء الا أن تدرأ عن الحيوان ماتدرأ من عاصف الاحداث

أما الذبل ، ذلك الغطاء القرني ، فيتألف من خمسة تروس هيكلية ^(١) ، على كل من جانبيها أربعة تروس ضلعية ^(٢) وقد تكون خمسة . وأسفل هذه تكون التروس الحفافة ^(٣) ، ويسمى الامامي منها الترس القفاوي ^(٤) كما يسمى المؤخري منها ، وقد يكون مفرداً أو مزدوجاً ، الترس الذنبى ^(٥) أما التروس الحفافة الوسطية ^(٦) وهي التي تقع بين الحفافة الامامية والحفافة المؤخرية ، فتختلف في العدد باختلاف الاجناس . ذلك في حين أن الصدرة ، أو الصدفة السفلى ، تكون متشعبة بعدد غير ثابت من التروس . وهذه ، مع تروس الذبل ، لها أثر رئيسي في تصنيف صور الغيالم المختلفة في علم المواليذ

اذ احدثنا رجماً الى الازمان الاولى ، الى الخطوات التطورية التي فتقت فيها الطبيعة بعض صور الحيوان من بعض ، رأينا أن الغيالم كان لها غطاء ، ولكن من آدم ولحم ينظمر فيه أكر من العظام . وفي مدارج التطور ازدادت تلك الأكر حجماً . ثم اتحدت فصارت غطاء متصل الاجزاء . وهوناً على هون تضامرت العضلات التي كانت تحت تلك الأكر ، حتى استقر الذبل واتصل بالسنانين وهي تلك النواشز العظمية التي تبرز نحو الظهر من العمود الفقاري ثم انضمرت السنانين بدورها شيئاً بعد شيء ، حتى زالت تماماً ، وهناك استقر الذبل فوق الضلوع مباشرة ، ثم تداجت الضلوع في الصدفة تدريجاً وحالاً بعد حال ، حتى بلغ من أمرها في الغيالم الحديثة انك لا تستبين منها الا أثراً بعد عين ، كأطرافها أو رعووس الشراسيف ^(٧) منها . وبر الاحقاب اندمج القص أي عظم الصدر في الصدفة السفلى ، وهي التي سمينها الصدرة فلم يبق في السلحفايات العائشة وهي الغيالم والابجأ والطرايين من العظام غير اللوح الكتفي والنوش ^(٨) أي عظم الورك . وقد يبرز هذان العظمان من الصدفة في الافراد غير البالغة ، ولا يحتفیان الا بعد أن تبلغ الصدفة كالنماها يبلوغ الحيوان

(١) Vertebral Shields (٢) Costal Shields (٣) Marginal Shields (٤) Nuchal Shield (٥) Caudal Shield (٦) Intermediate Marginal Shield (٧) الشرسوف (بضم فسكون فضم) : غشروف معاق بكل ضلع أو منقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن (القاموس) (٨) النوش : وصلة ما بين المعجز والنت (القاموس) عن الدكتور شرف

ولكن لكل قاعدة شواذ . فان من السدحفاثيات صورة لم يحجر عليها ذلك التطور الذي وصفنا . فهي بذلك عنوان على الماضي وأثر من آثاره تدل عليه . وقد يسمى هذا الزاحف اللجأ الأدمي^(١) فان ذبله يتألف من عدد عظيم من الأقراص العظمية المترابطة ، من فوقها بشرة ادمية أي جلدية ، قد تبلغ نصف بوصة سمكاً . كذلك تجد لهذا الحيوان طبقة من العضل تفصل بين الزروس وعظم الفقار والضلوع ، فتصير هذه العظام طليقة ، فلا تنصل بالذبل اتصالاً ما ولا شك في أن ذلك الغطاء القرني الصلب الذي تدرع به الغيالم ، دريئة قوية يحتمي بها الحيوان من أعدائه . ولقد نعرف أن بعض الغيالم في قدرته أن ينكش في داخل صدفته فيغيب فيها الرأس والأطراف والذنب . ولكن هنالك من آيات الخلق في هذا الحيوان ما هو أبلغ من هذا . فان من الغيالم ما يستطيع ان يتغلق الصدفة على نفسه بعد أن ينسحب الى داخلها ، فيصير الحيوان أشبه بكرة . ذلك بأن الذبل (وفي بعض الأحيان تكون الصدرة ايضاً) مهياً بمفصلات (Hinges) مستعرضة ، تحكم سد الصدفة على الحيوان ، فكان الصدفة حصن منيع

مما خصت به الطبيعة الغيالم : قوة الأطراف . ولكي تكون هذه الأطراف ملائمة لحياتها ، سوّتها الطبيعة على صورة الكرية ، وهيائها بأظافر قوية صلبة . ذلك على العكس من اللجأ والطرايين ، فان حياتها المائية لا تجعلها في حاجة إلى الأظافر وتأكسّر الأطراف . لهذا عدلت الطبيعة عن ذلك وهيائها بأطراف أنحل من اطراف الغيالم ، ووترت ما بين الاصابع فوصلت بينها بغشاء يساعدها على السبح . فانظر كيف نهائى الطبيعة بين الحيوان والبيئة ، كأن للطبيعة عيناً حكيمة تنظر بها ، وعقلاً مدبراً يضع الاشياء في مواضعها ، فلا غيب ولا إفراط وفي الغيالم قدر عظيم من القوة الحيوية . ففضلاً عن انها تستطيع أن تظل بغير طعام عدة اشهر من غير ان يظهر عليها تغير حيوي ما ، فالمعروف انها تقدر على ان تمشي مسافات كبيرة بعد ان تقطع رؤوسها وتفصل عن اجسامها ، أو بعد أن تنزع أدمغتها^(٢) من جماجمها . والغيالم من الممرات . فقد قيل ان غيماً كان في حديقة « بيشوب » بمدينة « بتر بورو » ، عاش أكثر من عشرين ومائتي سنة . وحصل « لود » ، رئيس اساقفة « لامبث » على غيلم سنة ١٦٢٥ ، مات في سنة ١٧٥٣ وبالرغم من ان هذا الغيلم قد ظل حيث نقله « لود » ثمانى وعشرين ومائة سنة ، فانه لم يمت حتف انفه ، بل مات باهمال بستاني عهد اليه في أمر القيام عليه . وبالرغم من ان الغيالم تعمّر الى أرذل الاعمار ، فمن العجب العجائب انها تموت محتسقة إذا ما ارغمت على ان تظل أفواها

(١) Leathery Turtle (٢) الدماغ علمياً هو ما يتألف من المخ والرنخ والمخيخ:

Cerebrum, Cerebellum, and Procerebrum

مفتوحة زمناً مآء ، أو سُددٌ منها المنخران بلفافة من قطن مثلاً . ذلك باب الزواحف تنفس بطريقة تختلف كل الاختلاف عن الطريقة التي تنفس بها الحيوانات المتنفسة برئاتها ، ما عدا الضفادع والشرغ (Toads) والسماذل . فانه لا تستطيع أن تملأ رئاتها بالهواء ثم تفرغها بان تمدد الصدر ثم تقلصه . ذلك بأن ليس لها ضلوع متحركة ، واحكام الصدفة على الصدر يمنعها من حركة التنفس المعروفة . فاذا أراد الغيلام أن يضخم رئته بالهواء سدّ فكيه ، ويزيد اتساع فجوة الفم بأن يرُدّ اللسان الى أسفل فيحدث بذلك خسواء ينحدر اليها الهواء من المنخرين ، ثم تمتد الاسلة (وهي طرف اللسان) لتضغط فتحتي مجرى الأنف من الداخل فتسدّها ، فينزلق ملء الفم هواء من خلال قصبة الهواء الى الرئتين . وبعبارة أخرى نقول ان الهواء يبتلع ابتلاعاً بل يجترع اجتراحاً ، لا أن يؤخذ شهيقاً ويرد زفيراً . ومما هو واضح أن طريقة التنفس على ما وصفنا لا يمكن ان تتم إذا ما ظل الفم مغفوراً

وليس للغيلام أسنان . بل إن أفكاهما قد هيئت بحافة قرنية تصلح للقطع . ويمكن التفريق بين السلاحف البرية والبحرية بان صدفة الاولى تكون أشبه بقباء مرتفع . أما صدفة الثانية فنظامنة . والغيلام جميعها من العواشب ، ماعدا نوع واحد يعرف باسم « الغيلام الصُنْدُوقي » (Box Tortoise) فانه يختلف في غذائه عن بقيتها بمض الشيء . فقد يأكل الى جانب الاعشاب ، أنواعاً من الديدان والحزون والضفادع . والانواع الضخام من الغيلام في استطاعها أن تأكل كل بعض الخضر الكبيرة كالكرنب . ولكن الببيلات (١) منها تغتذي بالحشائش والخس ، وغير ذلك من الخضر اللينة

أن أشهر أنواع الغيلام هو النوع المعروف باسم الغيلام الاغريقي (Greek Tortoise) وهو يستوطن جزيرة كورسيكا وجزيرة سردينيا وإيطاليا وبلاد البلقان وسوريا . وقد يبلغ طول الفرد منه خمس بوصات ونصف بوصة . وقد يتفق أن الكثيرين قد تذوقوا لحم اللجأ (السلاحف البحرية) . ولكن لا يذكر أحداً أنه عرف أن الغيلام (السلاحف البرية) مما يؤكل . ذلك في حين ان الواقع أن لحم الغيلام الاغريقي ، وبخاصة الدماغ ، مما يؤكل في أنحاء صقلية وإيطاليا بعد نقعه في الخل ، وان هذا الغذاء مما يشتهيه الكثيرون من الناس هنالك ، وكثيراً ما تعرض هذه الغيلام للبيع في الأسواق كما تباع اللحوم والطيور والخضر

حلم القبلة

خليل شبيب

يا حلماً أسعف فيه الهوى بقبلة ناعمة طاهره
سُقيتُ منها كوثرًا ذُوِّبَتْ فيه أمانِي نفسي الحائره
كما تذوب الشمس في جدول تشرب منه الأزهر الناضره
سلافة قطرها ساحرٌ تستلب الروح بها ساحره
أججت الحرقه لئلا أقرت العاطفة النائره
خلاصة العمر تملئها في رشفة حاملة طاهره
سكنتُ روحي في نضاعيفها عصارة من مهجتي قاطره
أنشودة السعد ، بها غرّدت آفاقُ هذا العالم الناظره
وقعها النور على مانج من سحره في لمح طاهره
كأنما الدهر أتاني بها مُلخصاً دنياي والآخره
ما الروض بالزهر وأطيّاره وما ليالي القمر الساهره
وما حياة الصفو منهولة بالحب عن غُرَّتِه صادره
مامعاني الخلد قد حققت خفيها موفورة وافره
سوى خيال الظل من قبلة وضاعة رفافة طاهره
يا حلماً عشتُ حياتي به لشقوتي ، ما وعت الذاكره

حقيقة التحليل النفسي

للاستاذ موكسلي

نقلها الى العربية : حسن السلمان

مدير منطقة معارف البصرة

— ٢ —

فرويد والفروق الفردية عند الاطفال

من أهم النظريات التي جاء بها فرويد نظرية الفروق الفردية عند الاطفال . فقد قسم فرويد الاستعدادات الفطرية — او كما يسميها بعض علماء النفس الميول السلوكية — الى فروق ذاتية وفروق جنسية . وقد نالت الفروق الجنسية النصيب الأوفر من بحثه ودراسته ويرجع ذلك الى اعتقاده بأن الفروق الجنسية في البالغين ليست بناجحة عن ميل نزوعي واحد بدأ مفعوله عند البلوغ وانما نشأت عن ميول جزئية متأصلة في الاطفال . ويصنف هذه الميول الجزئية كما يلي : (١) الميول الجزئية المتعلقة بالفهم وتظهر في شكل حب الطفل للرضاعة ورغبته في مص حلمة ثدي أمه (٢) الميول الجزئية المتصلة بالشرح وتصل هذه بالطرف الآخر من القناة الهضمية ، وتظهر عند الأحداث في شكل الاهتمام بمواضع التبرز (٣) الميول الجزئية المتصلة بأعضاء التناسل (٤) الميول الجزئية التي تظهر في شكل حب الظهور أو حب النطلع (٥) الميول الجزئية المتصلة بحب التعذيب أو حب الاستسلام أو حب التألم . ويرافق هذه الميول الجزئية انفعال شهواني يعبر عن رضى الشخص واطمئنانه ، ويكون المصدر الأساسي للأعمال التناسلية التي يأتيها اليافع والكهل اشباعاً للشهوة البهيمية

ويقدر فرويد ان الميول الجزئية المارة الذكر ما هي الا سبل متشعبة من مصدر واحد هو الشهوة البهيمية ، ولهذا فهي حرة بأن تدعى بالدوافع الشهوانية . وبما لا ريب فيه ان شخصية الانسان لا تتكامل ما لم تشارك ، دوافعه الشهوانية مع دوافعه الانانية في الهيمنة على اعماله العقلية . فاذا ما كان نمو الانسان طبيعياً فان الميول الجزئية التناسلية تسيطر على دوافعه الشهوانية — فاذا ما بلغ الطفل الخامسة من عمره وصل الى دور تناسلي يدعو فرويد دور « سلطة العضو التناسلي » وتتألف هذه السلطة من نوعين مختلفين من الشعور أحدهما حسي والآخر انفعالي كاللطف والرقّة والتودد وغيرها مما يظهر به الطفل في مثل ذلك السن . وبعد

ان يجاوز الطفل ذلك السن الى دور الحمود لا تقوم العوامل الحسية بعمل ما وتظل خاملة خاملة حتى سن البلوغ ، اذ تعود اليها فعاليتها ثانية فيبلغ الانسان عندئذ دور «النضوج التناسلي» وفي هذا الدور يتم تجمع الدوافع الشهوانية فتبدأ بعض العوامل كالتضارب الفكري والكتب والاحلال تفعل فعلها -

التضارب الفكري

كثيراً ما نشعر ان افكارنا عرضة للتصادم والتضارب . فلنفرض مثلاً اني وددت الذهاب الى احدى دور السينما لمشاهدة رواية تمثل أهم أدوارها الممثلة المعروفة مارلين ديتريش . ففي الوقت الذي افكر فيه بالذهاب الى السينما تمر بخاطري فكرة أخرى هي ان الواجب يقضي عليّ بزيارة احد اقاربي الذي اصيب بمرض عضال . وتظل هاتان الفكرتان في نزاع وهلة من الزمن فاذا ما كانت الرغبة في مشاهدة الرواية قوية الأثر فان نفسي تحدني بوجود تأخير زيارة قريبي المريض ليوم آخر ، واذا ما كان الشعور بالواجب أقوى فسيحتل في نفسي المحل الأعلى فتأخذ نفسي تحدني عندئذ بان قضاء ليلتي باحدى دور السينما ليس السبيل الصالح لقضاء ساعات الفراغ وان مارلين ديتريش لا تستحق الاهتمام الذي ابدية نحوها ، وان الساعة التي انضيتها بجانب فراش قريبي ستبعث الرضى في قلبي والسرور والاطمئنان في نفسه مما سيخفف من آلامه كثيراً . وعلى هذه الوتيرة يبقى الانسان حائراً بين افكاره المختلفة الاتجاه رينما تتغلب احدى الفكرتين على الاخرى وعندئذ يتجه بكلينه لتحقيق الفكرة الراجحة الكفة

وفي بحث مقتضب كهذا ليس من السهل علينا ان نسترسل في تحليل هذه الأنواع من الاعمال العقلية ، ويكفي أن نقول عنها ان التضارب الفكري شعوري يعتمد على وجود استعدادات عقلية خاصة . ففي المثال المتقدم يوجد استعدادان مختلفا الاتجاه يعرف احدهما بالرغبة في مشاهدة الرواية السينمائية والاخر بالعاطفة نحو قريب مريض . واستعداداتنا النزوعية تعين رغباتنا . فالشخص الذي ولع بمشاهدة الاشرطة السينمائية مثلاً لا بد أن يكون ممن يجب بشخصيات شهيرات الممثلات وشهيري الممثلين ، ومن يهتم بالاطلاع على أسرار حياتهم وبمعرفة الأدوار التي يمثلونها . ومن الحلي اتنا لانهم ولا نكتث لمعرفة الأشياء التي لا رغبة لنا فيها ، والتي لا نحب أن نسمع عنها شيئاً . فاذا ما صارت لنا رغبة ملحة في شيء ما فان قابلياتنا وذاكرتنا تفعل فعلها في جمع الحقائق الكثيرة عن ذلك الشيء . فقد يسألني شخص عن كوكب من الكواكب السينمائية في لحظة أكون بها مسترسلاً في التفكير في قضية من قضايا علم النفس فلا استطيع اجابته عمّا يريد ولو أعاد عليّ السؤال في وقت اتحدث فيه عن السينما وأشرطتها وعن التطورات الحديثة في عالم السينما لأجيبته عن سؤاله جواباً شافياً . ويتضح من هذا أن استعداداتنا لتضارب بعضها مع بعض وحسب ، بل يحجز بعضها بعضاً ، حتى اذا ما كان أحدهما بكامل فعاليتها حال دون

نداعي الأفكار المتعلقة بالاستعداد الآخر ومنعنا من تذكر شيء من الأفكار المتعلقة به . وقد يحدث أحياناً أن بعض رغباتنا يتنافر بعضها عن بعض فلا ترتبط بعضها ببعض برابطة ما فيؤدي ذلك الى أن أحد الاستعدادين يطغى على الآخر ويفمره وبعد أن تمضي مدة من الزمن لا يجد الاستعداد المغمور مجالاً للظهور في دائرة الشعور ظهوراً ثابتاً فيظل كامناً منسياً . ويدعو فرويد هذه الاستعدادات بالاستعدادات المكبوتة والها يعزو مختلف أسباب الاضطرابات العقلية

الكبت والاضلال والاعتراف

من الخطأ أن يظن بأن الكبت الفكري عمل شعوري ، فالاستعدادات النزوعية وإن حاولت الظهور بشكل شعوري من حين لآخر ، يقاومها العقل ويحول دون ظهورها حتى وإن اتخذت سبلاً غير مباشرة للظهور . فمثلاً إذا ما ازداد ميل الانسان نحو العلوم الطبيعية تضاعفت رغبته في البحث فيها وفي الاطلاع على ماخفي في أسرارها ، فيؤدي هذا الى ابتعاد جميع الأفكار والدوافع المتعلقة بالعقائد الدينية عن الشعور وازوائها في اللاشعوري دون أن يكون لعقل الانسان اختيار في ذلك . وقد يكتسب الانسان في حالات كثيرة بعض العادات الخلقية فيكيف سلوكه بحسب المثل التي يقرها الدين تكيفاً غير شعوري وتبدو هذه العادات كأنها من نتائج التعاليم الدينية التي تلقنها المرء في أول حياته . وإذا ما نيه الانسان الى اعتياد تلك العادات حاول نكران تأثيره بالتقاليد الدينية زاعماً أنه غير مقيم وزناً لها

أما الاحلال فيقصد به إثارة الميول النزوعية من جراء أحوال طارئة أو من حدوث أشياء جديدة ، وتظهر هذه الميول على هيئة سلوك مكتسب جديد . ويرى فرويد وجماعة من أتباعه أن أكثر أنواع سلوك الانسان البالغ مشتقة من ظاهرات احلالية عديدة أو من ميول ظهرت في أول حياة الانسان بشكل اهتمام في التغذية والتبرز أي بتأثير الميول الجزئية المتعلقة بالفم والشرج . والمثال التالي يصور الاحلال أحسن تصوير

لفرض أن طفلاً وضعت أمامه دمية أرنب كبير ، وفي كل مرة تعرض الدمية على الطفل يصرخ أحد خلفه صراخاً عالياً مزعجاً . فيعتري الطفل بادية بدء خوف من الدمية خاصة عندما يرافقه الصراخ المزعج ، ثم يزداد به الخوف حتى يظهر عليه كلاً وقع نظره على دمية شبيهة بتلك فما السبب في هذا الخوف يأتري ؟ ان الدمية والصراخ العالي منبهان حسيان أما جواهما فهو فزع الطفل من الصراخ وهذا الفزع يستحيل الى الخوف من صورة الدمية أو من كل ما يشبه الارنب . ان للأطفال استعداداً للخوف كلما سمعوا أصواتاً عالية وقد حل محل هذا الاستعداد استعداد آخر هو الخوف من الارنب ، ومع هذا فإن الاحلال لا ينجي الطفل من الفزع من الاصوات المرتفعة ولكن بالإضافة الى خوفه من هذه الاصوات سيظل يخاف من الأرنب او من كل ما يشابه كل الأرنب

وتظل استعدادات الانسان يحل بعضها محل البعض الآخر طالما هناك روابط تصل هذه الاستعدادات بعضها ببعض : فقد يتحول خوف الطفل من الأرب إلى الخوف من السيدات اللاتي يرتدين فرواً مماثلاً لفرو الأرب ثم يتطور إلى الخوف من المعجائز اللاتي يرتدين فرواً ناصع البياض غالي الثمن . وقد تسمع ذلك الطفل بعد ان يتقدم به العمر يتكلم ويقول انه يكره كل سيدة متكبرة لا ترتدي إلا الفرو الغالي الثمن غير دار انه لم ينطق بقوله هذا إلا لأنه كان فريسة لعدد من الظواهر الاحلالية اللاشعورية

اما الاعلاء فاحلال مؤد إلى تكوين فعاليات ذات منزلة اجتماعية في حياة الانسان ، وليس كما يعتقد البعض انه تحويل في الرغبات التناسلية وظهورها بشكل ولع في لعبة رياضية او هيام بعمل خاص فالاعلاء لا يتصل بهذه الرغبات وانما يرتبط ارتباطاً دقيقاً بميول الانسان الطفلية وفي الأعوام الخمسة الاولى من حياة الطفل تكون العلاقة بين تضارب الأفكار والكبت اللاشعوري والاحلال وبين تكون الرغبات الشهوانية غاية في التعقيد ، وانه لمن المتعذر في مثل هذا البحث الموجز ان نأتي على شروحها بشيء من الاسهاب او التطويل . ونكتفي ان نورد هنا مثلاً واحداً يشير إلى علاقة الاحلال بالميول الحزئية المتعلقة بالشرح . تسعى بعض الأمهات إلى تمويد اطفالهن التبرز في مواقيت معينة ، ولما كان الاطفال يشعرون بشيء من الرضى والسرور كلما تخلصوا مما تجمع في امعائهم من اوساخ وأقذار تراهم يحجمون عن تقييد ميولهم برغبات غيرهم . ويعزو فرويد هذا الاحجام إلى النزعة الفردية التي تكون شديدة في بعض الاطفال وتنمو بنموهم الجسمي . فالطفل يشعر بضيق محيطه العائلي فينفر منه متجهاً نحو محيط اجتماعي أكثر سعة من ذلك فينجم عن ذلك أن تتولد في الشخص نزعة فردية تنمعه عن الخضوع لرغبة والديه او من يحيطون به . ويمتد فرويد ايضاً ان الكثير من ميول الطفل النزوعية المكتسبة تنشأ عن ميول فطرية بدائية تتصل اتصالاً محكماً بالوظائف الرئيسية للجسم

ميل الطفل نحو والديه أو غرفة أوديبوس

وبعد ان يبلغ الطفل الخامسة من عمره تظهر فيه تأثيرات النظام العائلي ظهوراً آيئناً، فنكبت دوافعه الشهوانية وتركز حول ميوله التناسلية وفي الوقت ذاته تأخذ ميول الطفل نحو والديه شكلاً خاصاً يؤدي إلى ما يدعوه فرويد بوضع اوديبوس . أي ان الطفل يتغير من حيوان أعجم إلى انسان يسير النظام ويقيّد تصرفاته العرف وتتحكم في اعماله التقاليد ، ويتغير كثير مما اكتسب من عادات خاصة منها تلك التي كان يستهجها البالغون والكحول كمادة مص الاصاب مثلاً وعادة الاهتمام بأعضاء التبرز وعادة تعذيب الحشرات وقتلها وإلى غير ذلك من العادات مستعصاً عنها بعادات اكتسبها من والديه وافراد أسرته . ومما لا شك فيه ان هذا التغير يكون

مصحوباً دائماً بتعقيد في علاقة الطفل بوالديه فيشعر من جراء ذلك بأن أمه هي التي حافظت وستحافظ عليه، وهي التي تقدم له كل ما تشتهي نفسه وكل ما يحتاج إليه وهي التي اضطرت له لترك عادات الطفولة ولا اكتساب العادات « الطيبة ». ومع ذلك تكون ميوله الانفعالية نحو أمه مزدوجة الاتجاه فهو يحبها وهو يكرهها وإن كان حبه لها يفوقه كرهه حصرأً. وكذلك يكون ميله نحو والده مزدوج الاتجاه ولكن هذا الميل أكثر تعقيداً من ذلك فإذا ما كان الطفل صبيّاً شعر بمزاجية والده له في حب أمه ولذا فهو يرغب دائماً في تنحيته عنه تخلصاً من مزاجيته، وهذا الشعور كما يراه فرويد ناشئ عن عامل تناسلي. وتبلغ غيرة الطفل حدّها الأقصى عندما يجتمع دوافعه الشهوانية تحت ميوله الجزئية التناسلية فيتمالك الطفل عندئذٍ لاحتلال المقام الأعلى في قلب أمه. ويدعو فرويد هذه الحالة النفسية بعقدة أوديبوس نسبة إلى أوديبوس الذي قتل والده ليتزوج من أمه.

وتسير مع رغبة الطفل لاقصاء والده عنه عواطف أخرى معاكسة لها في الاتجاه، منها حب الطفل لوأله الناشئ عن عطف الوالد على ولده وحنوه عليه ومنها حب تقليد الطفل لأعمال والده وتخلقه بأخلاقه الناجمة عن اعتقاده بسعة علم والده وعلو قدرته ولهذا يفتشاً تضارب فكري في عقل الصبي بين فكرتين حبه وإعجابه بوالده ورغبته الملحة في التخلص منه. ويعتري البنات مثل هذا التضارب ولكنها تريد التخلص من والدتها التي تنازعها حب أبيها.

هذا التضارب الفكري هو المرحلة الأولى من مراحل تكوين شخصية الطفل. وبحسب ما يعتقد فرويد أن الأساليب التي تتخذ لحل هذه العقدة هي عامل عميق الأثر في حياة الطفل القادمة. والحل الطبيعي له هو أن يتغلب شعور الطفل نحو والده وإعجابه به وحبه له على دوافعه الشهوانية نحو والدته فيكبتها، ولا يمكن أن يتم هذا الكبت إلا بالاستسلام إلى القيود التي يرضها عليه والده. وعندئذٍ يتولد فيه ضميره أو « ذاته العليا » كما يسميها فرويد، وهذا ولا ريب انقلاب نفسي كبير في حياة الإنسان فكبت الصبي لدوافعه الشهوانية لا يؤدي إلى تغير في ميوله نحو والدته فحسب بل يؤدي إلى كبت آخر يشمل قسماً من ذاته العليا ويشمل أيضاً الكثير مما كان يفكر فيه أو يأتيه في مبدأ حياته. ومع كل ذلك فإن هذه الميول وتلك الأفكار المكبوتة والتي ابتعدت عن الشعور ستظل محافظة على فعاليتها وتبقى كجزء مهم من اللاشعور مؤثرة في الفعلية العقلية الشعورية بأساليب شتى ومحاولة الظهور متخفية وراء ستار أعمالنا الشعورية.

وبعد أن يتقدم الإنسان في عمره أو عندما يصاب باضطرابات عصبية يقل الضغط على ما كبت زمن الطفولة فتحاول تلك الأفكار والميول الظهور كأنها عمل من الأعمال الشعورية وقد ثبت أن قابليات الأشخاص للاضطرابات العصبية متوقفة على قدرتهم لاعتلاء أفكارهم وميولهم وهذه القابلية تختلف باختلاف الأشخاص ويكون جزء يسير منها فطرياً في الجزء

الاكبر منها مكتسباً أو جدرته عوامل في المحيط تحكمت فيه مؤثرات في البيئة وما يجب الانتباه اليه أن نعت الذات العليا بصوت الضمير ليس بالامر الدقيق فالتقص من الضمير هو الشعور بالواجب الاخلاقي أما الذات العليا فهي جزء من بناء الانسان العقلي وهي أكثر تمسكاً بالاهداف الاخلاقية مما هو الامر في الضمير. وربما كانت الذات العليا المظهر الديني للضمير أو هي كما يعتقد فرويد شعورنا « بالخطيئة » عندما تأتي عملاً لا يقره الدين

الاحلام في نظر فرويد

كان من جراء اتخاذ فرويد طريقة تحليل الاحلام وسيلة لمعالجة الاضطرابات المعصية ان وضع نظرية عظيمة الشأن عن طبيعة الاحلام. فقد كان يميز في اجابته عن الاحلام بين محتوياتها الظاهرية — أي الحوادث التي يذكرها صاحب الحلم كما شاهدها ، وبين محتوياتها السكامة — أي الامور التي يمكن الكشف عنها بطريقة التفكير الحر ونواة هذه المحتويات السكامة « رغبة صبيانية » مكبوتة او استعداد نزوعي مكبوت

ان الوظيفة الاساسية للاحلام هي المحافظة على استمرار نوم النائم ولا يمكن ان يتم القيام بهذه الوظيفة الاً بابدال كل عمل يهدد النائم ويحاول ايقاظه ، عملاً كان النائم يعامل نفسه بها ويتمناه ايام طفولته ثم كبت لسبب من الأسباب . فهو فرض ان العامل الذي يحاول ايقاظ النائم كان فكرة أزعجت الشخص قبل ان ينام فان هذه الفكرة تتصل بعد نومه باحدى رغباته الصبيانية المكبوتة . ويمزى السبب في هذا الاتصال الى توقف العوامل النزوعية المسيطرة على افكار الانسان في حالة اليقظة والى ضعف القوى الكابتة لرغبات الانسان ضعفاً مؤقتاً. والمحتويات الظاهرة للاحلام ان هي الا صورة ممسوخة للرغبات المكبوتة ويتوقف مقدار هذا المسخ على مبلغ تنافر تلك الرغبات المكبوتة مع المثل الاخلاقية التي يتبعها الانسان في حالة اليقظة . فاذا ما كانت تلك الرغبة قديمة جداً فلنحاول الظهور بشكل غير متخف وتكون هي سبباً لازعاج النائم وفي هذه الحالة ينقلب الحلم الى جنام يوقظ النائم وهو ينتفض رعباً وهلعاً

ولهذه النظرية شذوذ ، كما ان النظرية الاصلية للاحلام تغيرت تغيراً زاد من مرونتها وجعلها عملية أكثر مما كانت عليه سابقاً . وقد اجمع الباحثون على ان مدلولات صور الاحلام تختلف باختلاف الاشخاص — على ان فرويد وحده ظل معتقداً بان تحليل الاحلام هو السبيل الوحيد لتفهم القوى العقلية خاصة منها تلك التي أدت الى الكبت العقلي في اول حياة الانسان

الخاتمة

ان القارئ المطلع على ابحاث التحليل النفسي يجد العرض المتقدم للتحليل النفسي غير منسجم تمام الانسجام مع ما قدم من ابحاث اختصت بهذه الناحية من علم النفس . وانه ما ان يتم قراءة

للبحث حتى تجول في عقله الاسئلة التالية : هل ما جاء بالبحث كامل الجوهر ؟ وماذا تم بامر «العقل اللاشعوري» والافكار اللاشعورية والذاكرات اللاشعورية و«الرغبات اللاشعورية»؟ وجوابنا على هذه اتنا نحاشينا ذكر هذه المصطلحات مكتفين بالميز بين «الحوادث العقلية» وبين «الاستمرارات العقلية»

يتحدث البعض من بحاث التحليل النفسي عن العقل كأنه حجرة مقسمة قسمين اختص احدهما بالشعور والآخر باللاشعور وفي كل من هذين القسمين أمور - تدعى بالافكار - وبالرغبات وبالميول الخ . هذه الأمور تنتقل من حين لآخر من احد القسمين الى الثاني فيؤثر بعضها في بعض بحسب نوع القسم الذي تنسب اليه . ومهما كانت مكانة هذا الأسلوب من البحث في العلاج العلمي للاضطرابات النفسية فإنه مبعث لخطاء كبيرة في البحث النظري وسبب ذلك ان هناك فعاليات عقلية كما ان هناك حوادث خاصة بتلك الفعاليات كالتفكير والفكر والترغيب والرغبة والتبني والمنية والى غير ذلك من الفعاليات والحوادث وعلاوة على هذا فان هناك عوامل ثابتة تؤثر في الحياة العقلية وهذه العوامل ليست الا استمرارات عقلية . ومن الواضح ان الاكتفاء باطلاق اصطلاح واحد على الفعاليات والحوادث والاستمرارات لما يؤدي حتماً الى تضليل في العرض النظري للبحث والى جعل عقل طالب البحث في ارتباك وتشويش

وعند ما يتكلم المحللون النفسيون عن «العقل اللاشعوري» فانما يتكلمون عن الاستمرارات العقلية أو عن البناء العقلي ولكنهم عند ما يشيرون الى «الرغبة اللاشعورية» وبالأخص عندما يتحدثون عن «الذاكرة اللاشعورية» فانما هم يستعملون بعض الاصطلاحات المبهمة التي تحتاج الى شروح غير مقتضبة . فلنفرض ان مريضاً عولج باحد أساليب التحليل النفسي فتذكر بعض الحوادث الماضية التي لم تخطر بباله قبل التحليل فكيف نعلم هذا التذكر ؟ ان المحلل النفسي يتكلم عن الذاكرة كأنها شيء مستقر في اللاشعور كما يستقر الحصى في قاع البحر . والحقيقة انه يعني بالذاكرة بعض الاستعدادات والاستمرارات التي ضمت الى البناء العقلي فيما مضى من حياة الانسان وهذه الاستعدادات لم تجد لها مجالاً للظهور في الحوادث العقلية الشعورية فلما عولج المريض اثرت فعالية تلك الاستعدادات فتسنى لها الظهور مع الاستعدادات الأخرى . ان الحوادث المنسية التي يتذكرها الانسان عند التحليل النفسي هي حوادث طارئة فيما مضى من حياته أما استدكارها فأمر جديد وسيكرر هذا الأمر كلما تذكر المريض تلك الحوادث المنسية

ان الانتقادات الموجهة الى نظريات فرويد كثيرة الا ان هذه النظريات على ما هي عليه من نقص ومن نواح ضعيفة لكيرة المقام في العلاج النفسي لمعظم الاضطرابات النفسية . وأما منزلتها في تفهم طبيعة حياتنا العقلية فلا تقدر . وانها ولا ريب فاتحة لبحاث جديدة ولدراسات واسعة يقوم بها البحوث النفسيون المعاصرون

اشواق !!^(١)

لعبر الرحمن الخبيسي

يا طيبي ظمئتُ روعي الى رشفة النور وراء الأفق
أطلقوني .. إني في جسدي بلبل ضاق بسجن مغلق
طال حبسي وأنا ما عشقتُ مهجتي غير الفضاء المطلق
آه يا حريقي .. حريقي من وراء الغيم .. حلي موتقي
أنقذني من كياني الضيق

هذه أُمِّي تناديني وقد فصلتُ من حلقات الزمن
يتخطى السحب وثباً صوتها ساكباً أصداءه في أذني
باركيني .. حلتني في مخدعي خلصيني من قيود البدن
وأنيدي لي سبيلي .. إني أنا في الدنيا غريب الوطن
نهشت قلبي نيوب الشجن

غام لي الحاضرُ فاغتنال الأمل ذوب نفسي وبقايا أضلعي
وتهاوت أنجم الماضي على صفحة الذكرى فهاجت أدمعي
أين أُمِّي؟ أين واريثُ أخي؟ كيف غابا ولقد كانا معي؟
أفقرتُ دنياي من أغراسها وأنا أرهب عيش البلقع
فإلامَ يحتويوني هامي؟

يا طيبي ظمئتُ روعي الى رشفة النور وراء الأفق
أطلقوني .. إني في جسدي بلبل ضاق بسجن مغلق
طال حبسي وأنا ما عشقتُ مهجتي غير الفضاء المطلق
آه يا حريقي ... حريقي من وراء الغيم ... حلي موتقي
أنقذني من كياني الضيق ...

(١) هذه القصيدة هي النشيد الاول من ملحمة « فجر الموت »

الطب المصري القديم

خرافتان مصريتان قديمتان
أخذ « الأثر » والوقاية بتعاطي المياه السحرية

للكرنول - حسن كمال

الغرض من هذه المقالة هو اظهار اصل خرافتين شائعتين بين سكان القطر المصري يرجع تاريخهما الى حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد أيام العائلة العشرين . وهاتان الخرافتان — « أخذ الأثر » والوقاية بتعاطي المياه السحرية — وردتا عرضاً في إحدى الروايات الدينية المكتوبة بالخط الهيراطيقي على قرطاس مصري قديم محفوظ بمتحف تورين (Turin) بإيطاليا. وأول من نشر هذا القرطاس هو پليت (Pleyte) وروستي (Rossi) ^(١) ثم ترجمه ليفير (Lefébvre) ^(٢) بالفرنسية وفيدمان (Wiedmann) بالألمانية ^(٣) وبعد ذلك لخصه كل من الاستاذين ادولف ارمان (Adolph Ermann) ^(٤) وجاستون ماسيرو (Gaston Maspero) ^(٥) ثم أتى المستر بدج (Budge) فنقل نقوش هذا القرطاس من الخط الهيراطيقي الى الهيروغليفية وأعاد ترجمته وطبعه

والقرطاس يحوي رواية دينية تعرف بقصة (رع) (أي المعبود الشمسي) وأزيس (زوجة ازوريس) . وتبدأ هذه الرواية بسرد أوصاف المعبود (رع) العظيمة بوصف كونه خالق الكون الأعظم وبذكر اسماء هذا المعبود العديدة غير المعروفة حتى للمعبودات . وكانت المعبودة (ازيس) في ذلك الوقت تعيش بين الخلق كامرأة ساحرة برعت في العزائم والقراءات السحرية أو بعبارة أخرى كانت تعيش كاحدى النساء اللاتي يشاهدن الآن في شوارع القطر بمن يدعون معرفة « فتح البخت » ورمي الودع وقياس الأثر

ورد في القرطاس المذكور ان (إزيس) برعت في الطب ايضاً وسميت (بامرأة الطب) وهذا الجمع بين صناعتي السحر والطب كان شيئاً معتاداً عند قدماء المصريين لانهم كثيراً ما كانوا

(١) A. Z. 1883 p 27 ff (٢) Papyrus de Turin p. II 31,77,131—138
(٣) Les Origines pl 62-4 (٥) Aegypten p 359 ff (٤) Die Religion p 29

يستعملون السحر في علاجهم للأمراض المستعصية . ولا تزال تلك العادات شائعة بين منجياتنا اللاتي يمارسن فن التنجيم وعمل الحتان ويطفن الشوارع منادين « نشوف البخت ونذج ونطاهر » ، اي نقوم بعملية الوشم والحتان

قالت الرواية ان المعبودة (ازيس) استعملت سحرها بين الخلق ردحاً من الزمن حتى سمّت ثم طمحت نفسها الى أن تسمي للمعبودات والأرواح ففكرت في ذلك وقرّ رأيها على ان تعرف اسم المعبود (رع) السري الذي تترتب عليه سيادة المعبود في الكون . وكانت (رع) شديد الحرص على اسمه لأنه يعلم ان كل فرد يتوصل الى معرفته يسود عليه . فلما ظهرت لازيس صعوبة الأمر بالطرق المعتادة ابتكرت طريقة لذلك

كان المعروف بين قدماء المصريين في تلك العصور ان الساحر اذا تحصل على جزء من جسم انسان كشره أو ظفره أو بعض جلده او افرازاته أمكنه أن يسحر له ويضره ضرراً بليغاً . والسحر كما نعرف حقيقة واقعة . حتى لقد قيل إنه سحر للرسول عليه الصلاة والسلام بالنفث في المقد فوزل قوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) . كما ورد بالكتاب الشريف تأثير السحر بين الزوجين وذلك في سورة البقرة (واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولاكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)

نعود الى قصة اليوم فنقول ان (ازيس) لاحظت ان (رع) هرم وضعف وسقط لعابه على الأرض فانهزت هذه الفرصة وأخذت بعضاً من لعابه مزجته بطين وصنعت بهيمة ثعبان سام ثم تلت عليه عزائم شديدة ووضعت في طريق (رع) لعله يلدغه يوماً من الأيام وقت سياحته فوق القطر المصري

وعلى ذكر استعمال لعاب (رع) نقول ان في القطر المصري كثيراً من السحرة يشترطون أخذ « أثر » الشخص المراد سحره ويعزّمون عليه فيكون بذلك الواسطة بين الساحر والمسحور وكثيراً ما يختلف نوع الأثر في مذهب السحرة . فبعضهم يطلب شعراً والآخر منديلاً وغيره ظفراً أو ملبوساً الخ . ويعتقد البعض ان مفعول السحر يستمر بمكوث « الأثر » عند الساحر وتسمى هذه الطريقة عند العامة « بأخذ الأثر » وتشاهد يومياً بين طامتا خصوصاً فيما يتعلق بأمور المحبة والعشق

أذكر يوماً حضر اليّ مريض قائلاً انه زوج قريبة له كان ولماً بها لسكرته كرهها من ليلة الفران ولم يعد يتصورها في خياله واعتراه الأرق طول ليلة فقلت إلى ماذا تعزو هذا الأمر؟ قال كنت أحب امرأة قبلها وبلغني انها أخذت أنثري وهو مندبلي «فسحرت لي عليه» وما دام هذا «الأثر» موجوداً عندها فلا رجاء من شفائي . فحاولت ان أقنعه بإدم صحة هذه الأوهام فلم أفلح

والغريب ان والد هذا المريض وأقاربه وجمعاً غفيراً من زملائه كانوا كثيري الاهتمام به «لذلك هذا السحر» فأحاولوه على طائفة كبيرة من المشايخ واستمرّ الحال على ذلك ستة اشهر تقريباً كاد يطلق عروسه في اثنائها لولا ان الله منّ عليه بالشفاء تلى يد أحد السحرة المهرة ! وليست هذه الحادثة بالفريدة من نوعها . فكثيراً ما يصادفنا امثالها اثناء اشغالنا اليومية . والأغنية العامة الآتية خير دليل على اعتقاد العامة بهذه الأمور

أنا أعلم لك حجاب على ورق الخيار

أسهره بالليل واجتنبه بالنهار

واستعمل الثعالب في ضرر المعبود (رع) يذكرنا بما يجري الآن في السودان في جهاته المعروفة باسم بانيورو (Banyoro) فان أهالي تلك الجهة تصطاد وحش الجاموس بتثبيت ذبول الثعابين السامة بمسامير في الأرض في طريق الجاموس المذكور فتتمكن تلك الثعابين من لدغه وقتله ويقال إن ما يقتله الثعالب الواحد في اليوم من الجواميس يبلغ العشرة أحياناً . أما الفريسة الأولى فلا تأكلها الأهالي لأنهم يعتقدون انها مسمومة واما الباقي فيؤكل^(١)

قالت الرواية الدينية ان الثعالب الذي وضعته (إزيس) في طريق (رع) لدغه وافرغ سمه في جسده فأثر فيه كثيراً وسبب له ألماً شديداً فارتعش فكسأه وصرخ المعبود من الألم . فلما سمعت المعبودات صباحه أسرعته اليه . فأخبرهم بما حصل . فقالوا ان الحادث غريب لأن (رع) محفوظ بالوسائل السحرية وباسمه السحري . فأمر (رع) باحضار جميع آلهة السحر فحضرت وكانت بينهم (إزيس) فالتفت اليه قائلة (ماذا أصابك أيها الوالد المقدس ؟) فأجابها بأنه لدغ بشعاب سمه أحر من الجمر وأبرد من الماء فارتعشت أعضاؤه وضعف بصره . فاجابته (إزيس) ماكرة (خبرني باسمك أيها الوالد المقدس فان كل من يقشي اسمه بعيش) . فسررد (رع) أفعاله وصفاته الالهية وختم كلامه بان اسمه (خيرا) في الصباح و (رع) في الظهر و (تمو) في المساء ظناً منه أن ذلك كان لاقتناع (إزيس) فتبدأ حينئذ بشفائه . لكن هذه الحيلة لم تحدد (إزيس)

لأنها علمت أن (رع) لم يقر باسمه السري فامتنعت عن معالجته وزاد ألمه وسرى في جسمه السم فقال في نفسه (إن إزيس تسعى ورأى وإن اسمي سيترك قلبي ويدخل جسمها) ثم ترك (رع) مركبته السماوية التي كان يطوف السماء بها الملايين من السنين واحتجب عن الآلهة التي فيها. نخامر (إزيس) الشك في قول (رع) واتفقت مع (حوريس) على أن لا تشفي (رع) حتى يقسم لها بأنه إذا لم يقر باسمه خسر عينيه (وهما الشمس والقمر) فوافق (رع) في آخر الأمر على ذلك وخرج اسمه السري من قلبه ودخل جسم (إزيس) وأصبح (رع) في عالم الأموات ثم تلت (إزيس) عليه العزيمة الآتية - أنا (إزيس) الساحرة التي تخرج السم من الجسم وتسقطه على الأرض. لقد أخذت من المعبود الأكبر اسمه السري وسيبقى (رع) حياً. أما السم فيموت لأنه إذا عاش السم مات (رع)

وأصبحت لهذه التعويذة منزلة كبيرة في تلك العصور الغابرة. واعتاد القوم تلاوتها للوقاية من الحشرات لأنها أخرجت السم من (رع) ولكونها من ابتكارات (إزيس) ولأنها كانت الواسطة لمعرفة اسم (رع) السري

قال الكاتب المصري القديم (إذا قرئت هذه التعويذة على ورقة من البردي أو قطعة من السكتان أو تمثال إحدى المعبودات (تمو) أو (خروكنو) أو (إزيس) أو (حوريس) قوي مفعولها السحري. وإذا وضعت ورقة البردي المذكورة في ماء وتعاطاه الإنسان انتقل إليه مفعول التعويذة وأصبح جسمه منيعاً ضد لدغ الثعابين)

ولا تزال أمثال هذه الخرافة شائعة بين عامتنا الآن أنها حرقت نوعاً بغير الإديان فيشاهد أن بعض السحرة يتلو إحدى التعاويذ ثم يبصق في ماء يتناوله شخص آخر فيشربه وهذه الطريقة في اعتقادهم كافية لتحصين الشخص ضد لدغ الثعابين والأفاعي ويلاحظ أحياناً أن بعض العامة يلجأ إلى كتابة بعض النصوص السماوية على ورق يذاب في ماء يشربه الشخص الراغب في الوقاية من لدغ الحشرات. وتكتب أحياناً بعض تلك النصوص المقدسة على أوان تعرف عند العامة باسم (طاسات الحنطة) يصب فيها الماء ويعطى للشخص الملدوغ أو المرعوب لقصد شفائه

وهكذا وصلت إلينا خرافة قدماء المصريين محرقة يسيراً بأن الماء المسحور بقي من يشربه من لدغ الثعابين

أضرار التبغ وفوائده

للكنوز - انور اوسى - شفا بى

أليس غريباً أن يتجه الانسان بفطرته الى اقتباس ما يضره ويتنجى عن الذي ينفعه ؟
فالان يقلد اباه في اشياء معظمها ضار به ولا يقلده في اخرى تفيده . ومن أهم الاشياء التي
ينحرف لها في صغره ومحاكاة والده فيها في كبره : التدخين
والتدخين عادة عريقة تأصلت جذورها في منابت الحضارة وتدرجت معها في التقدم
والرسوخ حتى أصبحت مظهراً من مظاهرها وأداة رئيسية من أدواتها
واتباعها — على رغم مناوئة العلم لها والتشهير بمساوئها واضرارها — يتزاحمون في الاقبال
عليها والتعلق بها وكما تحوم الفراشة حول المصباح يحومون حولها وبصطلون بنارها ويقعون في
شرائها . فتراها منتشرة في كل مكان دب فيه انسان . لا يخلو منها قصر منيف ولا كوخ
حقير . وفي الحفلات والاجتماعات والمقاهي والقطار والترام والسيارة والعربة والباخرة . وعلى
متون الخيل والابل والحمار ترتفع أعلامها وتملأ الفضاء سمجها ودخانها . وربة الدار اول ما
تقدم لزائريها وزائراتها لفافة منها ترحيباً بمقدمهم قبل ان تقدم لهم الماء او الغذاء . والصديق
الذي لا يرحب بصديقه بلفافة يقدمها له عند اللقاء يكون ناقص المعرفة في آداب المجتمع والاصدقاء
وكم كانت هذه اللفافة سبباً للعارف وتوثيق الصلات وربط اواصر المحبة والصدقة بين الافراد
والجماعات كما كانت سبباً للتنازع والخصام ووقوع الكوارث في الارواح واحتراق الدور
والأماكن العامة . ويكاد يكون لها في كل منزل نكبة وأثر من آثارها الحزنة والخسائر المادية
التي تحدث بسببها كثيرة ومن العسير حصرها

ولو سألت المدخن المبتدىء لماذا تدخن وأي شيء أغراك به وسألك اليه لقال لا أعلم
والحق أنه لا يعلم لماذا يدخن سوى أنه رأى من هو أكبر منه سناً ومقاماً يدخن فاقتدى به .
ولو علم بما تتقاضاه تلك العادة من صحة ومال وما سيكون لها عليه من سلطان في المستقبل وما

تعرضه لأمراض وبيلة العاقبة عليه لتجنب السقوط في حبالها ما استطاع الى ذلك سبيلاً
ولرمى باللقافة الأولى وداسها بقدميه وامتنع من التلوي بها والعود عليها

ولو سألت تلك الفتاة الحسنة التي ما كادت تستقر في مقعدها بالترام حتى تناولت من حقية
يدها لقافة وأطلقت من فيها الجميل غلالة من الدخان : لو سألتها لماذا تفسدين شذا رضاك بهذا
الدخان السكريه أو بعبارة أخرى لماذا تدخين ؟ لقات أنها تفعل ذلك أسوة بأمرها وغير أمرها
من السيدات والفتيات أو مجاراةً لآداب الاجتماعات وتمشياً مع روحها المصري وثقافتها
الراحنة : أو امتثالاً للفتى الذي تصاحبه وتجتمع به . أو لأنها شعرت بفضاضة في مستواها العلمي
ومقامها الاجتماعي اذا لم تقلد الرجل في التدخين كما قد تفت في مسائل أخرى عندما أيسح لها الاجتماع
به والذهاب معه في رحلات نائية والتنزه وآياه في الحداثق العامة وغير ذلك من الاعذار

ولو سألت ذلك الفتى الناضج والشاب الأنيق أو الرجل العامل والسكمل المقعد أو الصبية
في الشوارع أو العجزة في الدور والمنازل أو الموظف في ديوانه أو الاديب المنشئ في مكتبه
لو سألتهم جميعاً ذات السؤال لقالوا أنهم يدخنون اقتداءً بمن تقدمهم لاشيء آخر . . وبعد ان
اسرهم العادة بقيودها وأصبحوا من أتباعها فهم يدخنون لأنهم يشعرون أحياناً بضيق في
تنفسهم وصداق في أخاخهم وخرج في صدورهم وملل من الحياة وزهد بها . وان التدخين
يسرهم عنهم مما هم فيه ويبدل حالهم السيئة بحال أحسن منها وأدعى الى تهدئة أعصابهم المضطربة
وزوال ما كانوا يشعرون به من ضيق وصداق ولو الى أمد قصير . اي مدة احتراق اللقافة
ومما لا شك فيه ان للتبغ تأثيراً خفيفاً على الأعصاب يحمل المدخن على الظن انه يسكن
اضطرابه ويذهب بالامه وهذا الشعور يغريه بالتعلق به والانجاء اليه . ويذهب بعضهم
ولاسيما الأدباء وأصحاب المهن الرفيعة الى ان التدخين يساعدهم فعلاً على القيام بمهمتهم ويخفف
عنهم كثيراً من أعبائها الشاقة، ومعظم هذه الطائفة العزيزة المحترمة يقول لولا التدخين لما استطاع
ان ينتج عشر ما ينتجه من الأعمال التي ينتجها تحت تأثيره فضلاً عن شعور الارتياح الذي
يساوره في خلال إنجازها

وهذا القول خطأ ووهم صريح لا يؤيده العلم بحال . ومع ذلك لنفرض أنهم على شيء من
الصواب فيما يدعون ، فالاضرار التي يجلبها عليهم التدخين تكفي وحدها سبباً قوياً لابطاله
والاقلاع عنه وإيثار الانتاج الضئيل بدونه على الانتاج الكبير به . على ان النجارب العلمية
التي قام بها ثقاء العلماء أثبتت — كما سأبين فيما بعد — ان الرجل المدمن على التدخين كالرجل
المدمن على الخمر وغير الخمر من المكيفات هو أقل احتمالاً للأعمال الشاقة والالعب الرياضية وتوقل
الحيال العالية من الذي لا يدخن ودونه كفاية وجهداً وصفاء على مزاوله الكتابة في السياسة

وتختلف الموضوعات الاجتماعية . ومن الشواهد المؤيدة لهذه النظرية حضرات الأفاضل أصحاب السعادة والعزة الدكتور فارس نمر باشا والاستاذ عبد القادر حمزة باشا والاستاذ الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك والاستاذ عباس محمود العقاد والدكتور أحمد زكي أبو شادي والاستاذ عبد الخالق حسونه بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والأستاذ خليل ثابت بك والأستاذ سلامة موسى والأستاذ نجيب شاهين فاهم لا يدخنون وهم قادة الأدباء في خصوصية الانتاج وسمو الانشاء . ومثالان آخران أعرض لهما احتراماً لذكرهما وهما الدكتور يعقوب صرّوف وجرجي زيدان بك وقد خلفا ثروة طائلة في العلم والأدب والتاريخ لا تضارع من غير ان يستعينا بلفافة واحدة من ذلك السم الزعاف

والذي يدعو الى الأسف الشديد حالة العامل وما هو فيه من بؤس وشقاء بسببها . فانه يكسب في يومه بضعة قروش ليحرق جزءاً منها على التدخين . ومهما يكن ذلك الجزء صغيراً فهو كبير بالقياس الى دخله وشدة حاجته الى سد ما ينقصه من غذاء وكساء له ولعائلته . واذا مرض وداهمه الداء وعرض نفسه على طبيب يقول انه في غنى عن العلاج وعن الدواء . وأما عن التدخين فليس له عنه غناه . وهذا هو الواقع ايها القارئ الكريم لا مبالغة فيه ولا تحريف فما من طبيب في هذا القطر وغيره من الأقطار الا ونصح وما فتى ينصح مريضه العامل وغير العامل في كل أمة من أمم الأرض بأن يكف عن التدخين لتأثيره السيء في صحته وذريته ولم تلق نصيحته وبالاأسف آذاناً واعية الا من عدد يسير ولأمد قصير

وبعد هذا التمهيد الوجيز الذي كنت أود ان يطول نفسه أعرض لبعض مساوئ تلك العادة التي يخضع لسلطانها اليوم عدد كبير من الخلق في كل أمة ربما تفاوت عدد المدخنين فيها بين ٣٠ و ٤٠ في المائة منهم وقد يزيد على هذا التقدير او ينقص قليلاً . وفي كلتا الحالتين ان نسبة المدخنين على العموم في صعود لسوء الحظ لا في هبوط . وعلى هذا القياس يتسم نطاق أضراره ويمتد تأثيره في أجهزة الجسم وأعضائه الرئيسية مع تعاقب الأيام . وأول تلك الأضرار ما يظهر أثره في خط الدفاع الأول للجسم الذي هو الفم ومحتوياته . وقوام هذا الخط كما هو معلوم الأسنان واللسان والحنجرة والبلعوم والهالة واللوزتان والغدد اللعابية وهي النكفية وتحت الفك وتحت اللسان . وتفاعل اللعاب قلوي . وهذه الأجزاء مبطنة بغشاء مخاطي شديد الحساسية لما ينخلله من كريات عصبية وكريات من بنائه وعلى سلامة تلك الخاصية تقوم صحة الجسم وهنائه لأن بها نميز طعم أنواع المأكول ونعرف الجيد منها والرديء . ونشعر بالساخن الحار والبارد الفار والحلو وضده والمالح والحريف وغير ذلك . وهي خاصية كما ترى خطيرة الشأن ووظيفة اللعاب او الريق هي تحويل المواد النشوية الى دكسترين وسكر وتيسير عمليتي المضغ

والازدرداد ، وهذه الوظيفة لها شأن كبير هي الأخرى . وعلم الوقاية يقول بالآثار السوء ولا نعكر عليها سياق العمل القائم به والمفتوران عليه . ومن أهم العوامل التي تفسد عليها نظام ذلك العمل هو التدخين الذي نحن في صددده لما يحمله في طياته من مواد سامة اخطرها النيكوتين وهذا اسم لسفير فرسا في البرتغال وقد أطلق عليها اسمه لأنه كان أول من بعث ببذرة التبغ الى فرسا وأظهر ميزات الخاصة به . أما الذي نقل التبغ من أميركا الجنوبية الى أسبانيا فهو فرنسيسكو فردند سنة ١٥٥٨ . وتفاعل التبغ قلوي ومفعوله مخدر خفيف استعمل في أول عهد ظهوره لتسكين الآلام الجلدية وبطل استعماله الآن كدواء . ولايته ظل مدفوناً في ذلك الركن الضيق ولم يتخذ ميكفاً ويتسع انتشاره ويزداد صيته وتظهر آثاره في كل بيئة ومكان كما هو عليه الآن وتأثير النيكوتين يظهر على أثر التدخين في كريات الأعصاب للفرد اللامية فيشلها ويبطل عملها ويفعل مثل ذلك في كريات الغشاء المخاطي المبطن للاجزاء المار ذكرها فيحدث بها اضطراباً والتهاباً واحتقاناً ويشعر المدخن بحرقان في الحلق وتهيج مزعج وخمول في ذهنه وخمود في قواه . وإذا كان من المبتدئين يشعر بغثيان ودوار وربما تقيأ ونقص جسمه بالعرق الغزير وتبرد أطرافه ويبهت لونه ويصفر وجهه وقد يغمى عليه فترة قصيرة من الزمن . وهذه الاعراض لسوء الحظ لا تدوم سوى دقائق ولو استمرت وقتاً أطول لنشأ عنها في نفس المدخن زاجر يردعه عن التدخين ولو الى حين . ولكنه يعود الى التدخين والى مزاولته والتعود عليه . وبذلك يقل شعوره بتأثيره فيه بعدما تزداد اضراره في اعضاء الجسم على نسبة ما يحرقه منه . ولو اقتصر اضرار التدخين على هذه الاعراض الاولى فقط لمان امرها وصغر شأنها ولكن الذي يحدثه هنا في الحظ الاول يحدثه اضعاف اضعافه في الحظ الثاني الذي هو المعدة وبين المعدة والفم التجويف الصدري الذي يحتوي على القلب والرئتين . وتأثير النيكوتين فيهما ولا سيما في الاول اي في القلب خطير جداً كما سترى فيما بعد . وأما تأثيره في المعدة فلا يختلف عن تأثيره في الفم مع اختلاف تفاعلها . فتفاعل اللعاب قلوي كما تقدم وتفاعل عصير المعدة حمضي ولما كل النشوية التي تتحول الى مواد سكرية بالفم لا تتأثر بالفم في غير ما ينالها من القضم والمضغ ومفعول التدخين وأضراره في المعدة والفم وغيرها من اعضاء الجسم يسير على نمط واحد لا تغيير فيه أي أنه يشل كريات الأعصاب في غشاء المعدة كما شلها في غشاء الفم ويحدث تهيجاً في الأجزاء والأغشية التي يتصل بها ويقع عليها . ففي الفم يحدث اضطراباً في الغدد اللعابية ويقلل من افرازها ويصبح الفم بحالة جفاف يتعذر معها المضغ والازدرداد وتفقد الشهية ويتغير تفاعل اللعاب تدريجياً في مدة التدخين والادمان عليه الى شبه حمضي ويتسبب عنه اضرار جسيمة في بناء الغشاء المخاطي والأسنان واللوزتين والبلعوم والحنجرة وتعطل وظيفة اللعاب كما تقدم

ذكره في النشويات فتتحد هذه الى المعدة غير مهضومة وتنزل عليها ضيقاً ثقيلاً غير مرغوب فيه . ولا شك أنها في تلك الحالة تسبب تلبكاً واضطراباً في عصير المعدة الهاضم فتزداد حموضته ويعطل افرازات غدد الغشاء المعدي كما تم في غدد الفم فضلاً عن تأثيره المباشر من التدخين الذي يحدث فيه التهاباً حاداً وآلاماً مزعجة لا تطاق . وقد ينتهي في الغالب بعد زمن قصير أو طويل الى احداث القرحة المعروفة بخطورها وأوجاعها وسيان كانت من النوع الحميد أو الخبيث فهي وخيمة العواقب في الحالين . وقد يصاب المدخن بالغليون (أو البلبيا) بسرطان باحدى شفتيه والسفلى هي المختارة في أغلب الحالات . هذا بعض ما تخلقه تلك اللفافة الصغيرة في حجمها والكبيرة في تأثيرها التي اتخذناها في بادئ الأمر للتسلية واللهو أو مجارة اللاداب الاجتماعية في أثناء المقابلات والزيارات والزخات والحلوات . وأما ما يحدثه النيكوتين في الأوعية عامة وفي أوعية القلب والقلب خاصة وأعني شرايين التاج Coronary Arteries وما أثبتته تجارب العلماء في الحيوان والانسان فهو مخيف جداً أخشى على قلب تلك الفتاة الجميلة من الافصاح عنه والأدلاء به وهي التي شئت ان تقلد الرجل في التدخين لتظهر بمظهر الفتاة المتحضرة اي شبيك مودرن وليس شيء آخر يبعثها عليه لأن التدخين في ذاته يخاف طبيعتها تمام المخالفة في رائحته الكريهة وتأثيره الخطر فهو يحدث اضطراباً في الجهاز العصبي من الخير ان تبعد عنه وتكون في منجاة منه لثلاً يظهر أثره عليها وهو من شأنه ان يناقض مزاجها اللطيف ويخرجها من مهابة خدرها ويقلل من فتنه جمالها ويذهب بشيء كثير من أنوثتها ويدنيها بخطوات واسعة من أبواب اليأس والهرم والشيخوخة قبل الأوان . ولا أنكر عليها ان في الجلوس في مقعد الترام وغير الترام من المجالس العامة أو الخاصة واشغال السيجارة واطلاق سحب الدخان منها في الفضاء وسط طائفة من الرجال ظاهرة بديمة قد يكون لها وقع جميل خاص في نفسها لا في نفس الوسط الذي حولها . فانه ينظر اليها نظرة ازدراء وبرمها بالحق والغباء ويحتقرها ويسيء الظن في كرامتها ويبحث عن البواعث التي حملتها على التباهي بهذا التقليد المضر في صحتها فلا يجد ما يسوغ إقدامها عليه وتمسكها به سوى نزع الصبا وغروره والافئ فائدة تجنيها من التدخين والعلم يقول — وقول العلم صدق لا مین فيه ولا شك في صحته — ان التدخين آفة مهلكة ليس فيه ما يفيد وهو فضلاً عن الأضرار التي تقدم ذكرها تعمل سمومه على احداث التصلب في الأوعية ورفع ضغط الدم عن مستواه السوي ويظهر في القلب اضطراب وخفقان وتضخم وسرعة في النبض مع تقطع وعدم انتظام وتصاب شرايين التاج بالتصلب هي الأخرى وبالسدادة المكتسبة وتستهدف فتاتنا الى مرض الذبحة الخطير وعاني الرئتان والحويصلات الهوائية والشعب ، الاھوال مصحوبة بالسعال المزعج والربو الثقيل وتبدو على الجسم علامات

الضئك والهرم المبكر ويتقوس قوامه وتذهب عن الوجه نضارته وبشاشته ويحل محلها التقطب والتجمد والتفرض والسامة والضجر لما ينشأها من الزلات الشعبية والرئوية وتبدو في أغلب الاحيان كأنها رجل فقط الطباع شرس الأخلاق فيه قسوة وخشونة وميل الى المشاكسة وخلق المنازعات بين الأهل والمعارف. ومن اضطربت أعصابه ساءت معيشته وعشرته. ورجائي بعد هذا الشرح والاسهاب أن تقلع تلك الفتاة عن التدخين في هذه اللحظة ولا تستمر فيه حتى يظهر عليها أثره المريع ومضاعفاته المهلكة وقبل أن يكتب لها الانتقال الى دار رفيق حياتها فتسعد به بحبها وصفاء قلبها ولا تعكر عليه الحياة بالعلل والاسقام أو بما تنجي له من بين هزال الجسم يتصيدهم المرض ويبتلعهم الموت في أوائل حياتهم من غير كبير عناء... وان تهض معي لمقاومة هذه العادة واستئصالها من النفوس السقيمة بها واذاعة اضرارها الجسيمة بين الناس ولا سيما بين أترابها ومن تمت اليهم بصلة ما. وبذلك تسدي الى امها أجل الخدمات وأنفعها واذا ما ضمنت وعدا بالكف عن التدخين ومعاونتها على محاربه ضمنت نصف النجاح. استغفر الله بل ضمنت النجاح كله كاملاً ونلت خير مكافأة يتمناها خادم أمين

وأقدم من ذلك الشاب الناهض والتي في أذنيه خلاصة ما وصل اليه بحث العلماء في مضار التدخين وعواقبه. فالاستاذ بيرل ريموند الشهير توفر على درس تأثير التدخين عشرات السنين في مدى العمر ونشر رسالة ضافية في ٤ مارس سنة ١٩٣٨ ذكر فيها مئات الحالات التي درسها والنتيجة التي وصل اليها. وهي ان أعمار المدخنين أقصر من أعمار غير المدخنين وبين المدخنين بالذات تقصر مدى الحياة في المدخن على نسبة قدمه في التدخين أي بقدر ما هو عريق في التدخين يتناقص عمره في السنين. ونشر الاستاذة جان انكليش وفردريك دليوس وجوزاف بركنس رسالة في أكتوبر الماضي عن التبغ ومرض أوعية القلب Coronary Disease عرضوا فيها لدراسة احصائية أربعة آلاف حالة منها المريض بالذبحة الصدرية وبسدادة الاوعية القلبية مع التدخين ومنها السليم من أمراض القلب ولكنها مريضة بعادة التدخين. وقد أثبت لهم البحث والدرس أن مرض أوعية القلب أكثرها حدوثاً بين المدخنين الذين دون الخمسين ويتضاعف ظهوره كلما نقص عمر المدخن. وبعبارة أوضح فقد وجدوا أن تأثير التدخين في أوعية القلب أكثره حدوثاً في الشباب الذين هم في سنك منه في الكحول. ويقل تأثيره في الشيوخ أو بعد سن الخمسين فما فوق. ويقول الاستاذ مورفي لاشك في أن التدخين يعرض المريض المصاب بمرض أوعية القلب للذبحة القلبية المريعة. وذكر حالة طبيب يعالج من ذلك الداء كان وهو يدخن يتنابؤ ذلك العارض الخيف ويذهب عنه ولا يعاوده عندما يكف عن التدخين وأن أكثر الناس

تعرضاً له وتأثراً به هم الذين تقل أعمارهم عن الأربعين والثلاثين والعشرين . ويتجلى خطر التدخين في المصابين بارتفاع ضغط الدم فانهم يستهدفون للذبحة والحنقان ما في ذلك شك واهتمام العلماء بتأثير التدخين واقتناعهم بأضراره الوخيمة يكاد يكون بادياً للعيان في كل أمة من أمة الأرض . كما وان الشواهد على كثرة ضحاياها ملموسة الآثار في كل مكان . ومن الثابت المقطوع في صحته ان الوفيات الفجائية بين العظام والأدباء وغير العظام والأدباء التي تنفجج بها هنا وهناك ترجع معظم اسبابها الى مرض او عية القلب الذي يعرض المصاب الى تلك النوبات المزعجة كما مر ذكره وتقضي عليه بين طرفه عين وانتباهتها . وليس بالبعيد بل هو في مرتبة اليقين أن يكون التدخين هو السبب الأول له او المحرض عليه . ولا اخالني بحاجة الى استعراض جميع اقوال العلماء والتبسط في شرح اختباراتهم الكثيرة فهي على ضخامة عددها وتشعب مسالكها في مختلف نواحي البحث والاستنتاج متفقة بالاجماع على ان النيكوتين او بالأحرى التدخين آفة قتالة يجب ابطال استعماله واتخاذ الوسائل المشروعة للحد من ذبوعه وفرض الرسوم والضرائب الباهظة عليه وادغامه في سلك المورفين والهروين وغيرها من المخدرات وتكبله بقيودها الصارمة الرادعة . ويقولون عند وقوع حوادث جنائية غامضة الأسباب فتش عن المرأة . وأقول والشيء بالشيء . يذكر فتش عن السيجارة عند ما يخطف الموت عززاً عليك فجأة فقد تكون هي السبب لاسبب سواها

وبعد فأرجو أن أكون قد وفقت الى إقناعك بصحة ما ألقينته عليك من نصائح يعلم الله مبلغ إيماني بها وتقدير العلم لها وأنه ليسعدني حقاً ايها الفاروق الكريم أن أنال منك وعداً شريفاً بإبطال التدخين . اليوم . بل في هذه اللحظة والوفاء به وان تنهض معي لمحاربة هذه العادة المتلافة واذاعة ما عرفته من اضرارها الجسيمة وعواقبها الوخيمة بين ذويك واصدقائك . وان تدعوهم الى معاونتك في القضاء عليها واستئصال شأفتها

ويسرني ان افضي اليك نبأ لا شك انه مما يسرك وترتاح اليه نفسك وهو ان تعلم بالزم على تأليف رابطة من شباب مصر وفتياتها المثقفين ضد التدخين وعنوانها الحالي ميدان قم الخليج رقم ١٣ بالقاهرة ، وبكل مكان يقيم فيه عضو من أعضائها المنضمين اليها وهي ترحب كل الترحيب بكل نصير يتطوع لنشر مبادئها وتحقيق أغراضها المنشودة وتنعمد لكل عضو جديد بموافاته بما يكون لديها من مطبوعات وتطبعه من نشرات ويريده من معلومات

امرأة أخرى

شبه قصة مصرية

بقلم : محمود كامل الحامي

هو — شاعر في الثلاثين من عمره

هي — فنانة في الخامسة والعشرين ظهرت ذات يوم في أفق حياة الشاعر

هي — ولكنني كنت اظن أنك احببتني هو — من أين جاءك هذا ؟

هي — من اهتمامك بي . كان يبدو عليك كما تحدث اليك أنك سعيد بهذا

الحديث . لم تظهر لي يوماً ضجراً منه

هو — إن هو ذلك الرجل الذي يظهر الضجر من امرأة شابة جميلة في

الأيام الأولى من تعارفهما ؟

هي — لقد بلغ من تعلقك بالحديث معي أنك كنت تقرأ لي طائفة من شعر فرنسي تحبه

هو — اعتدت أن أقرأ مثل هذا الشعر لفتاة منذ بضعة أعوام فلم أطق

بعدها أن أقرأ شعر الحب وحدي

هي — ولكنك لم تشر الى تلك الفتاة مرة واحدة في جميع أحاديثنا الطويلة

هو — كنت أتوقع هذا اليوم فلم يكن من السهل أن أفتح لك مغاليق قلبي

هي — هل كنت تحبها ؟

هو — مرت من بعيد في أفق حياتي هي — كما مررت أنا ؟

هو — إذا شئت هي — أنت تخدع نفسك وتحاول خديعتي

هو — تظنين ؟ هي — انني واثقة هو — إذا كانت هذه الثقة تريحك فافعلي

هي — لست طفلة حتى تتحدث اليّ بهذه اللهجة الساخرة . انني أستطيع

أن اذكرك بأمور كثيرة تؤيد ثقتي بما قلته هو — مثلاً ؟

هي — لقد ذكرني في الأيام الأولى لتعارفنا بالمرات التي وقع بصرك عليّ

فيها . مرة وأنا أتناول طعام العشاء مع ابن عمي في شرفة «جروبي» . وأخرى وأنا جالسة في ثوب البحر على شاطئ «جليم» . وثالثة وأنا أعدو لآهنة لأودع أخي في محطة الاسكندرية

هو — ماذا تنتظرين من رجل يحد أمامه امرأة تصارحه بأنها كانت تتوق الى معرفته منذ بضعة أعوام وانها ظلت مترددة في التحدث اليه حتى استجمعت شجاعته؟ أليس من القسوة ان يجابهها بأنه لم يكن يشعر بأن لها كياناً يستوقف نظره؟ هي — ولكنني فهمت انني كنت أثير اهتمامك كل مرة رأيتني فيها هو — لم نخطئي كثيراً في ذلك الفهم ولكن ... هي — ولكن ماذا؟ هو — ولكنني قبلك اهتممت ذات يوم بركن نصف مظلم في أقصى حديقة مورو بالجزيرة .. ركن منزو لم يكن الكثيرون من زوار الحديقة يلتفتون اليه . مقعد منحوت من جذع شجرة توت . وسقف من أغصان الكرم الرقيقة وسياج من العشب النامي يحجب ضجة الطريق عنه . ولقد بلغ من اهتمامي بذلك الركن أنني تعمدت السؤال عن البستاني المعهود اليه فيه . فعرفت اسمه . واكتسبت صداقته . واوصيته به خيراً وكنت كلما مررت بذلك الركن أجزلت للبستاني العطاء لكي يعني به العناية التي ترضيني .. كثيراً ما ذهبت الى ذلك «العش» وتفتدت جوانبه . وأزلت بمنديلي الرماد المتراكم على مقعده كأنني كنت أتوقع أن يكتشفه غيري . وقد حدث ما توقعته . مررت ذات يوم فوجدت عاشقين جالسين متلاصقين على المقعد . لحتهما من خلف العشب النامي فابتسمت ثم عدت أدراجي ولم أدخل حديقة مورو بعد ذلك قط

هي — ماذا تعني؟ انك تهذي، أي تشابه بيني وبين العش المنزوي في تلك الحديقة؟ هو — اكتشفته كما اكتشفتك .. وأوحى اليّ بكتابة بعض قصائدي التي أحبتها . كما أوحيت اليّ انت بكتابة البعض الآخر

هي — ولكنك تركت ذلك العش عندما اتضح لك ان غيرك قد اكتشفه . فلم تعتمد ايذائي بهذا الكلام ولم يبلغك عني انني نكثت عهدك مع رجل آخر هو — علمت أن غيري قد اكتشفك قبلي هي — «حقيقة» ماذا؟ هو — لا شعوري .. انا تقابلنا لتفترق . لم لا اصارحك بكل شيء ؟

هي — ولكن هذا كذب

هو — ليس من السهل أن تعترف المرأة بماضٍ كانت تخفيه !

هي — لم تطالبني يوماً بأن أقدم لك حساباً عن هذا الماضي

هو — ولكنك تركتني أفهم ألا ماضٍ لك ! هي — ثم ...

هو — ثم عرفت أن غيري قد سمع منك الآيات الشاكية التي سمعتها منك

ولذعت انامله العبرات الساخنة التي جعلتني أسهر ذات ليلة حتى الصباح أنظم

قصيدة خيل اليّ ليلئذٍ انها أروع قصائدي هي — خيل اليك !

هو — أجل . فقد كرهت تلك القصيدة ولو استطعت أن أجمعها من المكتبات

وأحرقها لما ترددت هي — ولم ؟

هو — لأن الوحي الذي ألهب روعي ليلئذٍ لم يكن نقيساً

هي — انني سعيدة إذ أسمع منك هذا الكلام . انك تحبني الى حد انك تغار

من ماضي قبل أن تعرفني هو — واهمة ! هي — لا . بل واثقة

هو — ان أبخل عليك بأن أدعك اليوم وأنا أتحدث اليك حديث الوداع

تعزيز بهذا « الوهم » ولكنني أقسم لك انني كنت أرجو وأنا أكتب قصائدي

عنك ان يراك الناس بعد قراءتها وبشرون اليك إذ يتبنون توّاً أنك (وحي)

تلك القصائد . أما اليوم فان ما يؤلمني هو شعور الذين عرفوك قبلي بتفاهة تلك

القصائد انهم يقرأونها ساخرين . انه شعور بالحقية لا بالغيرة كما خيل اليك

هي — لست أول شاعر ألهبت روحه امرأة أحببت من قبل وأحبها الناس

هو — ولكنني آخر شاعر يجمع بقايا امرأة لكي ينصب من هذه البقايا

تمثالاً يحرق تحت قدميه البخور ويخدع الناس فيجمعهم ليشتروا معه في ذلك العمل

الدليل . لقد أبيت ذات مرة ان أعهد بدور البطولة في قصة لي الى ممثلة من الممثلات

المعروفات اللاتي اعتاد الناس ان يصفقوا لهن . وان يملأوا أجواء المسارح بأصوات

الهلثاف بأسمائهن . وقد ظلت أبحث حتى « اكتشفت » الفتاة التي تصلح في نظري

للقيام بذلك الدور . لم يكن أحد قد سمع باسمها ، كانت مغمورة وسط دنيا من

النفاق تبذله الجماهير للمعروفات من الممثلات . فلما ظهرت في قصتي ونجحت ظلت

أشعر منذ ذلك الوقت انني صاحب « الفضل » في نجاحها . وكنت كلما انصل بي

خبر توفيقها ازداد احساسى بأني اكتشفت شيئاً لم يكن غيري قد التفت اليه من قبل . لا يعني الآن ماذا تفعل . فقد علمتها عندما عهدت اليها في قصتي ، كيف تحب كما أريد أنا ان تحب النساء . وكيف تغار كما أحب أنا ان تغار النساء

هي — ولكنني لست ممثلة . . انك تنسى نفسك

هو — أنت التي تنسين . . انك لم تتقدمي اليّ الاّ لأنني شاعر تقرأن له وتودين ان تعرفي كيف يعيش حياته الخاصة . . ها أنذا أقولها لك في صراحة . . انني أعيش هذه الحياة قصة . . بدأت فصولها يوم خفق قلبي بأول خلعجة شعرية أحياناً نبكيني وأحياناً أخرى تطلق الضحكة المرحّة من أعماق روحي . . والمرأة التي تكون الى جانبي يجب ان تعرف أنها تلعب الدور الاول في تلك القصة . . فاذا كان قد سبق لها ان لعبت ذلك الدور في حياة رجل آخر فاني أشعر على الدوام بخشيقي من شيء ما . . كلمة واحدة قد تكون لا تزال عالقة في ذاكرتها من « الدور » الأول تعود الى النفوس بها في غفلة منها أُمّمي . . « حركة » صغيرة كان يقضي الدور الاول بأن تؤديها تخطيء فتكرر أدائها وهي الى جانبي . . « اسم » كان عليها ان تردده وهي « تعيش » في الدور الاول ربما خانها لسانها فانطلق يردده مرة أخرى بحكم المادة والتكرار . هذه الخشية تجعلني لا أستطيع ان أتمدّد على الارض بعيداً عن العالم ، وأدعها تعبت بأصابعها في شعر رأسي حتى أنام وهي ساهرة الى جانبي تنتظر يقظتي . . وتحلم في اليقظة أحلامي في النوم . . يخيل اليّ دائماً انها أثناء نومي ستخطيء فتطلق تلك « الكلمة » او تؤدي تلك « الحركة » او تردد ذلك « الاسم » فأهب مذعوراً كأن رجلاً آخر أقبل ليقذف في وجهي بماض طويل لم تتصل بي جميع تفاصيله

هي — « في صوت مرتجف تدنو منه » ولكن ذلك الرجل لم يقبل بعد . .

هو — أعرف انه مقبل عما قريب . . وهذا هو الذي جعلني أفر منك .

وأحقد على اليوم الذي عرفتك فيه — هي — من أين جاءك انه مقبل عما قريب ؟

هو — انت — هي — « تشوق » انا ! كيف ؟

هو — « بيتسم ابتسامة صفراء » — ليس هذا حال من تحب حبها الاول

هي — ماذا تفعل لو انها كانت تحب ذلك الحب ؟

هو — لا تتكلم بهذا الثبات ولا تتجملد امام « رجلها » هذا الجلد .. ولا تقاوم عشرات الايام لكيلا تراه .. بل تنفقه اذا غاب وتبكي بين يديه اذا غضب .. وتسقط مغشيًا عليها في موقف الوداع . أترين ؟ انك وقفت هذا الموقف من قبل . أحبيت ، وافترقت ، ولذا تتحدثين اليّ كأنك تلقين « كلام » دور قديم سبق لك أن مثلته

هي — « نستجمع قواها » ولكنك تتحدث كأنك تودع حبك الاول هو — هذا هو الفرق بيني وبينك . ولو لم أحب في كل مرة كأنني أحب للمرة الاولى وأودع للمرة الاولى لما استطعت أن أكتب شعراً هي — اذن كنت تخدعني ؟

هو — نحن الاثنان خدعنا الناس . اذ قدمنا لهم ذلك الشعر الذي يصف غرامنا . ذلك الغرام الذي سرعان ما انطفأ . ان الناس قد شهدت اشتعال ذلك الحب ولكنهم لن يشهدوا انطفاءه هي — ولم ؟

هو — لانني لو فعلت لكان واجباً ان أذكر انك اعتدت ان تشهدي مواقف الوداع . وليس في هذا ما تزهى به امرأة مرّت ذات يوم في أفق حياتي هي — « باكية » والآن ؟ هو — لا شيء .. الوداع

هي — ولكن عينيك تلمعان بالدموع هو — هكذا اعتدت عند ما أشهد مصرع غرام في قصة حب تعرض أمامي على خشبة المسرح . او عند ما اقرأ حوار موقف وداع في قصة ما

هي — اذن هذا كان بيننا كان « حباً » هو — أجل .. ثم انطفأ هي — ربما كنت مخطئاً . اقترّب . انظر الى عيني .. ربما تبينت انه لا يزال يشتعل ، أو أنه اشدّ اشتعالاً من قبل . هو — من أنت حتى أنظر الى عينيك ؟ هي — كيف . ألا تعرفني ؟ هو — لا .. انني لا أعرفك

هي — ولكنني . أنا . أنا التي أوحى اليك بأعز قصائدك الى روحك وأقربها الى أرواح الناس

هو — من قال لك ذلك .. انك واهمة .. « يضحك ضحكة جافة » انها امرأة أخرى . امرأة لا ماضي لها .. اذكرها بالخير ياسيدي كما سوف اذكرها . الوداع

علاج لنزف الدم

يستخرج من السمك

منذ بضع سنوات كان هنريك دام من اساتذة جامعة كوبنهاغن في دنمرك يحرب التجارب في افراخ صغيرة (كتناكيت) ففست حديثاً ليعلم كيف تطعم المواد الشحمية . وفي صباح أحد الأيام وجد عدداً منها نافقاً فأجال أصابعه بين ريشها فرأى في سطح جلدها شبكة من الأوعية الدموية الصغيرة تكونت منها لطخ من الدم تسرب اليها من الباطن فنزف دمها حتى ماتت وكان يفضيها بطعام حاور لجميع اصناف الفيتامين اللازمة . ففحص الدم فوجده خالياً من « البروترومين » وهو مادة من المواد الاربع اللازمة لتنخثر الدم . فأدخل في طعام الافراخ كبد الخنزير البري والبرسيم الحجازي فوجد أنهما تشفيان الميل الى النزف فيها فسمى هذه المادة فيتامين K . وفي الوقت عينه كانت تجارب مثل هذه تجري في جامعة كليفورنيا على يد هرمان المكويست فوجد أن هذا الميل الى النزف في الافراخ يشفى باطعامها سمكاً تنناً فاستدل بذلك على أن بكتريا اللبن والفساد هي التي ولدت فيتامين الدكتور دام صاحب التجارب الاولى المذكورة سابقاً واتفق يوماً أن طالباً في كلية الطب من جامعة سنت لويس اسمه مكي قرأ أمام جمع من زملائه رسالة ألحقت فيها الامتحانات في الافراخ وكان بين الحضور الدكتور دوزي رئيس مكتب الكيمياء الحيوية (البيوكستري) فبلغ من اهتمامه بها أن جمع معاونه الأربعة في مكتبه وبينهم مكي وقال لهم ان لابد من العمل معاً على عزل الفيتامين K عن غيره ليعلموا ما هي فائدته وأي شيء يمكن ان يعمل به . وعهد الى أحدهم واسمه ثاير في تربية ٣٠ ألف فرخ . وإلى مكي في فحص طعام السمك الفاسد الذي يقدم الى الافراخ ليعلم محتوياته وإلى بنسكي وهو الثالث في تحليل البرسيم وإلى مالك كوكودايل وبجلسياس في درس الموضوع من الوجهة الكيميائية وكان هو معهما . وبدأ هذا البحث سنة ١٩٣٦ . وكانت المهمة الأولى الاهتمام الى مادة تحل الفيتامين من البرسيم والسمك الفاسد فاهتدوا اليها وهي أثير البترول — سائل يستعمل في التنظيف الجاف ومرت الايام والباحثون المذكورون يصلون شيئاً فشيئاً الى ضالتهم المنشودة حتى وجدوا أن ما اهتدوا اليه يمنع النزف في افراخهم التي يجربون التجارب فيها فقالوا في انفسهم « ألا نفعل

هذه المواد هذا الفعل في الانسان . فجاءت الاجوبة بالايجاب من أما كن متباعدة في اميركا
ودنمرك في اوربا وهي أن الامتحانات السريرية والجراحية في كوتنهاغن دلت على أن فعل
الفيتامين K في بعض العمليات الجراحية عجيب

وظهر أن هذا الفيتامين هو مادة تشبه الشحم . ومعلوم أن الشحم يهضم في الامعاء بمساعدة
الصفراء التي تفرزها الكبد فاذا اصبحت الكبد وتوابها بمرض ما لم يهضم فيتامين K وتعذر
وصوله الى الدم فيفقد الجسم قدرته على تكوين البروترومين واذا فقد هذا مات الانسان بالنزف
لأقل جرح فضلاً عن عملية جراحية

وعليه يجرع الرجل الذي يراد عمل عملية جراحية له شيئاً من فيتامين K ومن املاح الصفراء
المساعدة على الامتصاص فيعزز الدم بعوامل التخثير ويمنع نزفه حتى في اكبر العمليات الجراحية
واهتم الباحثون باستخراج الفيتامين نقياً وبعد تجارب دامت سنتين استخرجوا زيتاً أصفر
اللون قريباً كل القرب من الفيتامين التي فجر بوه في الأفراخ فلم يأت بنتيجة نافعة فعملوا ذلك بان
الفيتامين التي شديد التأثير بالنور وان نور الشمس والنور الصناعي يقتلانه . فأكب الباحثون على
استخراج الفيتامين التي ففازوا ببقيتهم بعد جهد سنة كاملة نالهم فيها البرحاء . فاذا هو زيت ليوني
اللون يستعمل في الاكثر في حوادث الولادة

ومن أغرب ما عرف عن المواليد حديثي العهد بهذا العالم أن مقدار البروترومين فيهم قليل
جداً لأسباب مجهولة فأصفر جرح بصيهم عند الولادة او في الايام الاولى منها يستنزف دمهم
فيموتون فكان الغرض الاصلي من هذا المشروع الطبي معالجة هذه الحالة . والعمل سائر على مايرام
وفي بعض الاحوال تجرع الحوامل جرعات من الفيتامين في شهر الحبل الاخير وفي غيرها تجرع
المواليد جرعات احتياطية

ومن الشواهد على مفعول هذا الفيتامين ان طفلاً ولد وبعد ولادته بثلاثة أيام وجد دم
في أنفه . فاستخرجت قطرة دم من قدمه للبحث فوجد أنها تختثر بعد ١١ دقيقة من استخراجها
وبقي دم الجرح بسيل ١٢ ساعة فجرح مقداراً صغيراً من الفيتامين فوقف النزف من قدمه
وبعد مضي ٩٠ دقيقة قصر وقت التخثر الى النصف ثم الى الوقت العادي وهو ٣ دقائق
ويقول أحد هؤلاء الباحثين ان الفيتامين لا يقطع النزف في الحالة المعروفة في اسرة أسبانيا
الملكية لأن النزف في أعضائها ناشئ عن أسباب أخرى . وهذا النزف معروف باسم « هيموفيليا »
وهو مرض وراثي نادر الوجود

وقد اقتطفنا ما تقدم من مقال بعنوان « الواجب ان لا يموتوا » والضمير عائد هنا على
عدد كبير من الاطفال الذين يموتون بعد الولادة بنزف الدم . والرجاء ان هذا الفيتامين يكون
خير علاج لهذه الحالة ولغيرها من حالات النزف

الفن للمجتمع

الدكتور ابراهيم ناجي

سادتي الأفاضل : المشكلة ليست في هل الفن لنفسه او للمجتمع وانما المشكلة في كلمة الفن وكلمة المجتمع . سنحاول أولاً أن نعرف ما هو الفن وثانياً ما هو المجتمع . فاذا وفقنا في التعريف فقد يمكن ان نصل الى نقطة يتلاقيان عندها ، في المبدأ او في النهاية او في الوسط ، فاذا تلاقيا ، فالواحد منهما للآخر ، ما في ذلك جدال ، واذا لم يتلاقيا ، فليمنح كل في طريقه وليعيش كل لذاته ، وليبق كل لنفسه ... ما هو الفن ؟؟ لقد صارت هذه الكلمة غامضة مبهمه وغدت تطلق على أشياء كثيرة لاعلاقة لها بصميم الأمر وجوهره

الحياة فن ، والتفكير فن ، والعمل فن ، حتى أن أندريه مورو في كتابه عن فن الحياة ، بمقد فصلاً خاصاً عن فن المشيب *l'art de vieillir*

ثم تدخل المطاعم والمقاهي والصالونات الفخمة ، فتجد المقاعد المنوعة والألوان المختلفة ، ونجد الأثاث مرتباً بشكل « فني » ، وحتى المذشفة تجدها وقد أقيمت على المائدة بشكل « فني » ثم تدخل بيوت المرأة وذوي الجاه فتلتقي عينك باللوحات الزيتية ، والصور البديعة الألوان ، وترفع عينك الى الستر التي تغطي النوافذ ، والى الرسوم التي في السقف ، والى النقوش التي على الجدران والأبواب فتجد كل هذا معدوداً من « الفن » ...

أما الطراز الاول فمعناه ان الفن هو الانفاق . ومعنى الطراز الثاني ان تراكم الألوان واختلاف الأضواء والحصول على اللوحات الغالية والمقاعد الأثرية ، تدعى فناً ، والصواب انها مظهر من مظاهر الترف ، وعنوان على الجاه ، ودليل على ان صاحب هذا الشيء او ذاك متميز بمكانه الاجتماعي ... وليس الاول فناً ، ولا الثاني ، والفن من هذا وذاك بريء ... وفهم الفن على هذه الصفة مفسد لأصوله ، مضيع لجوهره ، ذاهب بمناه

والفن على حقيقته شيء واضح لا يجب ان يكتفه الغموض ، ولا يجب ان يخلط بالانفاق المحض ، ولا بالألوان البراقة والأضواء المخادعة ، والظلال الكاذبة ...

لقد ذهبت استقصي جميع تعاريف الفن ، عند المفكرين والفلاسفة ، فأجبت أن أعرض على حضراتكم خلاصة تلك التعاريف وفي هذا العرض لذة وفائدة
اولاً التعريف العلمي عن شيلر وداروين وسبنسر

(١) الفن نشاط خاص منشؤه الحاسة الجنسية والميل الى اللعب ومصحوب بتأثير سار في المجموع العصبي

اما ان منشؤه الحاسة الجنسية فيكفي للدلالة على ذلك الالوان البديعة والزينة الرائعة التي تكسو اعضاء الحيوان ، وتكون على أمها في الربيع وتلك الاغاني والاغاريد المنطلقة من حناجر ظامئة عاشقة في مواسم التناسل . . . أما تأثيرها السار في المجموع العصبي فذلك ما لا جدال فيه
(٢) التعريف العملي : هو التعبير عن العاطفة بواسطة الخطوط او الألوان أو الخطوات أو الاصوات أو الكلمات

(٣) تعريف سالمي : وهو احدث التعريفات « هو الاثيان بأمر ثابت او عابر يحدث السرور في نفس المحدث لذلك الأمر ، مع تأثير سار في الناظرين أو المستمعين بلا اعتبار لأي فائدة شخصية » وجميع تلك التعاريف على محاولتها الامام مع الاجاز تتحدث عن الفن من ناحية السرور الحادث ، المنجرد من الغاية ، وقد اشار التعريف الاول اشارة جانبية الى الجمال ، ولم يشير اليه الثاني ولا الثالث ، وبقي امر هام جداً لم يشير اليه احد من هؤلاء السادة ، وهو الغاية التي يرمي اليها الفن في حياة الانسان والمجتمع

وسأفصل هذه النقطة الاخيرة ، حيث انها في رأي كل شيء ، كل الموضوع . اما الآن فلا تابع عرض تعاريف المفكرين الذين لهم أثر بعيد في تاريخ الفن او فلسفته يقول هيجل واتباعه : الجمال هو اشراق الفكرة من خلال المادة . والجمال هو جمال الروح ، والروح لا بد لها من مظهر مادي ، والفن هو الذي يحلو هاته الفكرة ، لتعبر عن اهم مشكلات الانسانية وأعلى حقائق الروح

فالحق والجمال عنده شيء واحد ، غير ان الحق هو الفكرة مستقرة ، والجمال هو الفكرة مجلوة ظاهرة ، والفن هو الذي يعبر عن الحق والجمال وهما واحد ... ويحيي تعليمه قبيسي ، فيضيف ان الفن هو مزج الذات بالموضوع وادماج الفرد في الكل ، أي جمع شمل المتناقضات وهذا هو الجمال . واما مدرسة هربرت فتقول ان الجمال ما هو الا ينسب ... وعلى الفن ان يكتشف هذه النسب . واما شبنهاور فيمزج الجمال بالارادة ، قائلاً ان للارادة طبقات مختلفة والتجرد من الذات لتأمل تلك الطبقات يحدث الشعور بالجمال ، والفنان هو الذي يملك القدرة على التأمل ، والنزوح الى الطبقات العالية !

أما شيلر فيذهب مذهب جبرانت آلن وهربرت ، فيقول ان الفن نوع من اللعب ،
ففي الحيوانات السفلى ينصرف كل هم الحيوان الى المحافظة على الحياة والنوع ، اما في الانسان
فينوفر شيء دائماً اما من القوة البدنية ينصرف الى اللعب ، وإما من القوة الروحية فننصرف الى الفن
وبقيت مدرسة بوجارتن وهي المدرسة التي اكتسحت بأرائها باقي المدارس ، وأصبحت آراؤها
هي الشائعة . ان الجمال — في رأيها — هو الكمال المطلق منظوراً من خلال الحواس ، والحق هو الكمال
منظوراً من خلال العقل ، والخير هو الكمال منظوراً من خلال الخلق ، ... والجميل هو ما
تناسب فيه علاقة الحق بالخير ، وعلاقة الجزء بالكل ، والفن هو الذي يكتشف أحسن هذه النسب
وهي على اتمها في الطبيعة وأروع الفن محاكاة الطبيعة ... وملخص هاتيه الآراء ، ان الفن اما ان
يكون شيئاً قيمياً طيباً نافعاً للخلق ، واما أن تكون غايته الجمال فحسب ، واما ان يكون معبراً تعبيراً
صادقاً عن الواقع . ولماذا كل هذه التعاريف ؟ أنا شخصياً أجد الفن أبسط وأعلى من كل ذلك
وهاتيه البساطة هي سر عظمتهم ومنفعته . لن العظيم عظيم ببساطته وقلة تعقيد ، ونافع عن غير عمد
ومؤثر بدون ان يتكلف التأثير . فلماذا نبحت في الفن عن صلته بالخير والحق ، وهما من صلبه
وفي صميمه . هذا اذا اخذنا نستعرض الفن وكيف نشأ ولأي غرض ، واذا فهمنا الحدود التي
تفصل الفن العالمي من الفن التجاري والرخيص ...

أقدم آثار الفن وجدت في الكهوف وقد تركها الانسان الاول . كانت نحتاً أو نقشاً في
الصخر أو من الصخر ولما اخترع الانسان الكلام عبر بالصوت وفي خلال جميع العصور عبر بالحركة
وهي الرقص . كان الفن في أول أمره تعبيراً . وكان تعبيراً عن عاطفة . وكانت تلك العاطفة
حباً أو عجباً أو عبادة . كانت قرباناً لحبيب أو معبود أو اله ...
على أن ذلك النقش ، ذلك التمثال السكسيك ، تلك الرقصة المكونة من ايقاع متكرر ، تحمل
آلاف المعاني ، تحمل اختصار الاحساس الشامل في صورة مركزة ، تحمل في طواياها دفع قوة
خالقة مهيمنة ، وتحمل كذلك عبقرية ساعة ، وطابع جيل

ان ذلك الدافع الاول ، ما زال يتكرر حتى الآن في الفنان واني لأتمله الآن وأشرحه
لكم كشاعر ، قد تمر بي الايام متشابهة رتيبة ، كل يوم كغيره ، وكل منظر لا يتغير عن سابقه ،
ثم التقي بشخص ، أجد فيه معنى من معاني الجمال ، أحس بقوة خارقة فوق اختياري تدفعني
الى التعبير . هذه القوة تسمى بالانكليزية ، Creative impulse — قوة الخلق ، وهناك خلق
حقيقي ؟ هل نحن نخلق حقيقة ؟ انا في الواقع تنصيد الجمال في عالم مغمور بالجمال نمر به
البيوت ولا نفهمه ولا نلتفت اليه . أجل نفع على معنى خاص ، على فكرة مستقرة ، فنأخذها
لنجلوها ونكسوها كالعروس ، ثم نقدمها قرباناً لمن نحب ... أخذنا جمال العالم فاختصرناه في

لفظة أو تعبير أو بيت ، طويئنا الشامل وجعلناه خاصاً ، اخترنا جمالاً بعينه من جمال العالم المنبت العام ، وفرحنا به كما يفرح الطفل بانتقاء لعبة من مجموعة لعبه . . . ثم قدمناها لمن نحب أو نعبد . فاذا كانت قبيحة — اذا كانت خلقاً — انمحت الحواجز التي بيننا وبينه — نفذنا الى قلبه — تمزقت الحجب — اندمج الواحد في الآخر ، ذلك هو الفن . . .

كان أنا تول فرانس يستمع الى شاعر . . فلما انتهى الشاعر من القائه قال لمن حوله ان هذا لا بد أن يكون رائعاً ، اني لم أفهم شيئاً غير انه نفذ الى قلبي فارتجفت ، والفن ارتجاف . . .
l'art est tremblement.

منذ سنوات سافرت لأزور معرضاً للفن في فينيسيا . وكنت أدمن التأمل في الرسوم والتماثيل لأقف على سر الفن العظيم . فقد مرت علي أيام قبل ذلك وأنا مزعزع اليقين . فرأيت في مدخل المعرض تماثلاً يدعى « الحنان » Tendresse لمثال مجهول . يا للفن ويا للسماء اي حنان على أي نفرو في أي امرأة ! انها تحدثك وتناحيك وتطوف حولك بروحها ، وترحب بك وتطمعك وتسقيك وتؤويك وتستبقيك . . . أجل والله صنعت بي كل هذا فكنت أجلس عند قدميها عند ما يفتح المعرض وأنصرف عندما يغلقونه لأعود في اليوم التالي الى ذراعي « الحنان » . . . ساءت نفسي طويلاً ما في هذا التمثال ؟ ماذا أحبته ؟ وأنا لا أعرف القواعد العامة التي تشرح لك لماذا هذا جميل وذاك قبيح ، لا أعرفها ولا أريد أن أعرفها فحسبي انه نفذ الى قلبي وخطبني ، ان مصدره قلب نابض مشابه لقلبي ، واحساسه احساسي وخواطره خواطري ، لذلك نفذ اليّ نواً بلا استئذان . . . وآيته تلك البساطة البادية فيه ، وتلك اللغة العامة الشاملة التي يخاطب بها الفن الفرد العادي ، انه من عواطفه نشأ ، ومن احساساته نبع ، ومن قلبه تفجر ، ولذلك يعود اليه كما صدر عنه . . . ذلك هو الفن الكبير : اللغة العامة الشاملة ، التي تستقي من روح الانسان ومن روح الطبيعة ، لتخاطب الفرد وتؤدي اليه رسالة القلب وحديث العاطفة وهي لا تحسن تأدية الرسالة إلا اذا قوي الدافع ونبل الغرض وصفا بالنبع . إن الجمال في الواقع نتيجة لكل تلك العوامل مجتمعة . وليس محدوداً ولا معروف المقاييس ، وانما هو الأثر العام الذي تحدثه تلك اللغة العامة السماوية . هذا هو الفن وتلك رسالته

ما هو المجتمع ؟ المجتمع طبقتان طبقة السراة والحكام ، وطبقة الأفراد العاديين . أما الطبقة الأولى فليس لي حديث معها ، وانما وان كانت شجعت الفن وقامت له بدور الحامي في كثير من الاوقات فاني لا أو من بذلك التشجيع ولا تلك الحماية فانهما مظهران من مظاهر الوجهة والسلطان

والفن ليس لهؤلاء السادة ، وإن كان يزين قصورهم ، ويمرض في دورهم ، ولكنه عندهم كذلك مظهر من مظاهر الأبهة . بقي الرجل العادي الذي هو أنا وأنت ، أجل أنا وأنت بالأمنا واحساساتنا وآمالنا وحبنا وبغضنا وأزماتنا الروحية وأوقات مسراتنا ، المجتمع حياتي وحياتك أيها الصديق : حياتي وحياتك تضيق يوماً وتوسع آخر ، وتشرق فيها الشمس حيناً وتغرب حيناً . وهي هاته التي يتسلسلها الفنان ومنها يأخذ مادته موسيقى أو رسماً أو نحتاً أو شعراً ، ثم يردّها إلينا ، فإذا كانت منا وردّت إلينا فحن نفهمها بلا واسطة ولا مترجم وهي بقدر ما تحدث فينا السرور والراحة بما تبر عنه من خواجنا ، فهي تعلمنا الرشاقة في الجمال ، والجلال في الألوان ، والايقاع البديع في الرقص ، وترينا كل هذا فنزاه مكبراً بأعين باطننا لأنه صادر عنها ، وعندما ينفذ الفن إلينا ، تنتقل إلينا منه عدوى تسمى عدوى الفن . أي أننا بقدر ما يعيدنا الفن بلمعنا وبسبحنا ويدفعنا إلى العمل الطيب النبيل السامي الذي عنه صدر ومنه استقى . . .

فالفن هو تلك الرسالة التي ذكرتها ، والمجتمع هو أنا وأنت . ونحن وآلامنا نلهم الفنان ونعطيه مادته ، فكيف لا يكون الفن للجميع هذا هو المجتمع ، فالفن منه وله . والآل ما هي خدمة المجتمع ؟ وماذا يراد بها ؟؟ خدمة المجتمع قسمان ، قسم مادي ، وقسم غريب عن المادة ، اما المادة ، وأقصد بالمادة ذلك الشيء الذي يجعلنا نشبع اجسادنا وشهواتنا السفلى . وهذا الشيء يمكن الحصول عليه من أي طريق غير الفن . اما الفن الذي يؤدي الخدمة للمجتمع ، فأنما يؤدي خدمة روحية ، وإذا قلت روحية فقد قلت اخلاقية ، لأن سمو الروح ينسحب توتاً على الاخلاق ، ويظلها يحملها ويكلها . . . ما هي هاته الخدمة الروحية ؟؟ انه من الثابت الذي لا جدال فيه ، ان الحياة امواج من السرور والألم ، وان الألم هو الموجب ، والسرور هو السالب ، ومن الثابت ايضاً أننا نعيش بمقلين الواعي ، والباطن ، والواعي هو مركز التفكير والارادة ، وما سبب الألم والمتاعب فهو موجب ، اما الباطن ، فهو موطن المسرات ، فهو السالب ، اي هو الوطن الذي تهرب فيه النفس من موجب التفكير والارادة إلى العالم السلبي الذي زجج فيه إلى خيالنا وشعورنا وأحلامنا . والفن الكبير يخاطب هذا الجزء من نفسنا ، يتجاوز الوعي ، ينخبط التفكير والارادة ، ليتكلم مع موضع الراحة والسرور والرضى . وكل فن يخاطب العقل ليس بفن

من هنا ينشأ السرور الذي هو غاية الفن ومبتغاه ، الراحة الكبرى التي ذكرها أبو تمام وشوقي ، وعرفاها بالالهام الشعري العجيب
هذه هي الخدمة الأولى الخدمة الكبرى للفن ، وحسبكم ذلك الأثر ، أثر السكون والرضى

والسرور والانشراح ، أثر البعد عن المادة ، ثم البعد عن التفكير والارادة وما يجلبان من شقاء وآلام . ولكن الفن لكي يحدث ذلك الأثر يجب ان يكون متميزاً بوحدة النظرة ، وتركيز الغرض

خذوا فن العمارة ، هل كل بناء نفخ يدعى فنّاً ، خذوا الهرم ، خذوا هياكل المكنون خذوا معابد آباءنا المصريين ، هل تحسبون الرهبة التي تعترينا ونحن نرى أو نحوس خلال هاته الهياكل ، مجرد أمر طارئ ؟ كلا ، ان روح هاته الهياكل أو المعابد « الرهبة » وكل حجر في أي موضع ، وكل نقش في السقوف أو الجدران ، حتى الاعمدة ، انما هيئت لتحمل روح الرهبة ، أي أن الفن يجب أن ينقل روحاً خاصاً ، أن مجرد النقل من الطبيعة ، مجرد البناء ، مجرد الشدو بالاغنية ، ان لم يحمل روح الغرض ، لا ينفذ الى أرواحنا . وهذا هو السر في أن أكثر المعروض اليوم على أظفارنا ، لا يمكن أن يخذعنا بالفضامة ولا بالالوان ولا الاضواء . ان النيل لا يعبر عن شيء ، مجرد رسمه كنهري يجري . وان الاشجار التي على شاطئيه أن رسمت كمجرد اشجار لا تعبر عن شيء . أعطني المصري الصميم الذي يعطي مياه النيل روح مصر الجلييلة العربية ، والاشجار روح مصر الوديعه الرقيقة ، اعطني هذا وانا أسجد سروراً لفنّه

إذا نفذت هاته الروح الى روحي ، فقد حدث ما قد سبق الى الفنان الحق وهو بصوره ، حدث ما يسميه شوبنهاور حَفّاً زواج الفن ان الشيء يغدو أنثى . والفنان يكون ذكراً بكل معنى الرجولة ، ويعقب ذلك زواج ، ويعقبه حمل فيلاد خلق !

فاذا كان غرض الطبيعة في الأصل خدمة المجتمع بواسطة انتشار النسل والعمران وازدهار الربوع ، واذا كانت الطبيعة تتحايل من أول الخلقه على ذلك الأمر وتنصب له الشراك والفضاخ وكل حيوان انما يعمل لذلك التناسل ، كل حي يعمل له ، فاذا فرغت بعد ذلك ، انصرفت الى زواج أعلى ، وظل الخلق جارياً ولكنه من طراز سماوي . وغايته اروع من ذلك الغرض الأول ، ان الغرض الأول يقتضي الجري والسعي ، والتعب والسكد والجهد ، وأما الغرض الثاني أي زواج الفنان بموضوعه ، ثم اندماج الفنان في الناظر الى أثره الفني ، — غرضه ، ذلك الخلق المتكرر والميلاد المتصل ، خلق المعجزات ، التي تخاطب الاحساس والشعور والخيال ، وتثبت بدورها ان الله القدير لم يخلق شيئاً عبثاً ، وأن الله الذي خلق هذا المجتمع ، لم يخلق الفنان عبثاً ، وانما ليعخدم المجتمع خدمة تملو بمادته عن الطين ، وتصعد بروحه الى آفاق النور وأراج الاسرار الالهية وماذا تريدون خدمة للمجتمع بعد ذلك

المجهر الكهربى

يكبر الاجسام ٣٠ الف ضعف

اخترع نوع جديد من المنظار المكبر او المكروسكوب الذى اصطلح على تسميته بالمجهر وهو جهاز تستخدم فيه الكهربات بدلاً من أشعة النور العادى والحقول المغناطيسية عدسات بدلاً من الزجاج

وعندنا الآن ثلاثة انواع من المنظار المكبر او المجهر: الاول المجهر العادى الذى يستخدم فيه النور العادى وأقصى تكبيره لا يزيد على الف ضعف

والثانى المجهر الذى يستخدم فيه الأشعة التى وراء اللون البنفسجى من الطيف الشمسى. وهذه الأشعة هي ذوات امواج قصيرة جداً حتى لا نراها ولا نرى بها الاجسام ، ولكنها تؤثر في الالواح الفوتوغرافية . ويستطيع تصوير الاشباح به مكبرة خمسة آلاف ضعف

والثالث المجهر الذى نحن بصدد الكلام عنه وتعمل فيه امواج أقصر من الامواج البنفسجية فيكبر الاجسام ١٠ آلاف ضعف الى ٣٠ ألفاً . وأكثر من هذا ان الصور تكون به دقيقة التفاصيل حتى يمكن تكبيرها مائة الف مرة الى مائتى الف وحتى تمكن رؤية الاجسام التى حجمها جزء من ٥٠ من التى تمكن رؤيتها الى الآن

وقد تولى صنع هذا المجهر شركتان كهربائيتان كبيرتان الواحدة في المانيا والاخرى في أميركا . وانضم الى الدكتور زوروكين في الثانية بعض الخبراء ، وهم الدكتور مارتون البلجيكي وجيمس هيلار من جامعة تورنتو وارثر فانسن المختص بالمباحث الكهربائية العملية

ومن عادة العلماء التحفظ في اعلان ما يخترعون او يكتشفون واذا عتبه على الملأ وهذا هو الشأن في هذا المجهر ولكن اخباره تسرب شيئاً فشيئاً من الأماكن التى يحجب فيها . فقد صورت به بعض انواع البكتيريا التى لم تصور الى الآن . وقد ظهر أن لجراثيم الحمى التيفودية اهداباً متموجة بارزة من أجسامها . وظهر ان لجراثيم السعال الديكى تركيباً باطنياً عجيباً لم يعرف كنهه حتى الآن ليمكن الانتفاع به عملياً

وقد تقاطر العلماء من المختبرات الصناعية في كل ناحية لمشاهدة المنظار في كبدن من ولاية

نيوجرزي الأمريكية ، ومعهم نماذج مختلفة ليفحصوها ثم عادوا من حيث أتوا وقد ملئوا عجباً بما رأوا . وعلم من ألمانيا حيث صنع المنظار الآخر أنهم انتفخوا به صناعياً في تحسين صناعة الأسمت . وهم يدرسون الآن طبيعة غبار المناجم آملين أن يحلوا بذلك مشكلة صحة المعدن . ومنظر هذا المجهر المعروف باسم المجهر الكهربى بسيط على عظم ما يرجونه منه في توسيع دائرة علم الانسان بالكون . فهو أشبه الأشياء بعمود طوله ست أقدام ونصف . وفي باطنه عند رأس العمود سلك دقيق من التنجستن فاذا اطلق عليه تيار كهربائى قذف أمواجاً من الكهرباء تنأثر بالقوة المغناطيسية . وهذه الأمواج تجمع في بؤرة . ويجب أن يكون باطن العمود خالياً من الهواء حتى تسيل تيارات الكهرباء بسهولة غير مصطدمة بدقائق الهواء . والعجيب أنهم صنعوا جهازاً مفرغاً من الهواء ولسكنهم يستطيعون ان يدخلوا فيه الشراخ لفحصها بغير ان يدخل الهواء . ويقدر العارفون لهذا المجهر نفعا عظيماً في كشف مكروبات الامراض التي لم تر الى الآن بما عندنا من انواع المجهر المعروفة مثل مكروب الانفلوزا والزكام العادي والسرطان . وفي رؤية الفيتامينات والانزيمات وجزيئات المادة . وهذا بعيد الاحتمال الآن ولسكنه مرجح نظرياً . ومن شأن علمنا بجزيئات المادة أن يجعل تقدم الكيمياء والعضوية لأن العلماء يوفرون برؤية الجزيئات كثيراً مما ينفقونه من التعب والوقت في تبيين تركيب الجزيئات لمجاراته بالتأليف الكيميائي . ومعرفة تركيب الجزيئات العضوية أفضت الى النيون والحرير الصناعي والمطاط الصناعي واشياء كثيرة غيرها

وهذا المجهر يولد تياراً قوته من ١٠ آلاف فولط الى ٩٠ ألفاً وموجة طولها ٥٠ انجستروم (الانجستروم جزء من عشرة ملايين المليمتر) أي نحو حجم الاشياء التي ترى الآن به

إن جميع الذين أدهشهم آيات العلم التي كشف عنها المجهر يسألون محيرين لماذا عجز علماء البصريات عن صنع مجاهر كبيرة قوية تستطيع ان تنفذ الى أدق الاجسام المادية . فهم يقرأون عن الارتقاء العظيم في صنع المراقب الكبيرة بحيث تستطيع عدساتها الضخمة ان تجمع قدراً من الضوء أكبر مما تستطيع العدسات الصغيرة وبذلك يتمكن الراصدون من التغلغل في استكشاف أقصى الاجرام السماوية وأخفاها ضوءاً . ثم يطالعون ان هنالك من الاجسام المادية ما تعجز أقوى المجاهر المعتمدة الآن عن تبيينه ، كالحياة الدقيقة التي تحدث طوائف من الامراض والجزيئات العضوية ودقائق التركيب المعدنى فيسألون لماذا لا يلحق صناع المجاهر بصناع المراقب . ولسكنهم اذا طالعوا المؤلفات الخاصة بهذا الموضوع زال عجبهم لانهم يدركون حينئذ ان المجاهر التي

تعتمد على الضوء لها حدود في تكبير الاجسام. فأطول أمواج الضوء المرئي هي امواج اللون الاحمر وطولها نحو جزء من ٤٠ الف جزء من البوصة وأقصرها أمواج اللون البنفسجي وطولها نحو جزء من ٨٠ الف جزء من البوصة ولا يخفى أن تحت الاحمر أمواجاً أطول من أمواج اللون الاحمر وان فوق البنفسجي أمواجاً أقصر من اللون البنفسجي . والقاعدة العامة في تعيين قدرة المجهر على تبين الاجسام أنه اذا رسم خطان أمام عدسته وكان البعد بينهما جزءاً من ٨٠ الف جزء من البوصة — أي نصف طول موجة اللون الاحمر — استطاع المجهر أن يتبين المسافة بينهما

فاذا كانت المسافة بينهما جزءاً من ١٦٠ الف جزء من البوصة — أي نصف طول موجة اللون البنفسجي — استطاع المجهر ان يتبين تلك المسافة اذا كان الاعتماد على اللون البنفسجي وحده أي اذا كان اللون البنفسجي وحده معكوساً عن السطح الى العدسة وهنا يسأل القارئ : لماذا لا نستعمل الاشعة التي فوق البنفسجي فنستطيع ان يتبين بها أجساماً أصغر من الاجسام التي نتبينها بالاشعة البنفسجية

والجواب ان العلماء فعلوا ذلك فتبينوا بالتصوير لا بالعين عقد الصبغيات التي تعتبر عوامل الوراثة ولكن استعمال أمواج أقصر من أمواج الاشعة التي فوق البنفسجي متعذر لانها لا تستطيع ان تخترق زجاج العدسات . فیسأل ثانية ولكن الأشعة السينية أقصر أمواجاً الف مرة من أمواج الضوء وتخترق الزجاج

فاذا استعملت فأتينا نستطيع ان نتبين بها أدق الاجسام المادية . والحواب ان العلماء لم يتمكنوا حتى الآن من تكبير هذه الاشعة كما يكسر الزجاج أشعة الضوء . واذن فمن المتعذر استعمالها للتكبير بالعدسات وهي قاعدة المجهر

وعند ما كاد العلماء يقطعون من الفوز بطريقة تمكنهم من صنع مجهر مكبر كما يريدونه طلع عليهم الباحثان زوروكين باقتراح استعمال الكهبريات بدلاً من امواج الأشعة الضوئية لتكبير الأجسام الدقيقة . فبدلاً من استعمال أمواج الضوء المعكوسة عن سطح جسم دقيق ثم تكبيرها باختراق العدسات وجمعها للحصول على شبح الجسم الأصلي مكبراً ، تستعمل تيارات من الكهبريات معكوسة عن الجسم ثم تعرض لحقل مغناطيسي وكهربي فتتحرف وفقاً لرغبة الباحث وتجمع ثم تحول طاقتها الى ضوء بتوجيهها الى لوحة تتألق بسقوط الكهبريات عليها فيرسم شبح الجسم الأصلي مكبراً ، وقد اطعنا في المجلة العالمية الشهيرة على صورة « بكتيريا يوم الصيد » مكبراً ٢٠٤٠٠ ضعف بهذه الطريقة ثم كبرت بالتصوير الضوئي الفوتوغرافي الى ١٥٠ الف ضعف الجسم الاول

النظم والطرق التجارية

بين الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية

بقلم ر. التميمي



ان الحملات الصليبية المنحمة التي انقضت على بلاد الشام أواخر القرن الحادي عشر قد سببت في هاتيك البلاد حركة تجارية مهمة . ففي سنة ١٠٩٧ نقلت اثنتا عشرة سفينة حربية من جنوة عدداً كبيراً من وجهاء النصارى ومحاربيهم ليناصروا الحركة الصليبية في نواحي انطاكية ثم تبعها سفن أخرى مشحونة بالأسلحة والذخيرة وصادف ان وصلت الى مرفأ يافا سفينتان من هذه السفن فأنزلت أسلحتها وذخيرتها الى البر ثم نقلها الصليبيون الى جبال القدس واستخدموها في حصارهم لتلك المدينة المقدسة

ولقد كان من عادة الصليبيين ان يكافئوا رجال هذه السفن مكافآت مختلفة من أهمها منحهم قطعاً من الأراضي في فُرَاح الشرق التي دخلت في حكمهم لينشئ أولئك الرجال عليها مباني ومخازن لحفظ أمتهم وبضائعهم التجارية وبيعها . وهكذا شُرع في تأسيس مستعمرات طليانية في المرافئ السورية . فنجار جنوة كانوا قد ساعدوا بلدوين على امتلاك أرسوف وقيسارية وعكا فكافأهم هذا بأن منحهم تلك الأراضي المملوكة وتلك واردات الجمارك بعكا وسمح لهم باستيراد البضائع الى المرافئ السورية دون ان يدفعوا ضرائب جمركية . وقد نقش هذا الامتياز الذي ناله بحارة جنوة على محراب كنيسة القيامة بالقدس تخليداً له . وقد ساعد بحارة مدينة جنوة كثيراً في تأليف امارة طرابلس اللاتينية أيام ريموند صاحب طولوشة وحلفائه من بعده وساهم البنادقة في الاستيلاء على مدينة صور وقدموا قروصاً للصليبيين سنة ١١٢٤ وكانوا بحاجة شديدة اليها

ولم تتأخر مدينة مرسيليا في تقديم المساعدة للصليبيين والدفاع عنهم وذلك إما بتقديم الذخائر والأسلحة الضرورية وإما بمنح القروض فنالت مقابل ذلك حق الاعفاء من الضرائب الجمركية وامتلاك أحياء خاصة في بيت المقدس وفي سائر الثغور السورية ويجب ان يضاف الى الامتيازات التي كانت تمنح للطلبان حق امتلاك أراضٍ زراعية واسعة

في الريف السوري على ان يزرعها فلاحون سوريون تحت اشراف زعماء منهم وكان يدعى الواحد منهم بالرئيس . ولم يكن المالك الطلياني الاقطاعي يعنى باستغلال تلك الأراضي الزراعية بل كان عليه ان يسلف المزارعين بذوراً وان يراقب نمو الزرع فاذا ما حل موسم الحصاد يأخذ المالك الطلياني ثلث المحصول او رבעه ويترك الباقي للفلاح وهذا بدوره كان يشترط عليه ان يقدم له في الأعياد النصرانية دجاجة واحدة او عشر بيضات او نصف قرص من الحين عن كل فدان من أراضيه المزروعة وعليه أيضاً ان يقدم نفسه ومواشيه للقيام بمجتمعات اقطاعية أخرى اضافية لملك الارض الطلياني ولا سيما في أيام الحرب

ومن الأمور التي استوقفت الأنظار كثيراً وأدت الى مشاحنات كثيرة بين الصليبيين ما كان يعمد اليه بعض البحارة الفرنج من تهريب الأسلحة الى الأمراء المسلمين فان هذا التهريب كان يقضب رجال الحكومة اللاتينية ويحملهم في كثير من الاحوال على اتخاذ تدابير قاسية لمنع ذلك التهريب . وحينما استفحل الأمر وضعت الحكومة الصليبية اللاتينية تشريعاً خاصاً جاء فيه ان كل من يبيع خصوم الصليبيين حديداً او اسلحة او خشباً لبناء السفن او سفناً جاهزة للسفر وان كل من يشتغل لحساب المسلمين ولمصلحتهم اما بصفة ربان سفينة او بحري يعاقب بالحرمان من الكنيسة وتصادز املاكه وتسلب حريته الشخصية فاذا وقع اسيراً في قبضة نصراني حق لهذا ان يعتبره رقيقاً يباع ويشترى . على ان صرامة هذا التشريع لم تحل دون الاستمرار في تهريب الاسلحة وسائر المواد الضرورية للحرب الى معسكرات المسلمين حتى انه اعترف بهذا التهريب وصرح به ونص على وجوب السماح به في معاهدة عقدت بين سلطان مصر وجمهورية بيزا الطليانية وقد كان المسلمون يهزأون بهذه المقررات والتشريعات الصليبية وبواصلون شراء ما كان يعرضه عليهم المهربون الفرنج من الاسلحة والذخائر ليستعملوها ضد الفرنج في ساحات القتال

وحين بدأ الزحف المغولي على الديار السورية خلال القرن الثالث عشر فتحت طرق جديدة للتجارة لم تعرف من قبل ومع ان الطرق البرية كانت طويلة ومرعبة فان اتعابها قد ذلت بعض التذليل بانشاء محطات للاستراحة في مراحل مختلفة منها . ومن أهم هذه المحطات مدينة تبريز الإيرانية التي اصبحت مركزاً مهماً للتجارة وكانت البضائع تنقل اليها من مرفأ أياص الواقع على خليج الاسكندرونة الخاضع حينئذ لامارة ارمينيا الصغرى . ولقد راجت الحركة التجارية في أياص خلال القرن الثالث عشر لان البابا ظل يصدر الأمر تلو الأمر لمنع الفرنج من التعامل مع تجار المرافئ الاسلامية فانشىء خط بحري جديد بين مرفأى الهندية وياص ماراً بجزيرة قبرص

فأخذ عرب سوريا يأتون الى اياص بمقادير عظيمة من البضائع أهمها القطن الذي كانوا يزرعونهُ في وادي العاصي فيزكو فيه . وظلَّت الحال كذلك حتى وقعت الحرب بين ممالك مصر وامارة ارمينيا الصغرى المسيحية فهاجمت اساطيل مصر مرفأ اياص مراراً الى أن امتلكه الملك الناصر محمود سنة ١٣٤٣ فانقطع عنه تجار الفرنج وفقدت مزبته كمرفأ مسيحي

وابتداء من القرن الرابع عشر اشتد ساعد الاتراك العثمانيين في آسيا الصغرى وأخذوا يستولون على بلاد الامبراطورية الرومية الواحدة تلو الاخرى فاضطر التجار الفرنج ان يهملوا الطرق التجارية البرية المتقدم ذكرها وان يعودوا الى الاتجار مع سوريا ومصر فاتعمشت الحركة فيهما وعاد النشاط التجاري الى مرافئهما وظل الامر كذلك حتى ايام اكتشاف الطرق البحرية الى ديار الهند فصارت السفن تغدو وتروح بين الشرق والغرب عن طريق رأس الرجاء الصالح

واكبر وأهم مرفأ مصري هو الاسكندرية . على ان دمياط كانت أيضاً تتمتع بشهرة تجارية واسعة ولا سيما في بيع السكر فلقد كانت تجارته رائجة بسبب قصب السكر الذي كان يزكو في دلتا النيل . ولقد كانت السفن النهرية تغدو وتروح بين الاسكندرية وسائر المدن المصرية الاخرى حينما كانت هذه المدينة متصلة بالنيل بترعتها الشهيرة . ولقد أصلح الملك الناصر محمود هذه الترععة ونظفها من الرمال التي كادت تسدها سنة ١٣١٠ وظلت صالحة للملاحة نحو خمسة وعشرين عاماً ثم اهل أمر مراقبتها وتنظيفها فامتلاأت بالرمال حتى غدت غير صالحة للملاحة الا في أيام فيضان النيل أي من (يونيو) الى اوائل اكتوبر من كل سنة وقد ظلت الحال كذلك في تلك الترععة واستفحل إهمالها حينما دخلت مصر تحت الحكم العثماني فتراكت الرمال فيها وتعدر سير السفن فيها ثلاثة عصور فلما انتشل المصلح الكبير محمد علي القطر المصري من خموله وبدأ فيه عهد النهضة الاقتصادية نالت ترعة الاسكندرية نصيبها من العمران وعادت الى سابق عهدها من النشاط والحركة التجارية ولم تكن البلاد المصرية خلال القرون الوسطى تصنع كل ما تحتاج اليه فسكان تسد حاجتها بوساطة التجارة . فحشب الجميز والنخل لا يصلح البتة للتخشب ولصنع الأثاث فكان المصريون يستوردون الحشب الجيد من جزيرتي قبرس وكريت ومن مرفأ اضااليا الواقع على شاطئ آسيا الصغرى الجنوبي وكانوا يستوردونه ايضاً من اوربارغم المنع البابوي . أما المعادن الثمينة والمفيدة والفرو والصوف فكان يؤتى بها في مقادير عظيمة وبما ان القطر المصري فقير بالنباتات الزيتية ولا يزرع فيه الا السمسم جيء بالزيتون اليه من سوريا ومن البلاد الاوربية

وعدا كل ما تقدم فإن الناجر المصري كان يستورد الوقود والعسل والزبيب واللوز والجوز والبندق والنبذ والأقشة والفضيات والبلور . وقد سنت شرائع خاصة بهذه التجارة فكان يؤخذ عشرة في المائة ضريبة جمارك ثم يسمح للتاجر بنقل بضاعته الى مخزنه أو بيعها في دائرة الجمرك حيث يشرف موظفان كبيران على عملية البيع هذه . فالموظف الأول هو ترجمان بين الناجرين الاجنبي والمصري وأما الثاني فكان يقوم بوظيفة الدلال وكان عددهم يزيد وينقص وفقاً لاستعداد الحركة التجارية وركودها وقد كان من المتعارف بين التجار أن البيع يكون باتاً اذا عقده البائع والمشتري بحضور الدلال والمترجم وبعض الشهود . وقد أحبت الحكومة أن تسهل على التجار أعمالهم فسمحت بإنشاء مستودعات لحفظ البضائع التي تكون في البيع وقد كان لكل أمة لها علاقة تجارية بالقطر المصري مخازن من هذا النوع وكانت دائرة الجمارك تتعهد بالمحافظة على تلك المخازن . وعدا ما تقدم كان هناك كلاء تجارة في المرفأ المصري وظيفتهم تسهيل مصالح التجار والمحافظة على حقوق مواطنيهم وهم الذين يهدون مواطنيهم النجار الى دقائق الطريقة الجمركية المصرية

وبعد ظهور الدولة العثمانية بقوتها المعروفة وتغير بعض الطرق التجارية البرية كما تقدم القول بدأت متزلة بيروت التجارية تظهر وتتمو رويداً رويداً وهي ميناء سوريا الوسطى بما فيها مدينة دمشق وفيها مرفأ محفوظ من رياح البحر الشديد وعواصفه . وفي القرن الخامس عشر كانت البندقية ترسل أساطيلها التجارية الى بيروت وإلى طرابلس وهذه الأخيرة انضمت كثيراً بسبب التمددات مرفأً اللادقية بالزمالك وتعتبر رسو السفن الكبيرة فيه وقد حدثت حثو البندقية سائر اللاراتي الطليانية وصقلية ومرسيليا وهكذا نشأت حركة تجارية عظيمة بين شرق البحر المتوسط وغربه بعد أن كانت عالية بسبب اكتشاف الطرق البحرية التي قام بها مغامرون بحريون من البرتغاليين أواخر القرون الوسطى



ولقد آلفت الطليقات البورجوازية أواخر القرن الحادي عشر في بعض العواصم الطليانية محاليس بلدية تحت رئاسة أشخاص من الأعيان تسمى الواحد منهم بلسم فنصل وذلك الحياة لتكري هذا اللقب الذي كان لصالحه شأن كبير في التاريخ الروماني اليلم ازدهار الامبراطورية وعظمتها ولقد وجد هؤلاء القناصل في مدينة بيزا منذ سنة ١٠٨٧ وفي مدينة جنوة اعتباراً من سنة ١١٧٨

وحين أنشأ الفرع المراتهم اللاتينية الاقطاعية في الشطوط السورية جاءت جاليات طليانية وفرسية وسكنت مدن تلك الشطوط وأخذت تتمتع بالامتيازات خاصة نالتها من تلك الامارات

لقاء خدمات كثيرة قدمتها لهم ومن أهم تلك الامتيازات امتلاك احياء برمتها في المدينة المفتحة واقامة موظفين منهم ليدافعوا عن أبناء الجالية ويحافظوا على الامتيازات الممنوحة وقد كان هؤلاء الموظفون يدعون بفيكونت ثم انقلب هذا اللقب الى قنصل وفي سنة ١١٧٩ كان رئيس الجالية البيزية بمكا يدعى قنصل وبعد قليل أحب البنادقة ان يلعبوا شعث جالياتهم بسوريا ويوحدها فعينوا لتحقيق هذه الغاية مقيماً عاماً منهم وهو في منزلة قنصل عام جعلوا مركزه عكا . وقام بالعمل نفسه جاليات جنوه فعينت قنصلين لا واحداً على ان يوحدا أعمالهما ويحافظا على لقب فيكونت مع لقب القنصل الجديد . وعلى أثر ذلك عينت جمهورية بيزا ثلاثة قناصل سنة ١١٩٢ للنظر في شؤون أفراد جالياتها بسوريا وفي سنة ١٢٤٨ عدلت تلك الجمهورية عن تعيين ثلاثة قناصل واكتفت بقنصل واحد جعلت محل اقامته بمكا وهكذا أقامت مدن فلورنسة و نابولي ومرسيليا قناصل في عكا وصور والاسكندرية وأقامت مدينة مونبيلييه قناصل في كل من الاسكندرية وعكا وطرابلس وقبرس . وقد قلدت رهينة الاسبنايلية المدن الآفة الذكر فأقامت وكلاءها في كل من الاسكندرية ودمياط والقدس والرملة . وكان لأهل قطلونية قنصل عام في عكا وكلاء في كل من بيروت ودمشق وفيها غوسطة القبرسية

كان لهؤلاء الوكلاء حالات خاصة في أيام الممالك فكان لادارة الجمارك قنادق تجارية خاصة بحق للتجار الأجانب المبيت فيها وحفظ بضائعهم وكان للبنادقة كنيسة وحمام في الاسكندرية وقد سمح لهم بتعاطي المسكرات وبيعها في تلك القنادق وكان الملك العادل الأول يستقبل القناصل عشر مرات في السنة الواحدة وكان يحق لكل قنصل خلال هذه المقابلة أن يرفع شكاوى جاليته وامانها . وكان الممالك يمنحون وكلاء الدول الأجنبية منحة سنوية قدرها مائتا دوكة تؤخذ من واردات الجمارك ، يُمنَحُ عليها وعلى كيفية دفعها في المعاهدات التي كانت تعقد بين مصر وسائر الدول والجمهوريات الأجنبية رغم ان مبدأها يتنافى مع استقلال الدولة الأجنبية . ومن السهل جداً أن يفهم أن هذه العمالة كانت سيئاً في جعل وكلاء الدول الأجنبية في متناول الحكومة المصرية ففي كثير من الاحوال كانت هذه تعتبرهم رهائن عندها ومسؤولين عن كل عمل عدائي تقوم به دولتهم تجاه مصر وقد يتفاهم الامر بين الطرفين فيأمر السلطان بحبس الوكيل وضربه أو قتله عند اشتداد الخلاف وهكذا ظل امر القناصل والوكلاء الى أن وضعت مبادئ الحقوق الدولية ففصلت الأعمال والواجبات التي يضطلع بها القنصل في البلاد الأجنبية



الموارد الطبيعية

وتأثيرها في الحضارة والسياسة والحرب

- ١ — البيئة الطبيعية والدولة
- ٢ — الموارد الطبيعية
- ٣ — المعادن والدول الكبيرة
- ٤ — بين التجارة الدولية والاكتفاء
- ٥ — المستعمرات والموارد
- ٦ — الموارد الطبيعية ومخطط الحرب

الموارد الطبيعية

وتأثيرها في الحضارة والسياسة والحرب (١)

١ - البيئة الطبيعية والرونة

إذا تغلفنا في ظاهرات الكون الى نبعها الرئيسي وجدناها جميعاً من طبيعة واجتماعية ترتد في أصلها الى تحول الطاقة الطبيعية . وظاهرات نشاط الدولة ليست بشاذة عن هذا الحكم . وليس في علم السياسة ناحية أجمع للعناية وأجدر بالنظر وأمتع للنفس في التحليل والاستنتاج من تتبع تأثير البيئة الطبيعية في نشوء الدولة وتحولها ، وتبين القواعد الأساسية للخطط السياسية التي تخططها في السلم والحرب . والبيئة الطبيعية قسماً رئيسان ، يفصلهما الباحث السياسي ولكنهما غير منفصلين ، بل هما أبداً متفاعلان ، وأعني الشعب والأرض التي يقطنها . فالإنسان نفسه جزء من الطبيعة ، فأصله ونشؤه وانتشاره في الأرض وتفرقه سلالات وشعوباً ، وتركيبه الجسماني والعقلي ، كل ذلك متأثر بموامل البيئة التي تحيط به من كل جانب . وكل دولة جماعة من الناس متصفة بصفات جثمانية وعقلية ، تربط بين أفرادها صلات اجتماعية معينة ، وتقطن بقعة من الأرض يتصف هواؤها بدرجات معينة من الحرارة والرطوبة ، وأرضها بخواص متفاوتة من الحصب والثروة المطمورة فيها . فالجماعة تؤثر بارتقائها العقلي والاجتماعي في البيئة التي تعيش فيها ، والبيئة تؤثر من ناحيتها في الجماعة واتجاهها السياسي والاقتصادي والاجتماعي . البيئة الطبيعية قوامها عناصر متعددة هي : أولاً شكل سطح الأرض وما فيه من جبال وأودية ، وأنهار وسواحل ، وسهول ونجود ، وقفار وبرار . وثانياً طبيعة الجو . وثالثاً موارد الأرض من زراعة ومعدينية . ورابعاً أوصاف الطبيعة بوجه عام . وكل من هذه الموامل كان له تأثير عظيم الشأن في طبيعة الاجتماع السياسي وتوجيهه ، ولا سيما في العصور البدائية ، عند ما كان العقل البشري لا يزال في مهده ، وقبل ان يفتح عن ازهار العلم . حتى بعد التقدم العلمي العظيم في المصور الحديثة بقي الإنسان خاضعاً لموامل البيئة الطبيعية ، على الرغم من اتساع قدرته على تبدلها بعض التبدل ، وتحويلها بعض التحويل وفقاً لغرضه ومشتهاه .

ان شكل سطح الأرض التي تقطنها جماعة من الناس ، يشمل الجبال والانهار والبحار التي فصلت بقاعاً عن بقاع ، وقامت حوائل في العصور الأولى دون اتصال جماعات الناس التي تعيش في كنفها . ومن هذه البقاع ما كانت تحيط به حدود طبيعية كالجزائر البريطانية يحيط بها البحر . وشبه الجزيرة الايبيرية ، وشبه الجزيرة الايطالية ، يحيط البحر بمعظمها والجبال الشاهقة بالباقي . ففي داخل هذه الحدود الطبيعية نشأت امم تختلف في طبيعة وحدتها الداخلية ، عن امم نشأت

(١) محاضرة لرئيس تحرير المقتطف في نادي الشبيبة بالقاهرة في ١٠ مارس ١٩٤١

في السهول الروسية الفسيحة . وهذه الاوصاف أثرت تأثيراً غير يسير في تعيين حجم الدولة ، لأن الشعوب كانت تميل الى العيش في بقعة تحميها الحدود الطبيعية من إغارة جيرانها عليها . فتتاح لسكل شعب منها فرصة التعاون والالتفاف حول مصالح عامة ، تشمل الجماعة كلها فتدشأ الوحدة عن ذلك وهي أساس الدولة . وليس من المصادفات ، ان الدولة في الصين تشمل مساحات واسعة الأرجاء ، وكذلك في روسيا ، والولايات المتحدة الاميركية . ولا من المصادفات ان اليونان من قديم الزمان الى حديثه دولة صغيرة المساحة ، ولا من المصادفات كذلك ان اوربا لم تجمع قبلاً في دولة واحدة ، على الرغم من مساعي قيصر أو شارلمان أو نابليون . أما وقد أصبحت العوامل الاجتماعية والاقتصادية والعقلية في العصر الحديث شديدة التأثير ، فمن الجائز أن تنقلب على الحوائل الطبيعية فتشمل أوربا في نظام من التعاون ولكن ذلك لن يكون بالقوة الفاشمة ولا على أساس استعباد شعب لشعوب

وحجم الدولة يؤثر في اتجاهاتها السياسية ، فالتسامح الامبراطورية الرومانية أضعف تقاليدھا الجمهورية ومهد للحكم المركزي واستبداد الامبراطورية . واتساع الديمقراطية الحديثة اقتضى قيام النظم النيابية فيها ، لأن الديمقراطية المباشرة كما كانت في مدن اليونان متعذرة في مساحات كبيرة ثم أن موقع البقعة التي تقوم فيها الدولة وأوصافها الجغرافية ، تعيين نوع صلتها بالعالم الخارجي . هل تعيش بمعزل عن العالم ، أو هل تكون صلاتها بجيرانها صلات تعاون وسلام أو صلات تنافر وخصام . فالولايات المتحدة الاميركية ما فتئت حتى عصرنا هذا تميل الى العزلة لأن محيطين كبيرين يفصلانها عن أوربا وأفريقيا من ناحية ، وعن آسيا من ناحية أخرى . ولولا الرغبة التي أحدثتها الحرب الدائرة الرحي الآن ، وارتقاء اساليب المواصلات الحديثة ووسائل التقليل الداخلي السياسي الاقتصادي التي اتقنها الوطنيون الاشتراكيون وطبقوها ، لكان من المتعذر في نظري ، ان تتحول كثرة الشعب الاميركي ومثليه هذا التحول السريع الى ادراك أن السلام العالمي لا يتجزأ . ومع ذلك لا يزال فريق منهم — وان كان صغيراً — يأبى أن يفتح عيونه على هذه الحقائق . يقابل هذا أن أمة اليونان في العهد القديم ، كانت تقطن ارضاً رديها الجبال الواقعة في شهاها وشهاها الغربي ، عن الاتصال بمن وراء تلك الجبال . ولكن ثغورها وخارجانها وجزارها المتعددة فتحت لها نوافذ تطل منها على مسالك البحار ، فاتصلت بسائر الامم عن طريقها ، فانسعت تجارتها ، واستعمرت سواحل البحر المتوسط والبحر الاسود . وبريطانيا المنفصلة بالبحر عن القارة قام فيها اسلوب من الحكم خاص بها ، وانشأت تجارة بحرية واسعة ، وبنت اسطولا لحمايتها ، وزرعت جماعات من ابنائها ، في بلدان نائية متفرقة على سطح الأرض ، فمت وارتقت ، وأصبحت طائفة منها دولاً مستقلة

ولكن ما تنكسبه الدولة القائمة في قلب القارات ، من حماية الحدود الطبيعية ، تخسر شيئاً

بقابله بما ينمو فيها من روح العزلة والميل الى الاستقرار، فيصعب على شعبها الامتزاج بالشعوب التي مجاوره وراء الجبال والانهار، ويتعذر عليه ان يرى ما تراه في شؤون الحياة، فيشق التمازج بينها، ويقل الاتصال، فيضعف التوليد والابتكار، والابتكار سر الارتقاء. واذا كانت الحدود الطبيعية بحاراً، فان الدولة تصبح معتمدة على اسطولها واستمرار قدرتها على الاحتفاظ به. فاذا مر بها تيار التحول ولم تجارها، تعرضت للسقوط، وهذا كان مصير اسبانيا. إن امتناعها عن الامتزاج بأوروبا بفعل قيام الجبال على حدودها الشمالية، أفضى الى ركودها الفكري، أما اعتمادها على مستعمراتها فقد جعل بقاءها مرتبطاً بقدرتها على الاحتفاظ بأسطول متفوق. فلما اندفعت في اوربا تيارات فكرية جديدة، وضعفت قدرة اسبانيا البحرية، مالت رويداً رويداً الى الانحطاط ولا يخفى ان الحركة في الطبيعة والاجتماع تميل دائماً الى الاتجاه حيث تلقى المقاومة على أقلها. فخيال اليونان الى الشمال والشمال الغربي جعلت اتصال اليونان الأول بالامبراطوريات الشرقية. وروما اتجهت غرباً لأن جبال الابنين كانت حائلاً دون اتصالها أولاً باليونان. فكان اليونان وروما كائناً وافقنين ظهراً الى ظهر. أما اليونان فاضطرت بفعل هذا الوصف الجغرافي لأرضها ان تصطدم أولاً بجيوش حضارات قديمة، واذا استثنينا فتوحات الاسكندر، فقد كانت في معظم تاريخها القديم عاكفة على نفسها، فأبدعت ما أبدعت في العلوم والفنون. وأما روما فاصطدمت أولاً بشعوب دونها حضارة ونظاماً، فكان ذلك مستهل طريقها الى الامبراطورية وما تركته الامبراطورية في الدنيا من آثار القانون الروماني

ويضاف الى الوصف الطبوغرافي، حالة الاقليم، ولكن حالة الاقليم قلما تفصل عن حالة التربة. وانما يقال بوجه عام ان الاقليم المتناهي في شدة الحر وشدة البرد، لا يؤاتي نشوء الطبقات العليا من الوان الحضارة واشكال الحكم. فالنور الباهر المنعكس عن مفاوز الجمد، والليالي القطبية الطويلة، ووهج الشمس في الصحراء، والبطائح التي يتولد فيها البعوض في المناطق الاستوائية، عوامل تحد من النشاط الاجتماعي فتحول دون قيام الهيئات السياسية والاجتماعية القوية. وجميع الدول الكبيرة نشأت في مناطق معتدلة، حيث الهواء متصف بدرجات معتدلة من الحرارة والرطوبة، وان كان هناك فئة من الباحثين تميل الى القول بان الاتجاه في قيام الدول القوية، من المناطق المعتدلة الشمالية الى التي تليها شمالاً

وقد أشار مؤرخ الحضارة «بشكل» الى ان ظاهرات البيئة الطبيعية تؤثر في نشأة الانسان الفكرية والخلقية والفنية. ففي البلاد التي تكثر فيها الزلازل والأعاصير والبراكين او الجبال الشاهقة والأنهار الكبيرة المتدفقة يغلب الخيال على العقل، والخوف على رغبة الفهم، فينصرف المرء عن البحث والتجريب، ويعوزه الاعتماد على الذات، فيحفل دينه بالآوهام والأساطير،

وفئة بالضخامة والغلظة ، ونظامه الاجتماعي والسياسي بالتحكم والاستبداد . فاذا كانت وحدات البيئة الطبيعية صغيرة بالقياس الى الشاسعة ، والطبيعة هادئة بالمقابلة مع الغيفة الصاخبة ، أتيح النمو للعقل ، واتجه الفن الى الجمال ، والدولة الى الديمقراطية . وعلى هذا معظم تاريخ اليونان القديمة ونزعة معظم اوربا في العصور الحديثة

٢ — الموارد الطبيعية

هذه العوامل الثلاثة — شكل سطح الأرض والاقليم وأوصاف الطبيعة بوجه عام — تؤثر على طول المدى في طبيعة الاجتماع البشري ، وما فتئت موضوع بحث ونقاش ، وتأيد وتقيد ، بين علماء الاجتماع البشري وفلاسفة التاريخ ، والأقوال الحاسمة فيها قليلة ، لأن التاريخ ليس كالعلوم الطبيعية ، من حيث خضوعه للتجربة والامتحان واستخراج الأحكام الدقيقة ، ولكن الاتجاه العام في جميع هذه الأقوال ، لاريب فيه وهو ان البيئة الطبيعية تؤثر في طبيعة الاجتماع البشري ، وبالتالي في سياسة الدولة . ولكن التاريخ بوجه عام نسيج من عامل البيئة الطبيعية متفاعلاً مع عوامل أخرى هي العقل والشخصية والاقتصاد وروح العصر وغيرها إلا ان هناك عاملاً رابعاً في البيئة الطبيعية ، يؤثر في معيشة الناس في قوتهم وصناعاتهم وتجارتهم وتأثيره مباشر مستمر ، وهو أخذ في الاستفحال ، لأن ارتفاع الصناعة في العصور الحديثة وصيرورتها عماداً لا غنى عنه في معيشة الشعوب وقوتها ، جعل الحاجة الى موارد الطبيعة من نبات وحيوان ومعادن ، في منزلة الهواء والماء

ان الرجوع الى معجمات اللغة ومعاملاتها لا يغني كثيراً في الفوز بتعريف دقيق جامع مانع للفظي « الموارد الطبيعية » . ولكنهما يعينان بوجه عام الجوامد والاحياء التي يعتمد عليها الناس في إقامة أودهم وتنظيم كيانهم الاقتصادي . وقد تبوأ هذه الموارد على أسس مختلفة ولكن التقسيم الغالب هو القائم على الأساس التاريخي وفقاً لتدرج الانسان في استعمالها اذ بدأ في الاعتماد على الموارد النباتية ، ثم على النباتية والحيوانية ، ثم بدأ يكشف المعادن وازداد اعتماده عليها شيئاً فشيئاً واتسع نطاق اعتماده عليها اتساعاً سريعاً في القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين وليس ثمة ريب في ان زيادة استعمال المعادن ، من السمات التي تقسم بها حضارة هذا العصر ، مع أن بدء استعمالها متغلغل في تاريخ البشر . فالمصريون القدماء مثلاً بدأوا يستعملون الحديد ، حوالي القرن الثاني عشر قبل التاريخ الميلادي . ولكن اختراع الآلة البخارية ، أولاً ، ومحرك الاحتراق الداخلي ثانياً ، جعل لمناجم الحديد والفحم وآبار النفط ، منزلة مهيمنة على اقتصاد الأمم . فتأثرت بذلك جميع خططها الداخلية والخارجية واتسع نطاق استعمال المعادن ، ولم ينشأ عن زيادة المستهلك منها في وجوه الاستعمال القديمة وحسب

بل عن كشف وجوه جديدة لاستعمالها على الغالب، وهذا الكشف مردهُ الى ارتقاء العلم بطبيعتها وخواصها . وهذا القول العام لا يجب أن يؤخذ على علانيته بغير تمييز . فقليلاً ما نجد استعمالاً جديداً للذهب . ولكن العلم والصناعة كشفوا وجوهاً جديدة لاستعمال الرصاص مثلاً ، فزادت الحاجة اليه زيادة كبيرة خلال قرنٍ واحدٍ من الزمان . والفحم مؤلّد للحرارة والطاقة وقد زاد الاقبال عليه زيادة كبيرة في الثلاثين السنة الأخيرة من القرن التاسع عشر اي بين سنة ١٨٧٠ و ١٩٠٠ ويقول علماء اميركا ان حاجة اميركا الى الفحم كانت تتضاعف تقريباً كل عشر سنوات في اثناء تلك الفترة . ولكنها لم تزد شيئاً يذكر في خلال السنوات العشر بين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ . ولم يكن استعمال النفط ومشتقاته شائعاً في مستهل هذا القرن . وقد بدأ استعماله قبل خمس وسبعين سنة في الاضاءة والتزيت ، ولكن عندما اخترع محرك الاحتراق الداخلي ، فتح أمام استعمال النفط ومشتقاته في السلم والحرب ، باباً لا يسدُّ . وكنا قبل ثلاثين او أربعين سنة من الزمان قلما نسمع بأسماء التنغستن والموالدينوم والكروم وما يشبهها من المعادن ، إلا من حيث هي عناصر في جداول الكيمياء ، ولكنها الآن عنصر لاغنى عنه في الصناعة ، سواء أ صناعة حريرية كانت أم صناعة سامية . وليس أدل على منزلة المعادن في الحضارة الحديثة من منزلتها في وسائل النقل والاتقال وأساليب المحادثات . فقد كان الانسان يعتمد على الحيوانات لحرق المركبات ، وعلى الرياح لدفع السفن ، ولكن سكة الحديد التي أتيت بعد اختراع القاطرة من نحو قرن من الزمان مكنت الانسان من الانتقال في ساعة ، مسافة لم تكن في متناوله قبلاً في يوم كامل . وقوام السكك الحديدية ، الحديد والفحم . ثم اخترع محرك الاحتراق الداخلي ، فزاد هو القلب النابض في السيارة والطائرة ، واذا سرعتهما تفوق سرعة القطار من ضعفين الى خمسة أضعاف . وليس ثمة ريب في ان ارتقاء من هذا القبيل ، كان له تأثير اجتماعي عظيم الشأن . فمقادير الطعام تنقل مسافات بعيدة بغير زيادة تذكر في نفقة نقلها ، فنشأ عن ذلك — اتساع نطاق الأسواق التي تعتمد عليها البلدان المنتجة ، واعتماد الأمم بعضها على بعض ، وانتران مصادر التحوّن بالطعام في جماعة ما ، ولو كان لحمها يجيئها من الأرجنتين ، وشايها من الهند والصين ، وقمحها من كندا ، وزبدتها من هولندا والدنمارك

وما يقال في النقل والاتقال يقال في أساليب المحادثات ، فنقل الاشارات الكهربائية في أسلاك من المعدن زاد سرعة نقلها أضعافاً ، والاعتماد على المحادثات اللاسلكية ، يستند في آخر الأمر ، الى مولّدات تولد الطاقة الكهربائية وأبراج عالية تذاع الأمواج من قممها وأجهزة تتلقاها وتحولها كلاماً مفهوماً ، ولاغنى عن طائفة كبيرة من المعادن في جميع هذه الأجهزة والمعدات وليس ما تقدم إلا على سبيل التمثيل . وما هو خافٍ عن فطنتكم وعلمكم ، ولكن لا يحصى

عن الحكم بأن الاعتماد على المعادن ، متغلغل في صميم نظامنا الاقتصادي والاجتماعي ، ولا سبيل الى تخطيه او التنصل منه ، ولا سيما في عصور سياسة القوة كهذا العصر ، لأن القوة الحربية تقوم على أساس صناعي . وما الحيوش والاساطيل وأسلحة الطيران ، إلا في منزلة الحد القاطع من السيف ، أما بقية النصل وأما المقبض ، فهما ما يعرفان بوصف « الامة في حالة حرب » صناعاتها وزراعتها ومواصلاتها ومواردها الطبيعية جميعاً سواء أفي أرضها كانت تلك الموارد أم في أراض أخرى تستطيع الاتصال بها . والمصانع عاجزة حتماً عن انتاج الطائرات والديابات والسفن الحربية والتجارية والمدافع والقنابل على أنواعها إلا اذا غذيت بتيار لا ينقطع من الخامات ، من الحديد والفحم والنحاس والرصاص والكبريت والالومنيوم والزنك والقصدير والنيكل والمنغنيس والكروم وغيرها . والآلات التي تنقوم بها طبيعة القوات الحربية الحديثة لا تستطيع التغلب على جهود المادة ولا ان تنقد فيها شعلة الحياة إلا بالنفط ومشتقاته لأنها وليدة محرك الاحتراق الداخلي ، وجانب منها ولاسيما ما كان منها يدرج على الأرض لا يتحرك إلا على عجلات إطارها من المطاط

٣ - المعادن والدور الكبيرة

ولكن المعادن^(١) غير موزعة توزيعاً متساوياً ، في شتى القارات ، ولا في بلدان تلك القارات . والواقع ان حدود البلدان في المصور الغابرة ، عيّن وفقاً للمقبات الطبيعية الكبيرة ، كالجبال والأنهار ، كما قدمت ، وتبعاً لمقتضيات الزراعة ، عندما كانت الزراعة مصدر العيش وحسب . ولم ترتبط ارتباطاً ما بتوزيع الثروة المعدنية في أرضها ، لأن المعادن كما نعرفها الآن ، ونذكر منزلتها في شتى وجوه الصناعة ، لم تكن معروفة ، وما كان معروفاً منها لم يكن له من الشأن ما له في العصر الحاضر . ويضاف الى هذا حقيقة تاريخية وهي ان الثورة الصناعية التي حدثت في انكلترا وما عقبها من التوسع في استعمال الآلات في معامل الغزل والنسيج وبناء السفن والقاطرات ، نهت دولا قبل أخرى الى منزلة المعادن على اختلافها ، فأغيب الى سوء التوزيع الطبيعي في الثروة المعدنية ، تفاوت آخر مردّه الى السبق في الاختراع والتوسع فلتلق الآن نظرة على الدول الكبار ، وما في أرضها من معادن تحتاج اليها من حيث هي دول صناعية ، او حربية ، او صناعية وحربية معاً . ويؤخذ من بيان إحصائي رسمي أميركي ، صدر قبل سنوات ، ان هناك ٢٨ معدناً تبلغ قيمتها ، سبعون في المائة ، من جميع الخامات المعدنية التي تتداولها التجارة وأهمها الحديد والنحاس والالومنيوم والرصاص والزنك والقصدير والنيكل

(١) اقتصرنا على معالجة ناحية المعادن من هذا الموضوع لأن أوروبا افقر في مواردها المعدنية منها في موارد الطعام ولاننا نشرنا في مقتطف مارس الماضي ص ٢٦١ مقالا موضوعه «موارد الطعام في بلدان قارة أوروبا»

ومعادن الاخلاط اللازمة لأصناف خاصة من الصلب او لتقسية معادن أخرى وهي الانتيوم والمنغنيس والكروم والتنجستن والمولبدنيوم . وهذه جميعاً من الفلزات . ويضاف اليها معادن غير فلزية ، كالفضة والنفط والفترات والفصقات وغيرها ، ومنها ما هو لازم للصناعة والنقل ، ومنها ما لا غنى عنه في النجاح الزراعي

ألمانيا — كانت ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى تستخرج من أرضها ٧٠ في المائة مما تحتاج اليه من حديد . فلما ردت اللورين الى فرنسا بمقتضى معاهدة الصلح (معاهدة فرساي) ، نقص ما تستخرج ألمانيا من أرضها من الحديد الى ما يكفي اربعين في المائة من حاجتها على الأكثر — على ما كانت حاجتها معروفة في مستهل سنة ١٩٣٨ — ولم تستطع بلوغ هذه المرتبة ، إلا باستغلال مناجم الحديد ، نسبة الحديد في ركاظها يسيرة ولذلك لا تصلح للاستغلال الحر فكان لابد من معونتها بحال الحكومة ، كما أنها عمدت الى جمع كل ما تستطيع جمعه من الحديد القديم المستعمل ، ولذلك لم يكن في وسعها ان تستغني عن الاستيراد ، وأهم هذه الموارد مناجم السويد — ولا سيما مناجم كيرونا في الشمال — فعليها كانت تعتمد ألمانيا للفوز بنحو ستين في المائة من حاجتها الى الحديد . ولذلك غدت مسألة مناجم حديد السويد مسألة حربية عظيمة الشأن في نظر ألمانيا ، علاوة على كونها مسألة اقتصادية صناعية

وأوروبا الواقعة الى الغرب من حدود روسيا ، فقيرة بوجه عام فقراً مدقماً في آبار النفط ، وتستثنى رومانيا من ذلك . ولكن الانتاج الروماني لا يسد إلا ربع ما تحتاج اليه القارة الأوروبية من حدود روسيا الى البحر من نفط ، في أثناء السلام ، فكان لابد من الاعتماد على الاستيراد من أميركا والعراق وإيران وجاوى وصنع عوض مستخرج من الفحم

ومناجم النحاس في ألمانيا تجهزها بأربعة عشر في المائة من حاجتها اليه ، وكانت الأمل معقوداً في مستهل سنة ١٩٣٨ باستغلال المناجم الفقيرة ، عن طريق معونة الحكومة ، فيبلغ مجموع ما يستخرج من النحاس ٢٥ في المائة من المقدار الذي يستهلك

وهي تحتاج علاوة على ماتقدم ، الى استيراد ٦٠ في المائة مما يحتاج اليه من المنغنيس او أكثر ، والى ٥٠ — ٦٥ في المائة من الرصاص والى كل ما يحتاج اليه من الزئبق ، و ٩٠ في المائة من النيكل وأكثر من ذلك من المولبدنيوم والقصدير والتنجستن وغيرها

وعلى الرغم مما بذلته ألمانيا من السعي لنقص ما تستورده من الخارج ، فانها ظلت حتى مستهل هذه الحرب مضطرة الى استيراد مقادير متفاوتة مما تحتاج اليه الألومنيوم ، والانتيوم والكروم ، والنحاس ، والحديد ، والرصاص ، والمنغنيزيوم ، والمنغنيس ، والنيكل ، والنفط ، والمطاط والفصقات ، والزئبق ، والكبريت ، والقصدير ، والتنجستن . وقد تغيرت الحال الآن في بعض هذه

المواد ولا سيما الحديد والالومنيوم بعد تمكنها من الاستئثار بالومنيوم فرنسا — وهي أكبر منتج للالومنيوم — وحديد هاو حديد لوكسمبورج وحديد السويد^(١)
 أما إيطاليا فلا تستخرج من أرضها إلا ١٠ في المائة مما تستهلكه من الحديد والصلب وثمانية في المائة من الفحم، و٧ في المائة من النفط فمليها ان تستورد كل الباقي من هذه المواد الرئيسية في الصناعة الكبيرة وكذلك كل ما تحتاج إليه من المطاط والكروم والتنجستن والقصدير والنيكل — غير قليل لا يذكر — والنحاس (٩٦٨) والمنغنيس (٨٥٨ ٪)^(١)

أما اليابان فأخص ما يعوزها الحديد والنفط ولكن حاجتها الى استيراد طائفة كبيرة من الخامات المعدنية الأخرى ليست يسيرة. فاليابان عندها كفايتها من الفحم والكبريت والفترات، ومعظم كفايتها من الطعام، وفي وسعها ان تستخرج من مناجمها كفايتها من النحاس. ولكن يجب عليها ان تستورد ثلثي ما تحتاج إليه من الحديد وستة اسباع ما تحتاج إليه من النفط ومشتقاته، والرصاص والقصدير، واربعة اخماس ما تحتاج إليه من الزنك والمنغنيس، وثمانية ا تساع ما تحتاج إليه من القطن وكل ما تحتاج إليه من المطاط الطبيعي والنيكل والانتيمون وغيرها من المعادن اللازمة لاخلط الصلب

اما انكلترا فما يستخرج من أرضها من الفحم يفيض على حاجتها، وحديد ها يكفيها في اثناء السلام، والمقادير المستخرجة من الرصاص والقصدير لا بأس بها. الا أنها تحتاج الى استيراد كل معدن آخر. ولكن اذا حسبنا انكلترا قلب جامعة الأمم البريطانية، فما يستخرج منها جميعاً يفيض عن حاجتها جميعاً ويصدر، ولا يستثنى من ذلك الا الانتيمون والزنابق. غير أن قدرة بريطانيا على الاستيراد مرتبطة بتماسك الامبراطورية السياسي وكفاية الأسطول التجاري والحربي في اثناء الحرب والاول لارب فيه والثاني تقوم الادلة على تأييده ولعل أقرب البلدان الى الكفاية من حيث مواردها المعدنية الرئيسيةها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا السوفياتية. ومع ذلك فكفايتهما ليست تامة. فالولايات المتحدة تحتاج الى استيراد معظم معادن الاخلط كالانتيمون والكروم والمنغنيس والتنجستن والقصدير والنيكل، وكذلك المطاط. وأما روسيا فلا يعرف مدى ثروتها المعدنية معرفة علمية دقيقة، فسعة أرضها حالت حتى الآن دون استكشاف جميع مواردها المعدنية ومقاديرها. ولكن الشائع في الدوائر الصناعية انها تكاد تكون مكثفة وتمكاد تشبه الولايات المتحدة في ما تحتاج الى استيراده هذا التوزيع غير المتساوي بين الدول الكبيرة، في الموارد المعدنية، حمل طاماً مهندساً انجليزياً يدعى السر توماس هيلند على اقتراح ما يعرف باسم « العقوبة المعدنية ». وجاراه في

(١) راجع المقتطف اغسطس ١٩٣٩ ص ٣٣٣ مقال « خامات الصناعة والحرب وأعواضها » ومقتطف نوفمبر ١٩٤٠ ص ٣٤١ مقال « حرب المعادن »

ذلك الجزال سمطس وهو عالم وفيلسوف علاوة على كونه سياسياً وقائداً ممتازاً. وملخص القول في « العقوبة المعدنية » انه اذا نشبت حرب باعتماد دولة على اخرى واتجه الرأي الى فرض العقوبات على الدولة المعتدية — كان هذا في الأيام التي كنا نعلق فيها الأمل بالسلالة المشتركة وقد تعود ، بل لا بد من عودتها — فيجب ان تشمل العقوبات الاقتصادية أولاً طائفة من الفلزات هي الفلزات اللازمة لاختلاط الصلب المختلفة ، لأن المقادير التي تتناولها منها ، المعاملات التجارية يسيرة بالقياس الى مقادير الحديد والفحم وما اشبهه ، فلا يضطرب اقتصاد البلاد التي تحرم بيعها ولكن نقصها يؤثر في الدولة التي تحرم شراءها لان الصناعة الحربية لا تستغني عنها

فالنيكل مثلاً ضروري لصناعة صلب خاص يصلح لمرات المدافع الضخمة . والنحاس لازم لصنع أجهزة الاذاعة والانتقاط اللاسلكية ومبردات الطائرات والدبابات . والتنغستن والمولبدنيوم والكروم لصنع اصناف اخرى من الصلب القاسي لسكل استعماله الخاص في الصناعات الحربية ، والمنغنيس والكروم لا غنى عنهما في صنع الآلات التي تصنع الأدوات الحربية ، machine tools . والاتفاق على فرض هذه العقوبة سهل لأن الولايات المتحدة الاميركية وجامعة الأمم البريطانية تملكان أكثر من ثلثي مجموع موارد هذه الطائفة من الفلزات والاعتراض الاساسي على هذا الاقتراح ، هو ان المقادير التي تحتاج اليها الصناعات الحربية ليست كبيرة ، فيسهل خزنها ، قبل نشوب الحرب ، فهي عناصر لا يبيلها الزمن وتجميد المال الذي ينفق في شرائها لا يرهق دولة ما ، واذا لم تطل الحرب حتى يحل النفاد بالخزون ، فتأثير هذا اللون من العقوبات لا يكون فعالاً اذا اقتصر عليه

ويرد على ذلك بان التوزيع في إبان السلام يكون خاضعاً لحاجة الدولة كما تستخرج هذه الحاجة من سجلات واردتها واحصاء صناعاتها ، بعد اضافة التصحيح اللازم الناشئ عن تقدم الصناعة فيوصد بذلك باب التخزين . وعلى كلٍّ هو رأي ان لم يفد في منع الحرب فقد يكون احدى الوسائل التي يتوسل بها لذلك الغرض بالاضافة الى وسائل أخرى

٤ — بين التجارة الدولية والاكتفاء

كيف تحل هذه المشكلة ؟ الحل الطبيعي المعقول هو العودة الى التجارة الدولية ، بعد فك ما يلقها من قيود ، كالحواجز الجمركية العالية ، ونظام الحصص ، واغلال التبادل النقدي ، وما أشبه . فموارد الخامات ، من معدنية وغير معدنية ، كافية لسد حاجة الأمم جميعاً ، على رأي الدكتور ليث Leith استاذ الجولوجيا في جامعة وسكنسن الأميركية ، ومستشار الوفد الأميركي في مؤتمر الصلح ١٩١٨ — ١٩١٩ ورئيس مجلس البحث في موارد المعادن سنة ١٩٢٩

وكان المسيو فان زيلند ، الخبير الاقتصادي والمالي البلجيكي ، ورئيس الوزارة البلجيكية سابقاً ، قد عهد اليه في شهر ابريل من سنة ١٩٣٧ في دراسة مشكلة العالم الاقتصادية دراسة وافية ووضع تقرير فيها وعرض مقترحاته لحلها . فكان السؤال الذي سعى المسيو فان زيلند الى الرد عليه هو هذا : — أندعو الى الرخاء الدولي بتعزيز التبادل بين الأمم على أساس من حرية التعاقد والتبادل ام على أساس من الاكتفاء القومي . فكان رده بعد ما شرّق وغرب في سبيل جمع الحقائق والآراء ، لا يكاد يلابسه غموض وأساسه وجوب عمل عمل مشترك لنقض الحوائل وحفض الحواجز التي تعرقل التجارة الدولية ، وفك القيود التي تحول دون التبادل النقدي الحر^(١)

وأما الحل الآخر فهو طريقة الاكتفاء ، وهي طريقة الاستغناء عن العالم بقدر المستطاع . فلا تستورد الدولة من الخارج إلا ما تعجز عن الفوز به في أرضها ، سواء أَمِنَ موارد طبيعية كان ذلك ، أم من موارد صناعية . فاذا لم يكن في الأرض منابع للنفط ، فيستخرج النفط من الفحم . واذا لم يكن فيها مزارع تزكو فيها أشجار المطاط ، فيلصنع المطاط من غاز الاسيتيلين . واذا لم يكن فيها مراعي يكثر فيها الغنم فيلصنع الصوف من جبين اللبن . واذا تعذر وجود مقدار كافٍ من النحاس فليكن الألومنيوم عوضاً منه^(٢)

والغرض البادي هو رفع مستوى معيشة الشعب ، باغنائه عن العالم . ولكن النتيجة حفض مستوى معيشة الشعب ، لأن جميع هذه الاعواض الكبيرة تقتضي من النفقة (مجموع جهد العامل مضافاً الى رأس المال اللازم) أكثر مما تقتضيه مثيلاتها المستخرجة من مواردها الطبيعية ولو نقلت من اقاصي الارض

وسياسة الاكتفاء لا يمكن أن تطبق إلا اذا كان نظام الحكم نظاماً دكتاتورياً . وهذا بطبعه يفضي الى حالة معنوية تجاري في انحطاطها حالة المعيشة . لأن الحكم الدكتاتوري يقتضي الاستبداد والتحكم وكتم الافواه وقمع العقول والغاء المعارضين بالاعتقال أو الاغتيال . فسياسة الاكتفاء تقضي الى انحذار مستوى المعيشة ومستوى الحياة المعنوية في آن واحد . ورغبة في صرف نظر الشعب المحكوم هذا الحكم ، المعاني هذا الغناء ، عن مساوي حاله يعتمد حكاه الى بذر بذور الحقد في نفسه على سائر الشعوب والحكومات التي تحرمه — على زعمهم — فسحة العيش الرضي ، فتوغر الصدور وتستفز الى الحرب

ولما كان الاكتفاء التام مما يتعذر تحقيقه في بقعة بعينها من بقاع الارض ، فلا بد أن

(١) المقتطف ابريل ١٩٣٨ ص ٥٧ مقال « تقرير فان زيلند ومشكلة العالم الاقتصادية »

(٢) فصل موضوع الاعواض ونفقتها في مقال « خامات اصناعة وأعواضها » في مقتطف اغسطس

بفضي الأخذ بخطته إلى التوسع بغير الحرب إذا أمكن، وبها إذا اقتضى الأمر ذلك، ولا سيما إذا اقترنت خطة التوسع بنظريات التفوق العنصري وشهوة السلطان ولا يخفى أن التجارة العالمية بليت بعد الحرب الكبرى الماضية بقيود مختلفة أرهقتها وعاقبتها عن النهوض، كالحماية والحواجز الجمركية، ثم أضيف نظام الرخص في بعض البلدان لتقييد الاستيراد وتشجيع الصناعة المحلية وضماً بالنقد الأجنبي اللازم لشراء أخص ما تحتاج إليه البلاد في الخارج، وبعد ما تفاقمت شُرور الأزمة الاقتصادية العالمية في سنة ١٩٣١ عمدت الدول على تفاوت بينها، إلى تقييد التجارة بأساليب مختلفة وفي مقدمتها نظام الحصص وقبود التبادل النقدي كان في هذه الوسائل سحراً بعيد الاقبال والرخاء، أي أن التجارة الدولية تحولت من عمل مشترك فيه دول وبلدان متعددة على أساس الذهب أو ما يحل محله، إلى صورة جديدة، أساسها المقايضة وغرضها الاكتفاء (١)

وكانت الحال على هذا المتوال عندما تقلد الوطنيون الاشتراكيون زمام الحكم في ألمانيا في سبتمبر سنة ١٩٣٣، فأضافوا إلى البواعث الاقتصادية التي دعت إليها باعثاً خاصاً بهم، وهو رغبتهم في أن تكون ألمانيا بمنحى من تأثير الحصر البحري إذا خاضت حرباً كبيرة وكان أحد خصومهم فيها دولة تملك زمام البحار. واذن فلا اكتفاء لا يطلب في عرفهم وسيلة لاحتياز الأزمة الاقتصادية إلى أن يأتي الفرج، وإنما يطلب لغرض حربي بعيد. ولكن الاكتفاء مناقض بطبيعته لوضع ألمانيا الطبيعي. فقد نفهم مثلاً أن تعتمد دولة كروسيا، أو الولايات المتحدة على محاولة الاكتفاء فأرضهم ما غنية بشق الموارد الطبيعية من معدنية وزراعية، فإذا نظم إنتاجها تنظيمًا دقيقاً، واستغل المهمل منها، فقد تستطيع أن تستغنيا عن كثير مما تستوردانه، ولا سيما إذا أضيف إلى إنتاجها بعض الأعواض التي يخرعها العلماء ويصنعها الصناع بغير نفقة كبيرة. ومع ذلك تبقين محتاجتين إلى استيراد مواد لا توجد في أرضهما ولا عوض صناعي منها الآن أما ألمانيا فلم تست ببلد غني بموارده الطبيعية، ولا سيما المعدنية اللازمة للصناعات الكبيرة، والنباتية والحيوانية اللازمة لصناعة المنسوجات وبعض النباتات والحيوانية اللازمة للغذاء والصناعة المفرقات. فسياسة الاكتفاء، مفضية فيها حتماً إلى خفض مستوى المعيشة. فلما بدأت ألمانيا تسلح، واتسع نطاق تسليحها، وقعت في ما بين خطة التسليح وسياسة الاكتفاء، في تناقض لا يخرج لها منه إلا بالتوسع، فإذا تم بغير حرب — بالضغط السياسي والاقتصادي والتفتيت الداخلي — فيها، والآن فبالقتال

ذلك بأن رغبتها في جعل قوتها المسلحة قوة متفوقة، قادتها رغماً عنها إلى توسيع نطاق ما تحتاج إليه، مما لا تجد في أرضها، ولا تستطيع عقول علمائها أن تغنيها عنه بأعواض تخرعها

وتوسيع نطاق ما تحتاج اليه ، مما لا تجده في أرضها ، يعني ان تحقيق سياسة الاكتفاء متعذر . دائرة مفرغة لا تنتهي الا الى حيث تبتدى . ومن هنا كان لا بد من التوسيع بالحرب او بالتهديد بها . وليس للنظام الجديد في أوروبا من معنى — من الناحية الاقتصادية — الا هذا وهو سيطرة المانيا على بقاع في أوروبا وآسيا تتوافر فيها جميع الخامات الزراعية والصناعية والحربية التي تحتاج اليها ، فلا يؤثر فيها حصر ولا يستطيع أحد ان يعصى لها أمراً . ولما كان هذا النظام من ناحيته الاقتصادية مرتبطاً بنظام سياسي من طراز معين ، فالغالب انه لا يستطيع ان يقيم على سطح الأرض ما زالت هناك قوى تقاومه او تستطيع ان تقاومه فإما ان يهبط ظله على العالم وإما ان ينهار . والى هذا — علاوة على شهوة السلطان الخاصة — يرتد القول بمطامع المانيا العالمية التي حركت الولايات المتحدة الأميركية الى الوقوف في موقفها المعروف

٥ — المستعمرات والموارد

ليس الغرض معالجة موضوع المستعمرات الا من ناحيته الاقتصادية . فهل نجد فيها حلاً محتملاً لمشكلة الموارد الطبيعية ؟ أما الذين يذهبون هذا المذهب فيستندون الى (١) كونها منفذاً للتخفيف عن ضغط السكان (٢) كونها مورداً من موارد خامات الصناعة والغذاء (٣) كونها سوقاً للمنتجات الصناعية

١ — السند الاول كان يلخص في قولهم ان السلام في أوروبا يتوقف على قدرة الجماهير في الدول الشديدة الازدحام ان تجد المجال المتسع لها للحياة . واذا صح هذا القول فن المتعذر أن تكون المستعمرات الافريقية هذا المجال . فقد قضت الحكومة الألمانية قبل الحرب ٣٠ سنة وهي تحاول إغراء الألمان بالنزوح الى المستعمرات واستيطانها . فلم ينزح منهم الا ما يزيد قليلاً على ثمانية عشر ألفاً ، حالة ان زيادة السكان السنوية في المانيا كانت نحو مليون

جاء في كتاب جيريج الذي عنوانه « الباب المفتوح ونظام الانتداب » ان جميع السكان البيض في المستعمرات الالمانية سنة ١٩١٣ كانوا ثمانية وعشرين ألفاً ذهب منهم ٣٢٠ الى طوجولاند و ١٦٥٠ الى الكيرون و ١٤٠٠ الى افريقيا الشرقية الالمانية و ١٢٣٠٠ الى افريقيا الجنوبية الغربية الالمانية . وليس بين هذه المستعمرات الأربع ما يصلح لاستعمار البيض حقاً الا المستعمرة الأخيرة . ومع ذلك لم تستوعب منذ ما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها الا نحو الف مهاجر من البوير والانكلز في السنة . أما السكان الألمان فيها فلم يزد عددهم ولم ينقص عما كان سنة ١٩١٤ ولذلك أصبحوا أقلية فيها . أما تنجيقا — وكانت تعرف باسم افريقيا الشرقية — فقد كسبت منذ الهدنة ٦٠٠٠ مستعمر انكليزي أي ان المتوسط السنوي لزيادة عدد المهاجرين اليها يبلغ نحو ٣٠٠ في

السنة . ويدل الاحصاء الأخير الخاص بمنطقة طوجولند الواقعة تحت الانتداب البريطاني أن عدد البيض فيها بلغ ١٤٠ منهم ٤٣ المانيًا . فيبدو مما تقدم ، اننا اذا ساهمنا جدلاً بوجوب اعادة المستعمرات الالمانية الافريقية الى المانيا من الناحية السياسية او الشرعية ، فان هذه المستعمرات لاتصلح منفذاً للتخفيف عن ضغط السكان في المانيا نفسها (١)

نعم قد تستكن حكومة النازي بالاعتماد على اساليب هي مزيج من الضغط والاغراء لم تكن حكومة القيصر تتقنها قبل الحرب الماضية ، من زيادة عددها هاجرين . ولكن تاريخ هذه المستعمرات من حيث سكنى البيض فيها لا يشجع على الاعتقاد بصحة ما يزعمه دعاة النازي من قدرتهم على اسكان اربعمائة الف في الكمبرون وثمانمائة الف في تنجنيقا وهكذا . والرأي الغالب ان بضعة آلاف هو المعدل الاعلى . وماذا يصنع بنصف المليون من الالمان وهو معدل زيادة الشعب الالمانى في السنة الآن ؟ !

٢- والسند الثاني هو قولهم « الحاجة الى الخامات » . فهل في وسع المستعمرات الالمانية سابقاً ان تسد هذه الحاجة

كلمة المستعمرات تعني المناطق التي ابيحت للاستثمار او قد تباح في المستقبل اذا كان هناك مناطق لم تبح بعد وبقي نظام الاستثمار مقبولاً وقائماً . فالدول ذات السيادة ، او المستقلة استقلالاً ذاتياً يكاد يكون تاماً ، كبلدان الدومينيون والهند ، خارجة عن نطاق المستعمرات . وعلى ذلك فالمستعمرات بهذا المعنى مصدر ضئيل جداً من مصادر المواد الخام . وأهم المواد اللازمة للصناعة الصادرة من مستعمرات هي المطاط « الكاوتشوك » والقصدير . فأراضي مالايا البريطانية والهند الشرقية الهولندية تنتج من المطاط نحو سبعمائة الف طن « ١٩٣١ » من ٨٢٠ الف طن وهو المحصول العالمي . ثم انها كذلك تنتج نحو ثلثي المحصول العالمي من القصدير

ولو أضفنا الى هاتين المادتين مواد تنتج المستعمرات خمس محصولها العالمي لما أضفنا الا النحاس والفوسفات والفناديوم والشاي وجوز النارجيل

وهذا يعني ان المستعمرات اطلاقاً لا تصدر الا اربع مواد او خمساً ليست جميعها في مقدمة ما تحتاج اليه الأمم الصناعية . وهذا القول يصدق بوجه خاص على المستعمرات الافريقية . فما يصدر من افريقيا كلها من المواد الخام الصناعية والغذائية يقل عن ٤ ٪ من محصولها العالمي . أما مستعمرات المانيا السابقة فكانت لا تصدر الى المانيا الا مقداراً يقل عن ١ ٪ مما كانت تستورده من المواد الخام . وفي حساب آخر انه نصف واحد في المائة

والواقع ان المواد الخام الأساسية في الصناعة والغذاء كالفحم والحديد والنفط والقطن

(١) راجع المقتطف فبراير ١٩٣٦ ص ١٦٩ « التوسع بالفتح لافائدة منه ولا حاجة اليه »

والنحاس والقمح واللحم واللبن ومشتقاته وغيرها تصدر جميعها من بلدان مستقلة ذات سيادة لا من المستعمرات. وفي الوسع ان يقال بوجه عام ان المصادر الرئيسية لمواد الصناعة والغذاء الأساسية هي الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد جمهوريات روسيا السوفياتية وجامعة الأمم البريطانية وبلدان أخرى مستقلة. فمن الخطأ القول ان اعادة توزيع المستعمرات يسد النقص في ما يحتاج اليه البلدان المطالبة بها، من المواد الخام اللازمة للصناعة والغذاء وأخرى ان يكون الخطأ اكبر اذا قلنا ان اعادة مستعمرات المانيا اليها يحل مشكلة حاجتها الى الخامات الصناعية والغذائية لا ريب في ان الاستقلال المبني على العلم والتنظيم قد يزيد ما يستخرج من المستعمرات. ومانيا عند ما دخلت ميدان الاستثمار تمكنت في السنوات الست السابقة للحرب الماضية من ان تزيد مقدار المستخرج من مستعمراتها. لكن اذا زيد مقدار المستخرج الآن من مستعمراتها السابقة ثلاثة اضعاف، ظل لا يزيد على ٣٪ من وارداتها

والواقع ان الدولة الاستعمارية الوحيدة التي لها مستعمرات غنية بالمواد الأساسية اللازمة للصناعة هي هولندا. فجزائر الهند الشرقية الهولندية التابعة لها غنية بالشاي والارز والمطاط والبتروول والقصدير والتبغ واللبن. ومع ذلك فالسويد وهي دولة ليس لها مستعمرة واحدة لا تقل عن هولندا اقبالاً ورخاء ومستوى حياة شعبها ليس دون مستوى حياة الشعب الهولندي فاعادة توزيع المستعمرات جميعها — دع عنك رد المستعمرات الالمانية — لا يحل مشكلة الحاجة الى المواد الخام الصناعية والغذائية وحلها الوحيد، هو في رفع القيود التي أرهقت بها التجارة الدولية وسدت مسالكها فتستطيع كل دولة ان تتنازع في الاسواق العالمية ما تحتاج اليه ^(١)

٣ — والسند الثالث هو قولهم «الحاجة الى الاسواق لتصريف البضائع والمصنوعات». فماذا ينبئنا علم الاحصاء في هذه الناحية؟ في سنة ١٩١٣ وهي السنة الاخيرة السكاملة التي كانت المانيا فيها مهيمنة سيطرة تامة على مستعمراتها بلغ مجموع ما أصدرته الى هذه المستعمرات ستة اعشار واحد في المائة من الصادرات الالمانية. واذا استطاع احد ان يفرض الآن على المستعمرات الالمانية السابقة ان تتنازع من المانيا دون غيرها، كل ما تحتاج الى استيراده، بلغ مجموع ما تستورده من المانيا سبعة أعشار واحد في المائة من الصادرات الالمانية

ويرد الالمان على ذلك بان تجارة مستعمراتهم زادت في السنوات العشر السابقة للحرب الكبرى أربعة اضعاف وأنها لم تزد الا زيادة يسيرة جداً بعد الحرب. وان مقدار التجارة مع المستعمرات الالمانية بلغ مجموعه نحو الف مليون مارك

وهذا صحيح، ولكن الالمان ينسون أو يتناسون ما اففقوه من مال على سبيل الاعانة

(١) راجع المقتطف مارس ١٩٣٧ ص ٣٣٥ مقال « المستعمرات من الناحية الاقتصادية »

لزيادة هذه التجارة بلغ مقداره ألف مليون مارك في العشرين السنة السابقة للحرب العالمية الأولى . وهو ما لا تريد أن تفعله الدول المنتدبة لأنه غير معقول من الناحية الاقتصادية البحتة ولو أن اتفاقاً تمَّ وعقد وألغت ألمانيا بمقتضاء القيود التي تثقل كاهل تجارتها العالمية لاستطاعت أن تزيد تجارتها مع بريطانيا وفرنسا وهولندا وسويسرا وحدها زيادة تبلغ عشرين ضعف مجموع تجارتها مع مستعمراتها السابقة لو أن هذه المستعمرات اختصت ألمانيا دون غيرها بما تستورده من الخارج

ومن الغريب أن الكتاب الألماني في موضوع المستعمرات يزعمون ضمناً احتكار ألمانيا لتجارة مستعمراتها . مع أن الواقع ، أن سياسة الباب المفتوح في نصف مستعمرات العالم مضمونة بمعاهدات دولية أي أن المستعمرات التي تشملها هذه المعاهدات لا يسعها أن تقيم حواجز جمركية تفضل بها دولة على أخرى من دول جامعة الأمم . ولم تستثن ألمانيا ولا اليابان من ذلك . وهذه البلدان تشمل جميع بلدان الانتداب من درجة A و B وكل حوض الكونجو بما فيه شرق إفريقيا البريطاني وإفريقية الاستوائية الفرنسية وغرب إفريقيا البرتغالية والسودان وروديزيا الشمالية . وأما ما راكش فسياسة الباب المفتوح فيها كانت جزءاً من التسوية الدولية التي عقدت بعد أزمة سنة ١٩٠٦ في مؤتمر الجزيرة . ومع ذلك فجميع المستعمرات على سطح الكرة لا تتابع أكثر من ١٠ في المائة من مجموع الصادرات العالمية

والرد السهل بحكم الطبع على هذه الحقائق أنه ما زالت المستعمرات لا تصلح منفذاً ذا شأن لضغط السكان وازدحامهم ولا مصدراً أو سوقاً للمواد الخام أو للمصنوعات فلماذا تتمسك بها الدول التي تسيطر عليها . وفي الرد على هذا القول نخرج إلى حلبة العوامل السياسية والاعتبارات الاستراتيجية وما يتعلق بالهيبة والكرامة الدولية — وهذه على ما لها من شأن عظيم ليست في نطاق هذا الحديث

٦ — الموارد الطبيعية وضبط الحرب

إن المشكلة التي تواجهها دولتنا المحور في هذه الحرب هي مشكلة عدم وجود طائفة من المواد التي تحتاج إليها أو عدم وجود مقادير وافية منها ، في الأراضي الخاضعة لها أو في الأراضي التي تستطيع الاستيراد منها . وهذه المشكلة تتعقد بطرء مشكلة النقل عليها . ونحن كثيراً ما ننسى أن الجانب الأكبر من التبادل التجاري بين بلدان أوروبا يتم بحراً . فإيطاليا كانت تنقل خم ألمانيا إليها — أو ما تستورد منه — بحراً عن طريق نفور هولندا إلا عن طريق سكك الحديد . وكانت تستورد بترول رومانيا وروسيا بحراً لا بسكك الحديد . وحديد إسبانيا كان ينقل إلى ألمانيا بحراً لا

بسكك الحديد . وهكذا . أما وقد أوصد طريق البحر في معظم الأحوال دور التبادل التجاري بين بلدان أوروبا ، فالاعتماد على السكك الحديد مرهق لها علاوة على ان الخطوط الحديدية الممدودة الآن لا تكفي لنقل جانب يسير من المقادير التي تنبأها بلدان أوروبا في الأحوال السوية . أما المشكلة التي تواجهها بريطانيا فليست مشكلة هل نجد ما نريد ، وهل تستطيع ان تبتاعه . فانها واجدة كل ما تريد وقادرة على شرائه ويضاف اليه ما ترسله اليها الولايات المتحدة الاميركية بغير حساب للثمن الآن . ولكنها مشكلة نقل ما تحتاج اليه لأنه متاح لها في شتى البلدان . وهذا النقل يتم بحراً بأسطولها التجاري والأساطيل التجارية التابعة لحلفائها وفي مقدمتها أسطولاً نروج وهولندا . فاذا وصفنا المشكلتين هذا الوصف على اختصاره فقد أشرنا الى قواعد الخططين الحربيين اللتين يجري عليهما الفريقان المتحاربان

أما بريطانيا فخطتها الآن منع كل وارد من وراء البحار الى المانيا ، وهذا المنع يحقق بالحصار البحري ينفذه أسطول بريطانيا المتفوق ويستثنى منه قليل مما يصل المانيا عن طريق سيبيريا وروسيا . ثم توجيه قاذقاتها الى المستودعات التي خزنت فيها المانيا ما جمعتها قبل نشوب الحرب من مواد قطع واردها عنها ، وتدمير مواصلاتها البرية لعرقله النقل بين ولاياتها المختلفة ثم بينها وبين البلدان الخاضعة أو الموالية لها . فبذلك تعجل استنفاد المخزون أو تجعل نقله من حيث خزن الى حيث يراد استعماله محفوفاً بالمشاق . فاذا التقى التأثيران تأثير المنع وتأثير النفاد ، فلا مفر لالمانيا وحليفاتها — وايطاليا أشد تعرضاً من ألمانيا لهذا النوع من الحرب لأنها أفقر ومخزونها أقل واعتمادها على الوارد البحري أعظم — من أن تصاب بالاعياء الاقتصادي الذي كان أحد العوامل الفعالة في كسر شوكة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى بعد ما امتدت فتوحاتها في أوروبا امتداداً لا يقل كثيراً عن امتدادها الآن

وأما المانيا فخطتها كذلك أن تمنع الوارد عن بريطانيا وأن تدمر مصانعها واعتمادها على الطائرات والغواصات . وقد نجحت بريطانيا في منع الوارد الى المانيا بحراً وفي تدمير وتعطيل جانب كبير من مصانعها ومواصلاتها ، وفي التغلب على خطر الغواصات والألغام المغنطة في ما انقضى من الحرب الى بدء هذا الربيع ولكن المعركة استؤنفت الآن بعد استئكان الشتاء والخلاصة أن كفة بريطانيا في الموارد الاقتصادية والصناعية أرجح من كفة المانيا . واذا كانت المانيا قد ضربت أقوى ضرباتها الحربية في السنة الاولى من الحرب ، لأنها كانت تامة الأهبة لها — وكل معتد يتأهب للاعتداء — واذا كانت بريطانيا لم تكن قادرة على الرد على هذه الضربات بضربات قوية مثلها لأنها لم تتأهب ، فان الضربات البريطانية ستأتي — وقد بدأت — عندما ما يكون عدوها قد وهنت قوته الداخلية بفعل الحصار البحري وقذف الطائرات

حَدِيثَةُ الْمُقْتَطِفِ

الفرع

لدباس أبو بركة

الأسم السجين

لمحمود أبو الوفا

كتاب مه طيار لأم

ترجم ونشر بإشراف الاتحاد المصري الانكليزي

(١) الفرع

لاباس أبو شبكة

زارع الحقل في البكور عيشك الدهر أخضر
أنت في هيكل الزهور فيلسوف مفكر

سيد المنجل الحقيق أنت للناس سيد
من ذراعيك للفقير حبة القمح تولد

ماؤك الطاهر الزلال من سوايق يقطر
كل ما تقتني حلال باسمك الخير يذكر

أنت وجه مخلص للجدود المخلصين
مثلهم سوف تلحد طاهر العين واليمين

يا بعيداً عن البشر أنت لا تعرف الشرور
تعرف الماء والحجر والأعاصير والزهور

(١) من ديوان «الالحان» للشاعر اللبناني الياس أبو شبكة

الأسد السجين

لمحمود أبو الوفا

أهذا الليث ذو البطش الشديد يسامُ الضيمَ في القفص الحديد
عجبتُ لمنطق العصر الجديد أجَلْ يا منطق العصر المجيد
لقد علمتني لغة العبيد

لقد علمتني لغة الخداع وقدرتها على مسخ الطباع
حُواة العصر قد هجروا الأفاعي إلى صيد الغطاريف السباع
ألا ويلَ الحواة من المصيد

ألا يا ويلَ مملكة الحواة إذا اجتمع الأباة إلى الأباة
وقالوا: ها هنا ثأرُ الحياة هنا الأحرارُ ترضى بالمات
ولا ترضى بالذلال الأسود

أباسم العلم ، أم باسم التمدن يحاجُ بسيد الصحراء يسجن
لئن ظننوا بأن الحرَّ يحين وأن الأسدَ تقبل أن تسجن
فقد كذبتهموا أم الوعود

غداً يا ليثُ إن هم دجنوك تباهوا أنهم قد مدّوك
وهم فلت أنت ولا أبوك بما لهم إذا هم عودوك
فترقص في الملاعب كالقزود

من التمدن إلا أن تحاذر فلاك يا أبا الأشبال عاذر
هناك قد ترى شرَّ المناكر وإن عارضت قالوا: عنك ثأرُ
وقانونُ التمدن ذو بنود

ألا يا ليثُ لست أقول صبراً فقد جرّبت هذا الصبرَ دهرًا
فلم ينفع وزاد العيش مرّاً ولكن إن قدرتِ وكنت حرّاً
فخطم كل هاتيك القيود

كتاب مه طيار لأم

لسمت أستمع نذير الخطر ، لكن الحوادث تجري سراعاً . وقد أوصيت بأن يرسل اليك كتابي هذا ، اذا قدر لي أن لا أعود من غارة جوية سأدعى للقيام بها وشيكاً . فتذرعني بالأمل شهراً ، فاذا انتهى الشهر فمليك ان تروضي نفسك على الواقع ، وتعلمي أنني قد عهدت في واجبي إلى ذوي بأس من رفاقي ، رجال سلاح الطيران الملكي ، شأن الكثير من سبقوني من أقراني البواسل

وعزاؤك عن فقدي أن تعلمي بان قسطين من هذه الحرب كان من أروع الأعمال وأجلها شأنًا . فان طائرات استكشافنا الجواله في بحر الشمال . قد حاولت على سلامة الطرق التجارية للقوافل البحرية وسفن التموين . ومن أعمالها المأثورة أن المعلومات التي أتت بها في احد الأيام ، كانت سبباً في انقاذ حياة رجال تعطلت بهم سفينة ، تقل حراس إحدى المناثر

وإني أقدر صعوبة لقائك موتي بنفس مطمئنة ، ولكنك تخلفين ظني ان لم نحاولي ذلك ، وتتغلب على العاطفة ، اذ اني لم أدخر جهداً في سبيل النهوض بالواجب ، ولا يستطيع أي رجل أن يقوم بأكثر من ذلك ، وليس في عداد الرجال من يفعل أقل من ذلك

لقد طالما أعجبت بشجاعتك الرائعة في مواجهة الحن المتوالية ، وبقدرك على إعدادي وثقيفي كسائر أبناء هذه البلاد ، مع احتفاظك دائماً بالمظاهر اللائقة ودون أن تفقدي قط يقينك بالمستقبل . والآن إذا مت ، فلن يعني ذلك أن جهادك قد راح سدئ بل معناه أن تضحياتك تعادل تضحياتي عظيمة وجلالاً . فان الذين يخمدون انجلترا لا يجدر بهم أن يتطلعوا الى أجر منها وجزاء ، بل أننا نحقر أنفسنا ، ونهين كرامتنا ، اذا حسبنا بلادنا مجرد مكان للطعام والنوم

والتاريخ تتجاوب أصدأه بأسماء رنانة مجيدة ، ضحى أصحابها بكل شيء فانبعثت من تضحياتهم الامبراطورية البريطانية ، حيث السلام الشامل ، والعدل الوارف ، والحرية التي ينعم بها الجميع ، وحيث ترعرعت الحضارة ، وبلغت من السمو والرفعة ، مبلغاً لا تدانيه البلاد الأخرى ، ولا تزال في ارتفاع مطرد

على أن الامر لا يقف عند حد المساس ببلادنا ، بل اتنا اليوم نواجه أكبر تحدٍ للمسيحية والمدنية عرفه العالم. واني لسعيد بخور بأن بلغت من السن والقدرة وما يؤهلني لأن أخوض غمار هذا الصراع بكل ما أوتيت من قوة وأهبة . والفضل في ذلك لك . بيد أن أمامك في السنوات المقبلة عملاً أجلاً مما مضى ، فان على بلادنا أن تبقى متحدة متساندة بعد الظفر في الحرب . ومهما قيل في ذم هذه الحرب ، فاني أراها لا تخلو من خير ، ويكفي انها اتاحت لكل فرد ان يقدم ويغامر بكل شيء ، ذوداً عن ميداء شأن الشهداء في الازمان الغابرة . ومهما طال الأمد فان هناك شيئاً واحداً لن يتبدل ، وهو اني عشت انكليزياً ومت انكليزياً ، ولن تتغير هذه الحقيقة ، ولست أبالي بعدها شيئاً

لا يحزنك موتي ما دمت صادقة الايمان بالدين ، وما يدعو اليه والا كان حزنك رياء . وما أنا براهب الموت ، وانما يخالطني شعور عجيب من الغبطة والسمو ، وما كنت لأرضى لنفسى غير ذلك

إن العالم أزلي لا حد له ، فلا مسوغ لحياة فرد واحد ، الا بمقدار ما يبذله من التضحية . ولقد بعثنا الى هذه الدنيا لتكتسب شخصية وخلقاً ، نحرس عليهم ولا نرضى لها ضياعاً . إن اولئك الذين يقنعون من حياتهم ، بأن يشبعوا بطونهم ويناموا ملء جفونهم ويتكاثروا ، هم كالأنعام ، اذ تنقضي حياتهم كلها في صفو وسلام وإني لأومن ايماناً صادقاً ، بأن الشرور قد سلطت على هذه الدنيا لتبلونا فاللة يخلقها عن قصد وحكمة ، كي يعجز عودنا لأنه يعلم ما فيه خيرنا وصلاخنا . والانبيل حافل بالامثلة التي تغض من شأن طلب السلامة ، والاستئمان الى الدعة لمناقشتها المبادئ السامية

واني أعد نفسي سعيداً ، لأنني شاهدت بلادي كلها ، وتعرفت الى أناس من كل طائفة . ولكني بتجربتي الاخيرة في الحرب قد أتممت تكويتي . وهكذا أدت رسالتي الدنيوية في مطلع الشباب وتأهبت للموت غير آسف الا على أمر واحد : وهو اني سأحرم وقف حياتي على إسعادك بوجودي معك وقربي منك ، في سنواتك الاخيرة ، ولكنتك ستمعيشين في سلام وحرية ساهمت في اقرارهما بنفسى ولهذا لم تذهب حياتي هباء

ترجم ونشر بأشراف الاتحاد المصري الانكليزي

باب المراسلة والمناطة

الفيزياء الحديثة

المرئي وغير المرئي

حضرة الأستاذ الفاضل رئيس تحرير المقتطف : قرأت كلمة حضرة الفاضل الأستاذ نقولا الحداد بصدد ما سماه تناقضاً في حقيقتين من حقائق نظرية النسبية هما انعدام ابعاد الجسم اذا تحرك بسرعة الضوء فيختفي عن الأنظار ، وزيادة كتلته في الوقت ذاته زيادة لا نهائية والواقع أنه لا تناقض البتة وكل ما في الأمر أننا نهمل في بحوثنا المادية كل ما يتعلق بغير المدرك من مشاعرنا . فالمادة قد تكون موجودة وقد تزايد ثم تكون في الوقت ذاته غير مرئية منا . ولكي أهد السبيل لفهم هذا لا بد من التعرّيج أولاً على الأشعة التي استكشفها في فينا الهر ستيفان بريل Herr Stefan Pribill . فهذه الأشعة اذا سلطت على انسان أو حيوان أو جاد جعلته يخفي عن العين ، أي انه ينعدم بالنسبة لحاسة البصر فقط وقد استكشف بريل هذه الأشعة غير المنظورة باستخدامه مصابيح زئبقية وتيارات كهربائية ذات ضغوط مرتفعة جداً . وهو يرشح هذه الأشعة التي من هذا الطراز خلال مرشح من حجر الكوارتز البنفسجي ، وبعد ترشيحها يسقط عليها مرآة لتعكسها في أي اتجاه يريد فاذما سلطت الأشعة بعد ذلك على رجل أو كرسي أو ما شئت من سلع أو حيوانات اختفى كل هؤلاء لا عن العين فحسب بل عن عدسة الفوتوغرافيا ايضاً

وفي المعرض الزراعي الصناعي الأخير الذي أقيم في القاهرة منذ بضع سنوات أجريت تجارب من هذا الطراز أمام جماهير الزائرين

ومن الموجات الصوتية ما هو صامت لا تدركه الأذن . وقد استحدثت هذه الموجات الصوتية الصامتة الأستاذ وود Wood الأمريكي ، وهي موجات قصيرة جداً لا تستطيع الأذن ادراكها ، قوية التضامط والتخلخل بحيث اذا اطلقت في الماء رفعت درجة حرارته وقتلت صدمتها الأسماك . ولا يمكن ان تدركها الأذن الا اذا تداخلت موجتان منهما مختلفتا الدرجة

سقت هذا لأبين ان هناك مواد لا تدركها العين مع وجودها ، وهناك كذلك أصوات لا تدركها الأذن مع وجودها

فانظر اذن ماذا يحدث للجسم الذي يتحرك . وخذ صور الشريط السينمائي فالمعروف ان الحركة تنشأ في الصور السينمائية من تغير عرض سلسلة متتابعة من صور فوتوغرافية مرصوفة بانتظام على شريط شفاف . أما التغيرات الطفيفة في موضع الأشياء في الصور — وهي التغيرات الناجمة عن تحريكها وقت أخذ الصور الفوتوغرافية — فقد اندمجت بعضها في بعض وامتزجت حتى لتبدو للعين كأنها حركة طبيعية . ويرجع سبب فاعلية هذا الامتزاج الحادث في الصور المتغيرة الى التأثير الذي يحدث في العين والمعروف باسم استدامة الرؤية persistence of vision وبعبارة اخرى يبقى التأثير الواقع على الخلايا العصبية الموجودة في شبكية العين في الذاكرة دون وعي به او ادراك فيفضل تصور الراي بذلك الامتزاج الحادث في الصور المتتابعة

ولن تستطيع العين ان تدرك تغيراً يستغرق حدوثه من الوقت $\frac{1}{16}$ من الثانية . ولذلك فان تحريك جسم ما من نقطة لأخرى خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة لا يمكن ان يرى بل يستطاع تصوره فقط . واذا تبادلت بسرعة صورتان فوتوغرافيتان لأشياء واحدة وانما تغيرت أوضاعهما تغيراً طفيفاً فانهما تبدوا للعين كأنهما صورة واحدة لمجموعة الاشياء تلك قد تحركت بالفعل ، وذلك لان الصورة الثانية تكون قد أضيفت كما هي الى الاولى التي استبقتهما الذاكرة ، فيستنتج العقل بالطبيعة ان الحركة مستمرة متواصلة

فاذا تصورنا اننا أسرعنا في ادارة الشريط سرعة متناهية بحيث يسقط أمام العين في الثانية بدل العشرين صورة ألف او ألفان او اكثر من الصور فهل تدرك العين عندئذ شيئاً ؟ إن مجرد تمرير عشرين صورة بل ست عشرة صورة أفقد العين حساسيتها وأفقد المتخ حاسة ادراك انها صور متغيرة فما بالك بتمرير هذا القدر من الصور ؟

والجسم المتحرك بسرعة الضوء يسقط على شبكية العين ألوف من صورهِ في الثانية الواحدة فيزداد ضلال تصور الراي من امتزاج هذه الصور فلا يرى شيئاً . وخير مثل تقدمه رصاصة البندقية حين تنطلق . فالرصاصة في معظم الاحيان لا تدرك العين حركتها فلا تراها . ونخلص من ذلك الى ان الجسم المتحرك بسرعة الضوء لا تستطيع العين تتبعه ، ومن هنا لا تستطيع ادراكه ، ولو استطاعت لرأت الضوء نفسه ، ولا يفوتنا ان الضوء في نفسه لا يرى ، وذلك راجع لسرعته الكبيرة . فهو موجود وله ضغط قاسه العلماء ومع ذلك لا تراه العين

احمد فهمي ابو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

اسوالد شبنجلر

صديقي الأستاذ الفاضل رئيس تحرير المقتطف

بعد النجدة ، اطلعت على ما كتبه الأستاذ السيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي في استنكار
يهودية المفكر النابه اسوالد شبنجلر ، وقد اعتمدت في الاشارة الى يهوديته على مقال ظهر بمجلة
العصر الحمي الاميركية (The Living Age) في العدد ٤١٢٠ مجلد ٣١٧ الصادر في ٢٣
يونيو سنة ١٩٢٣ والمجلد بحذافيره محفوظ عندي وعنوان المقال هو «ضد السامية» Anti-Semitism
وهو عرض لكتاب طبع في لينز في نفس السنة اسمه بالالمانية Das Wesen des Antisemitismus
تأليف الكونت هنريك لورنهوف كالرجي ، وقد كتب له مقدمة قصيرة
مجل المؤلف ، واسمه ريشارد كالرجي ، أشار فيها الى قادة الفكر من اليهود في القرنين التاسع
عشر والعشرين ، وكان في طبيعة من ذكرهم برجسن وشبنجلر واينشتين وفرويد وقد اوضحت
مجلة العصر الحمي انها ترجمت المقال المذكور عن جريدة كانت تظهر في بودابست — ولعلها
لا تزال تظهر — اسمها Pester Lloyd . وما ذكره الأستاذ عن قوة بصيرة شبنجلر ودقة
فكره لا يكفي بطبيعة الحال لانكار يهوديته ، فاني أتذكر انه قد عاش في القرن السابع عشر
رجل لا اختلاف في يهوديته يدعى « باروخ اسبيوزا » يعنى به مؤرخو الفلسفة على تباين
نازعهم ، وأظن هذا الرجل قد اوتي شيئاً من قوة البصيرة ودقة التفكير ، وبزعم بعض مؤرخي
الفلسفة والأدب انه قد أثر في التفكير الألماني وبخاصة في جوته كبير شعراء الألمان

بقيت مسألة ربما استوجبت الشك في يهودية شبنجلر وهي اعتزاز عصبة النازيين بأرائه
ونسبته لهم — وأحيل القارئ في هذا الصدد على ما كتبه في نقد آراء شبنجلر المفكر الانكليزي
المرليونيارد ولف في كتابه عن الدجل السيامي والفلسفي الحديث وقد اختار لكتابته هذا
الاسم العجيب وهو ! Quack, Quack اي « دجّال . دجّال ! » — ولكن هذا في رأيي
اليتي يهوديته ، فقد ذكرت مدام لوريمر في كتابها^(١) « ماذا يريد هتلر » ان الفرد روزنبرج

(١) راجع صفحة ٩٨ من كتاب What Hitler Wants

صاحب الآراء المتطرفة في الشعوبية ليس المائتاً خالصاً وإن الدم اليهودي والروسي يجريان في عروقه ويهون النازيون من شأن ذلك بابتكارهم نظرية جديدة هي من مستحدثاتهم الباهرة وهي « ان النفوس الثورية قد تسكن الاجسام غير الثورية والعكس بالعكس »

فاذا كان عند الاستاذ ما ينفي يهودية شبنجلر نفياً قاطعاً فليفضل بذكره في المقتطف تحريماً للحق الذي ننشده جميعاً وأنا على أتم استعداد لأشرح غيره وألحقه بالثلاثة الآخرين من كبار المفكرين اليهود الذين ذكرتهم في مقالي عن الفيلسوف برجسون

علي أدهم

وتفضل بقبول تحياتي

المقتطف: وبعد ما تلقينا من الاستاذ أدهم الكلمة المتقدمة تلقينا من الدكتور الجمالي بالعراق استفهاماً آخر عن يهودية شبنجلر فنشرناه في ما يلي :

* * *

حضرة صاحب المقتطف الأعز — بعد اهداء التحية والاحترام :

عقد الاستاذ السيد علي ادهم في العدد الثاني من المجلد الثامن والتسعين من المقتطف الأغر الصادر في فبراير سنة ١٩٤١ فصلاً عن الفيلسوف الكبير هنري برجسون قال فيه ما نصه : — « وقد يكون من الخير أن نذكر في هذا العصر الذي غلبت فيه على بعض الأمم الآراء العنصرية الزائفة أن برجسون أحد أربعة من ابناء اسرائيل كان لهم تأثير كبير في التفكير الحديث ، والثلاثة الآخرون هم فرويد العالم النفسي الذي قال عنه ماكدوجال إنه أكبر عالم نفسي عرفته الدنيا منذ عهد أرسطو — واينشتين صاحب الآراء المعروفة في النسبية ، وشبنجلر مؤلف كتاب « تدهور الغرب » الذي كان له تأثير كبير في دراسة التاريخ والموازنة بين الحضارات . . . الخ »

اننا نعرف أن « اسوالد شبنجلر » ليس يهودياً وانما هو نازي قبح ، وآخر تأليفه كتابه الذي ألفه قبل بضع سنوات أي قبل وفاته « ساعة التصميم » « The Hour of Decision » وفيه يزعم أفضلية العنصر الجرمانى على سواه من العناصر الاخرى وانه العنصر الذي وكل الله اليه تحقيق ما فيه خير البشرية وسعادتها

اننا نرجو من الاستاذ السيد علي ادهم اعلامنا المصدر الذي استقى منه خبر كون « اسوالد شبنجلر » يهودياً ، وتوفير قراء المقتطف بالواقع ولكم مزيد الشكر

الخلاص

الدكتور محمد فاضل الجمالي

العراق



مَكْتَبَةُ الْمُقْتَضَفَاتِ

تشرتشل

رجل مفرغ في قالب الابطال — صفحاته ١٤٤ من القطع الوسط — طبع دار المستقبل بمصر

من لطف الله بالعالم في المحنة الأليمة التي يجتازها ، والفتنة الأليمة التي تريد أن تسيطر عليه ، أن أتاح له رجلين أو قل قوتين جبّارتين ، وإرادتين حديديتين ، وعزميتين ماضيتين مجتعمان على فكرة واحدة وغرض واحد ليس الشر جزءاً من سياستهما ولا البقي فصلاً من رسالتهما ، عُرِفَت عن أوّلها صلابة الرأي مع سداده وحرية الفكر مع الصراحة الخالصة من شوائب الهرج والداوية يرمي بصره الى أبعد آفاق السياسة فيطوي العالم في نظره ليبيّن بعد ذلك خطته في اناة وحزم. وعُرِفَت عن الثاني روحه الديمقراطية السمحاء ودعوته الى السلم وسعيه الى إقراره فلما لم يستطع ذلك لم تهن عزمته ، وعرف ان السلام الصحيح كالايمان الصحيح لا بدّ له من بعض الشك في صحة الأشياء ليتخذ طريقاً الى الايمان الحق فأطلق عزمه هزاً للعالم وشدّ أماله في سلام بعد ذلك صحيح

هذان الرجلان هما تشرتشل وروزفلت زعما الديمقراطية في العالم الآن والمناخان لقوى الشرّ والباطل ، والثابتان لأعاصير السياسة الدولية لا يتزعزان
فرجل بريطانيا ثابت في سياسته ثبوت الجزيرة العاتية القائمة في وجه القوى الشريرة المتألبّة عليها من البحر والجو ، فيه كل خلق هذه الجزيرة وأهلها. رجل استطاع ان يهز الغاشم هزّاً ويقلقه اقلاقاً ، ويسيرُه من شرق اوربا الى غربها يستعدي هذا ويسترضي ذاك ، ويوقف ضرباته الخاطفة ويسدّ عليه الخناق . ثم يهوي بالصمّ الفاشستي من عليائه ويكشف عنه قناعه فاذا هو صريع هشيم مخربة للعالمين وآية للظالمين

رجل استطاع ان يجعل الحكمة المأثورة «أول ضحايا الحرب : الحقيقة» حكمة لا تنطبق في هذه الحرب من جانب الحلفاء فأمن العالم بما تذيعه بريطانيا ووثق بأخبارها لأن رجالها

يقف فيطلع العالم أجمع على حقيقة الموقف لا يستر شيئاً ، ولا يهاب تقرير حقيقة ، ولا يبنّي على نصرٍ مهما تكن قيمته القصور الشاخصات

هذا هو الرجل العالم الأديب ، والسياسي المفكر ، والصحفي المغامر ، والضابط الحُرّ الفكر ، والقائد الذي يقود العالم. اجتمعت له جميع عناصر البطولة ، من الطفولة الى الكهولة . وليست البطولة ان تقف مستعداً عشرين عاماً لتخرب وتدمر ، ولكن البطولة أن تقف في وجه المستعد انثار دون استعداد فتقسمه على أن يحسب لك الف حساب ، ويعدّل خططه ألف تعديل ، ويحار كيف يصارعك وفي أي مكان

ليست البطولة جديدة في حياة ونستن تشرشل ولكنها في دمه منذ نعومة أظفاره وليست الصراحة سياسة جديدة ألزمته اياها الظروف ولكنها غريزة فيه منذ صغره ، وليس نشاطه وسهره بالغريب فهو مناضل منذ زج بنفسه في حلبة السياسة وهو شاب . فقوى النشاط عنصر من عناصر حياته

ولقد جلا الاسناد فؤاد صروف هذه الشخصية العظيمة أمام ابناء العربية وكشف عن مظاهر عبقرية تشرشل وبطولته في الترجمة التي وضعها له في أسلوب قصصي شائق وبالذقة التي امتازت به تأليفه فأطلعنا على حياة هذا الرجل في طفولته وعند ما انتظم بالمدرسة الحربية ثم اشتراكه بعد ذلك لأول مرة في ثورة جزيرة كوبا ثم في بعض وقائع الهند ثم في معركة أم درمان ثم في حرب البوير وهو في جميع الحروب يحمل الى جانب السيف قلماً أمضى منه يستله غير هيب ، وكانت لنقداته وصراحته فيها ضجة كادت تحول دون اندماجه في بعض حروب الامبراطورية . ولكن القلب العظيم لا يعرف اليأس فقد شق طريقه الى غاياته فلما انتهت الحروب انتقل الى ميدان السياسة فكان شعلة متقدة في مجلس العموم . وقد عرض المؤلف هذه الناحية عرضاً رائعاً أبان فيه عن نواحي العظمة الكامنة في بطله المناضل المكافح لا يثنيه فشل ولا يزدنيه نجاح . حتى اذا ابتداء الفصل الثالث من هذه الترجمة ، والفصول التالية أطلعنا المؤلف على جوانب تاريخية للحرب الكبرى التي نشبت سنة ١٩١٤ وما كان لتشرشل من أثر فيها وما وجه اليه من حملات خلالها ، ثبت فيها حتى استطاع أن يخرج منها كما يخرج القمر من الغيمة الكالحة . وتخرج بعد ذلك قضية بريطانيا وحلفائها ظافرة

ان الرجل الذي يهتف في شبابه عندما نشبت حرب البوير : « كنت حتى نشوب الحرب اطلب السلام مهما يكن الثمن . فلما نشبت أصبحت اطلب النصر مهما يكن الثمن » هو هو الرجل الذي يهتف في الحرب الحالية عندما قلد رئاسة الوزارة : « ليس عندي ما أقدمه الا العمل والضحى والدموع والدماء . . . تسألني ما سياسة الحكومة ؟ فأقول شن الحرب . وما غرضها

فأقول : النصر » وهو هو الرجل الذي ينتظر العالم منه جهود الجيابة في سبيل قضيتيه الكبرى قضية السلام العام

ان حياة هذا الرجل حياة جديرة بالاحلال لانها نضال في سبيل الانسانية وخيرها لا في سبيل المطامع الذاتية والطغيان الفاشم ، وان كتاب الاستاذ فؤاد صروف لجدير بأن يتدبره الشباب ففيه دروس لكل شاب ، وان يطلع عليه الشيوخ ففيه عظات بالغات للقوى المذخورة في هذا الرجل ، وأن تقرأ المرأة ففيه نواح من التربية الخلقية جديرة بالدرس والتلقين فاتنا مقبلون على عالم يتطلب الكفاح والنضال واليقظة المستمرة . وليس هناك ما هو أبلغ في التأثير في نفوس الناشئة من سرد حياة العظماء .

ولعل وقت الأستاذ فؤاد يسمح له بإعادة طبع هذا الكتاب بعد أن يضيف اليه ناحية من حياة هذا الرجل الأدبية مع عرض نماذج من آثاره فيها فما حمل الأثير في هذا الزمن الصاحب أروع من خطبه الممتلئة بضروب الثقافة ، ولا غرو فالأديب الكبير يدمغ كل عمل يعمل ولو كان الحديد والنار بالطابع الذي يدمغ به صحائفه . والأستاذ فؤاد صروف من خير من يتناول حياة عظماء السياسة المعاصرين وهو المطلع على تيارات الفكر ، المراقب لتطورات الحوادث ببصر يقظ وثاب وذهن علمي دقيق

الصيرفي

نفحات تاريخية

للاستاذ عزيز خانكي بك الحامي — المطبعة المصرية بالقاهرة

مؤلف هذا الكتاب ليس جديداً في عالم التأليف والكتابة . ولكنه قديم فيها متمرس بأصولها . عالم بقواعدها وما يجتذب به اليه القارئ اجتذاباً . وله في ذلك وسائل عدة ، وطرائق مختلفة . فهو يسوق الحوادث سوقاً هيناً سهلاً لا عنف فيه ولا تعقيد ولا معازلة . حتى يضطر القارئ الى متابعتها والالتيان على كل ما يكتبه وقد خرج من ذلك لم يكده فكر ، ولم يشكف فهماً

ويمتاز أيضاً هذا الشيخ الذي أدرك كثيراً من الحوادث ، وعاصر كثيراً من السنين بمزية الطرافة في كل ما يكتبه . وهذه الطرافة هي السر في إلحاح القراء على كتيبه وخاصة التاريخية منها لأنها تسرد الحوادث في رفق ، وتنقل بالقارئ من روضة الى روضة ومن ثمرة الى ثمرة فيجد في هذا الانتقال لذة كبيرة ومتاعاً عظيماً

ويمتاز الاستاذ أيضاً بكثرة الانتاج وانهماره حتى في هذا الزمن الذي كَلَّت فيه العقول من كثرة ما أصاب العالم من خراب لا تعلم له غاية ، ولا ندري له نهاية . وهو لا يبالي في سبيل

التأليف بما يصادف المؤلفين من عقايل المادة . فليرتفع ثمن الورق ! وليبلغ ذلك الارتفاع مدى ما كنا نحلم به من عام وبعض عام ! وليضنَّ المؤلفون باخراج كتبهم في هذه المحنة القاسية ! ولكن أستاذنا الجليل لا يبالي بذلك كله ولا يقيم له وزناً ولا يحسب له حساباً فيخرج كتابه الذي تقدمه اليوم الى القراء في حلة جميلة على ورق صقيل ، ومحلى بالكثير من الصور لمن تعرض لهم من الرجال او لما تناوله من الحوادث

وفي الكتاب فصول طريفة غاية الطرافة لا نجد لواحد منها فضلاً على واحد . ولا لبعضها ميزة على بعض فكلها شائقة متمعة تحتوي من المعالم التاريخية ما لا يستغني عنه كل مثقف أديب . او ذكي لبيب . نذكر منها فصلاً تاريخياً عن خديو مصر وعزيز مصر ، وفصلاً عن بعض كبار الأرمن في مصر وفصلاً عن أتاتورك وفصلاً عن مصطفى كامل وفصلاً عن السلطان عبد العزيز في مصر وفصلاً عن جمال محمد علي وغير ذلك من الفصول التي تهتم معرفتها كل باحث ليرجع اليها متى شاء فيجد فيها تاريخاً ممتعاً وقد يكون مؤيداً في بعض الأحوال بمشاهدات المؤلف نفسه أو بسماعه

ومن محامد الأستاذ عزيز خانكي بك أنه لا ينبغي من وراء تأليفه نقماً مادياً ولا ربحاً مالياً ، ولو أراد ذلك لاجتمع له من الربح كثير . ولكنه يؤلفها خدمة للعلم أو حسبة للتاريخ أو احتساباً للأدب ويوزعها على من يطلبها من القارئ . فاذا كانت المكتبة العربية مدينة له بتسعة وعشرين كتاباً ورسالة أخرجها الى اليوم فالتواضع انرجو مخلصين أن يمد الله في عمره ويبارك في حياته المنتجة حتى يخرج من كتبه اثني عشر كتاباً لاتزال تحت الطبع ومن حسنات المؤلف أنه يؤمن بأمر التاريخ القومي في تكوين القومية ، وخلق الوطنية ولذلك تراه دائماً يختار سير الرجال البارزين في مصر ، ويختار أكثر الحوادث الوطنية امتلاءً بالعبور وحفولاً بالعظات فيبسطها ويعرضها على القراء لعلها تجدد الى نفوسهم مسلكاً ، والى قلوبهم ومشاعرهم مجازاً

وعزيز خانكي منصف في كل ما يرى ، محقق في كل ما يكتب — الا بعض هفوات لا يسلم منها من تعرض للكتابة واستهدف للتأليف . وقد ذكر حضرته في عداد المؤرخين المصريين اسم الاستاذ (عمر الاسكندري) هكذا (احمد عمر الاسكندري) والحق أن احمد وعمر أخوان كان أولهما طالباً لغويًا جليلاً وأستاذاً في دار العلوم وعضواً في مجمع فؤاد الأول [وقد تشرفت بالتعاقد عليه — رحمه الله —] . أما الثاني الأستاذ عمر الاسكندري — مد الله في حياته — فهو مؤرخ محقق كبير

محمد عبد الغني حسن

الاحزان

٩٣ صفحة من القطع الوسط ، نشرتها دار « المكشوف » في بيروت وطبعت في مطبعة الاتحاد منذ عامين تقريباً أصدر الشاعر الاستاذ الياس أبو شبكة مجموعة من شعره بعنوان « أفاعي الفردوس » نالت من إعجاب الادباء وتقديرهم ما هي جديرة به ، ولاقت من النقاد ناحيتين مختلفتين من وجهتي النظر ، ناحية إعجاب بهذا المنحى وتأيد له وناحية نقد في عنف . فلقد طالع القراء في تلك المجموعة اتجاهاً خاصاً في تصوير النزعات الفنية تصويراً دقيقاً في شيء من الصراحة التي ألبسها الفن ثوباً فتنائياً نأى بها عن لوثة الحس الممضنة ، فكانت لها منطلق الألسنة متورد الوهج

ركاماً أراد الشاعر أن يهدي أعصاب قرائه بعد ذاك — وبخاصة في هذه المحنة التي يجتازها العالم — وأن يربنا علماً آخر من نفسه علماً هادياً للحن كالجدول المنساب في فضاء القمر السائلة على نسم الليل العابر بين المروج الخضر الحاملة ، بعد أن أرانا علماً صاخباً بالثورة ، عاجلاً بالشهوة ، نحاظ فيه املاكه بشياطينه ، وتتحطم موحات أحلامه على صخور رغباته ، وتقدم عرائسه على مذبح شهواته وطغيانه ،

أجل : أراد شاعرنا أن يرينا أن وراء هذه الضجة ووراء هذا اللمب المتوهج نغماً عذب الرنين هادياً النفس حالم الصدى ، ونوراً بهياً ينبعث في هدوء وسكينة فيشيع في النفس العليانة ، ويبعث فيها حينئذ إلى أحلامها الضائعة في معترك الحياة وفي صخب المدن لتعود إلى الطبيعة الحنون في معالمها الساذجة تعلم من بين حقولها ورياضها أزهار آمالها العطرة ، وتجمع من فوق أفنان اشجارها ثمرات أيامها الخوالي ، وتشرب من جداولها اكواب صباها العابر ، وتبحث عن مرحها فوق جسورها وبين صباحها الناعم ومسائها الهادئ وليلها المترنم بعصفورها وجها وحنانها — أراد شاعرنا ذلك ، فأخرج مجموعته الشعرية الجديدة « الأحزان » وهو ديوان الطبيعة في أجمل صورها وفي أهدأ نواحيها فهو يمشي مع الرماة والحصادين ينشدنهم من نثارته ذوب قلب هادئ حنون يمجّد الفلاح ، ويشارك القرويين افراحهم ويغني لأطفالهم في أعيادهم ويسامرهم في أمسياتهم ويستيقظ معهم على نغم الطبيعة الساري . فبعد ان كنا نسمع شاعرنا يصرخ في ديوان « الافاعي » :

أسليلة الفحشاء نارك في دمي فتضرمي ما شئت ان تتضرمي

أنا لست أخشى من جهنم جذوة مادام جسمي ، يا سدوم جهنمي

إذ بنا نسمعه في ديوانه الجديد يغغم في « صلاة المغيب » :

اسمعي الأجراس في قبة دير الراهبات

يحمل الوادي صداها للنفوس الزاهدت
فيه أصوات حنان وبقايا زفرات
صعدتها راهبات الد ير قدام الصليب
استجدي لله يا نفسي فقد وافى المغيّب
ونسمعه في « ألحان القرية » يهتف في لهفة وتحسر :

أرجع لنا ما كان يا دهر في لبنان
كانت لنا أحلامنا والمنى
وكان صفو الزمان

كان الضمير الهني من كنزنا المزمّن
وراحة الوجدان وكان... كان الأمان
والعيش حلو الجنى
يا دهر ارجع لنا
ما كان في لبنان

وقد اضطرته هذه الحياة الهادئة الناعمة الحاملة أن يضرب ريشته في وداعة وهدوء وفي أسلوب رقيق ليستطيع التوفيق بين الصورة الساذجة التي يراها وبين ما يجب أن تؤدّى به من اللفظ . وهو بين الثورة في ديوانه الأول ، وبين الهدوء في ديوانه الثاني وبين اللهب المتوهج هناك ، وبين النور الهادي الرقيق هنا ، وبين ما تحتاج إليه الحياة الأولى من ألفاظ وأساليب ، وبين ما تحتاج إليه الحياة الثانية ... هو هو الشاعر الذي لا تغيب عن فنه دقيقة من الدقائق ، ويصهر الساذج من الصور فيحوّلها الى فن رائع . فنسمعه في قصيدته « المعصرة » يقول :

اعصروا العنب واملاؤا القرب
شمسنا ندى خمرنا أدب
فيك انصروا روح النجوم والقمر
وفي الكروم مرّ النسيم فاختمر
وفيك ذاب الصباح معطر الاقداح
ودبّ فيك اللهب
يا غنب

هذه هي روح هذا الديوان الجديد ، وهذه هي أنفامه . ومن قصائده : « الحصادون » و « ألحان الشتاء » و « ألحان الربيع » و « ألحان الصيف » و « ألحان القرية » و « ألحان

الطيور» و «المعصرة» و «الفلاح» — وقد نشرت في هذا العدد من «المقتطف» —
و «نهر الصليب» و «المناء في الجبال» و «عرس في القرية» و «عيد في القرية»
و «صلاة المغيب» و «يا بلادي» وجميع هذه القصائد تجري على النمط العذب الذي قدمنا نماذج
منه . ومن روائعه في قصيدة «ألحان الربيع» وهي من السهل الممتنع قوله :

نم يا حبيبي نوم الهنا نامت عيون الزهر
ونام إلا المنى والقمر
حتى الندى نام والنسم نم يا حبيبي نم
النهر في الوادي والغصن والشجرور والببل الشادي
وكل حي نام إلا العطور
والهيام في فؤادي

وقد ختم الشاعر مجموعته بمقتطفات من طرفه الشعرية «غلواء» التي كنا ننتظر صدورها
وهي قصة شعرية في خمسة عهود حالت الأحوال الحاضرة وأزمة الورق دون إخراجها بالحالة
التي ترغب فيها «دارالمكشوف» فاختار منها المقتطفات التي نشرها وإنا لنأمل ان تتاح الفرصة
لاخراجها قريباً لعشاق أدب هذا الشاعر فهي من عيون الشعر العربي الحديث ، وقد رسم
لنا الشاعر صورة «غلواء» في هذا الاطار البديع :

غلواء ما أحلى اسمها المطارا ! صبيحة تقبها العذارى
لا يستطيع شاعر ان يبدعا قصيدة أجمل منها مطالعا :
تصوّر الازهار في نوار تنعشها ارتعاشة الأنوار
تصوّر النسيم في الصباح يهز سباق الفل والاقاح
تصوّر السماء في رواها كأنها الأحلام في صفائها
تصوّر الأعشاب في الجبال تحلم في مهد من الظلال
تصوّر الراية الجميلة لوّنها ظل من الجميلة
وكوّم الثلج على الروابي تطفو عليها صفرة الغياب
وانظر أخيراً نظرة سرّية مختلف الجمال في طبيعه
تعرف إذا معرفة علياء كيف السماء أبدعت غلواء

هذه هي نفحة من هذه الطرفة الشعرية الرائعة . وتلك نفحات من «الألحان» الجميلة
العذبة التي سكبها الشاعر في اذن الزمان لتغير بعض الشيء مما يصك مسامع الزمان من قصف
المدافع ودوي الحديد والنار وصراخ المكتوبين بين قهقهة الطغاة المغرورين
فهنيئاً لعالم الشعر بأفهامه ، وهنيئاً لأخي الياس بالحنانه
الصيرفي

اشواق

١١٦ صفحة — من القطع الصغير — مطبعة مصر

أصدر الشاعر الرقيق الاستاذ محمود ابو الوفا مجموعة جديدة من شعره سماها « أشواق » وهي في رقتها وعذوبة ألفاظها ودقة معانيها تنبع من نفس القلب الذي أخرج « الأتقاس المحترقة » وتبدو على شعره تلك السباحة التي أشار اليها الاستاذ فؤاد صروف عندما قدم الديوان الاول لهذا الشاعر . ومحمود ابو الوفا شاعر غنائي مرح العاطفة وثاب القلب ينسى في حبه كل ما يحيط به من دنيا الناس كما في قصيدته « تعالي نظر . . . » حيث يقول

تعالي نظر في سماء المنى فلا بد للحب من أجنحة
ولا بد للحب من ساعة تكون لنا الساعة المفرحة

تعالي نفسير حلم الهوى ونهدي الى الحب تفسيرنا
فان أبصر الناس فردوسنا وأعجبهم : تبعوا شرعنا
بدمعي أنا قد سقيت الغرام بربك لا تحرميني الحنى
تعالي ! تعالي بنا نحبها وننهب الفرصة السانحة
ومن أجمل آيات هذه القصيدة هتافه لمحبوبته :

ولا تحسبينا ابتدعنا الهوى ولا أتنا في الهوى وحدنا
فقد ظلل الحب من قبلنا وسوف يظلل من بعدنا
لقد مرّ بالخان أهل الهوى جميعاً ، وخلّوا لنا كأسنا

وقد ضمّ في هذه المجموعة كثيراً من المقطوعات التي غنت له في السنوات الأخيرة مثل « عند ما يأتي المساء » و « الينايع السبعة » و « عاشقة القمر » ومن روائعه في هذا الديوان قصيدة « قلب الفنان » ومنها يقول :

من أنت ؟ من أنت ؟ قولي لا محاذرة فقد وهبتك إسراي وإعلاني
تكرّ الناس آت من نكائهم لو يطهرون لما احتاجوا لكتبان
وفيها يقول ايضاً :

أمشي وقلبي على كفّي . أقول : ألا
يحب حتى كأف الأرض ليس بها
بل ليس في الأرض من بفض ولا إحن
وله من قصيدة « علميني يا حياتي :

ما الذي في ناظر بك حيراني
ساكتان ، مفصحن واضعان
غامضان ، هادئان نافرين
وهما في كل هذا هما منكسران

وقصائد الديوان قسمان : قسم للغنائيات والتأملات ، وقسم للقوميات وقد طبع هذا الديوان
طبعاً أنيقاً

تاريخ الوزارات العراقية

تأليف السيد عبد الرزاق الحسيني — الجزء الثالث — صفحاته ٢٦٤ صفحة قطع المقتطف — طبع
بمطبعة العرفان بصيدا

تاريخ سياسي نفيس يبحث في نشوء الدولة العراقية ويتكلم عن الأدوار التي اجتازتها
وبثت نصوص المعاهدات والاتفاقات التي عقدتها الوزارات المختلفة التي تعاقبت على كراسي
الحكم في هذه البلاد منذ نشوء الدولة العراقية حتى الآن وذلك بأسلوب مجرد عن التحزب
ومؤيد بالصكوك والوثائق

« وكانت الحكومة البريطانية تصدر تقارير سنوية مسبهة عن سير الإدارة في العراق في
مفتتح كل عام مضمنة أياها حوادث السنة الماضية كبيرها وصغيرها فكانت هذه التقارير خير مصدر
رسمي يعول عليه المؤرخ في تتبع شؤون الدولة وحوادثها. أما بعد انتظام العراق في سلك العصبة
الأممية في أواخر عام ١٩٣٢ فقد توقفت الحكومة المشار إليها عن هذا النشر فزاد هذا التوقف
في مشاق المؤلف

« وكان مجلس الوزراء العراقي يطبع قراراته مطولة في كراريس صغيرة لكل أربعة أشهر
كراسة مستقلة وكان بعض الوزراء يهد لنا سبل الاطلاع على هذه القرارات فنستفيد منها
فوائد غير منكورة. أما بعد السنة ١٩٣١ فقد أبطل هذا النهج وأصبحت القرارات مقتضبة
لانجدها إلا في أضرار معدودة وهذا ما أدى الى حرماننا أهم مصدر من المصادر المعول عليها
« وقد رأينا بعد هذين الحادئين ان نركن الى رؤساء الوزارات فنلت منهم موافقاتا ببعض
الابضاحات التي تساعدنا على أداء هذه الخدمة التاريخية الكبرى على وجه أتم او نرسل اليهم
بعض مواد الكتاب التي نخصهم لبيدوا مطالعاتهم فيها فلم نلق من معظمهم المؤازرة بالصورة التي
كنا نبتغيها » — اه من كلام المؤلف في مقدمة الكتاب

بَابُ الْإِخْبَارِ بِالْعِلْمِيَّةِ

أَسَائِبُ مَطْفَةِ الْغَوَاصَاتِ

للغواصات عدوان لدودان الطائرات
والمدمرات . الأولى تبيينها من الجو فتقذفها
بالقنابل ولو كانت غائصة والثانية تستكشفها من
سطح الماء فإذا تبينتها على سطحه قذفها بقنابل
المدافع وإذا تبينتها بالأجهزة الخاصة وهي تحت
سطح الماء قذفها بقنابل الأغوار

قنابل الأغوار

قنابل الأغوار أو الأعماق أوعية نحوي
مقادير من مواد شديدة التفجر يستطاع
ضبطها حتى لا تنفجر إلا على عمق معين .
وهي في مظهرها الخارجي لا تختلف عن برميل
متوسط من الزيت وتُدحرج عادة إلى الماء على
لوح منحدر ، من مدمرة أو سفن أخرى .
فليست هناك حاجة إلى جهاز خاص دقيق
لا استعمالها ، فاستعمالها ليس بمقتصر على المدمرات
دون غيرها . وقد تقذف إلى الماء مسافة أربعين
قدماً من جهاز يشبه مدفع الهاون قصير الأنبوبة
واسع الفوهة . وعلى السفينة التي تلقي إحدى
هذه القنابل في الماء أن تسرع في الابتعاد عن
موقع القائها لكي لا تتأثر بصدمة الانفجار
تحت الماء

فإذا تبينت مدمرة وجود غواصة تحت
الماء في موقع معين ألقت في الماء أربع قنابل

من قنابل الأغوار كلاً منها في زاوية مربع
تخطيط اضلاعه بالموقع الذي فيه الغواصة وتضبط
القنابل حتى تنفجر على مسافة تحت سطح
البحر حيث تكون الغواصة كما يحسب عمقها
بواسطة الأجهزة الدقيقة المصنوعة لذلك خاصة
وفعل قنابل الأغوار ناشئ عن أن الماء
يضغط على جوانب الغواصة ضغطاً عظيماً عندما
تغوص فإذا أضيف إلى ضغط الماء العادي موجة
ضغط جديد متولد من انفجار القنابل فعندئذ
قد تصاب الغواصة بما يعطلها عن الحركة أو
يفكك ألواح جدرانها أو يدمر بعض أجهزتها
الدقيقة ولولم تصب الغواصة بالقنبلة إصابة مباشرة
أجهزة استكشاف الغواصات

ولا تستكشف الغواصات وتبينها وتعيين
مواقعها تحت الماء أجهزة دقيقة مبادئها معروفة
ولكن تطبيق تلك المبادئ فيها سر من أسرار
الحرب على الغالب . فألحاح الصوت تثقل في الماء .
ولم تصنع غواصة حتى الآن لا تولد صوتاً عندما
تسري في الماء . قد لا تحدث محركاتها الكهربائية
والغواصة تحت الماء ، صوتاً يذكر إذا دارت دوراناً
بطيئاً ولكن فراش دافعها يحدث صوتاً عندما
يدور في الماء . ولذلك صنعت أجهزة دقيقة
تبين الجهة التي يأتي منها هذا الصوت ، وتأثير

وهذه الطائرات تابعة لقيادة السواحل البريطانية . ومهمتها العامة حراسة سواحل بريطانيا ومراقبة قواعد العدو الساحلية وهي تعمل عملها هداماً متعاوناً وتعاوناً تاماً مع الاسطول بين طائرات قيادة السواحل طراز يعرف باسم « صندرلند » وهي قاذفة ضخمة ذات اربعة محركات وتبلغ زنتها خمسة وعشرين طناً وعدد رجالها عشرة وثمنا ٨٥ ألف جنيه . ومن أهم نواحي مهمتها المتقدمة المشاركة في حماية السفن التجارية وليس بالنادر ان تطير احدى هذه الطائرات مسافة ١٨٠٠ ميل في اليوم الواحد انجازاً لما يعهد اليها فيه

تخلق الطائرة فوق المياه التي تسلكها القوافل مرتفعة او قريبة من سطح الماء بينما يتناوب رجالها التحديق في البحر لكشف منظر غواصة او جسم غواصة تحت الماء اذا كان الجو صافياً والماء رائقاً وعندئذ يحسب قاذف القنابل في الطائرة حساب البعد والعمق والسرعة وبعد قبيلة وزنها ٢٥٠ رطلاً فيقذفها الى البحر على موقع الغواصة . وفي الاحصاءات الرسمية ان طائرات هذه القيادة لمحت في الاربعة الأشهر الأولى من الحرب مائة غواصة وهاجمت ثمانين وستين وأغرقت ستاً على الأقل ولم تزعم أنها أغرقت غواصة اذا كان هناك أقل شك في ذلك ولو كان غرقها كبير الاحتمال

الطائرات والغواصات في عرض البحر

ولكن الغواصات تعلم الآن تأثير هذه الطائرات في كشفها ومقاومتها فتجرب ان تفعل

الصوت في سماعة الجهاز يكون على أقواء عندما يقع عمودياً عليها ولذلك تستعمل عادة ثلاثة أجهزة من هذا القبيل في ثلاث مدمرات في مواقع مختلفة لتعيين موقع الغواصة تعييناً دقيقاً تحت سطح الماء وعندئذ تضبط قنابل الاغوار حتى تنفجر على ذلك العمق وتلقى حول الموقع الذي تكون الغواصة فيه

وهناك جهاز آخر مبدؤه معروف ولكن تركيبه سر يمكن رجال المدمرات من معرفة موقع الغواصة ولو لم يكن فيها شيء يتحرك . ومبدؤه ان جسماً جامداً يعكس أمواج الصوت . ولذلك يولد هذا الجهاز صوتاً بأسلوب كهربى وينشر في الماء في جهات مختلفة فاذا انعكس عن جسم التقطت سماعة الجهاز الامواج المرتدة فيعين موقع الجسم الذي ردها على أساس سرعة الصوت في الماء والمدة التي يستغرقها في الذهاب والاياب

هذا قليل عن أفعال الوسائل في مقاومة الغواصات بقنابل الأغوار وفيه تفسير لشدة الحاجة الى المدمرات في حراسة القوافل فهي لسرعتها ولتجهيزها بوسائل تبين الغواصات بالأجهزة التي تقدم ذكرها بقنابل الأغوار ولقدرتها على معالجة الغواصات متى طفت فوق سطح البحر خير السفن الحربية لهذا العمل

الطائرات والغواصات

ولكن الطائرات تساعد في عملها هذا ولا سيما عند ما تقترب القوافل من السواحل اي عند ما تصبح على بضع مئات من الأميال منها

فترفع عن المدمرات جانباً من العبء . واقترح آخر ان تحرس الطائرات الاميركية جميع القوافل الناهبة الى بريطانيا مسافة الف ميل من الشاطئ الاميركي او أكثر ونحرسها الطائرات البريطانية الف ميل قبل وصولها الى الساحل البريطاني فتبقى شقة في الوسط ضيقة بالقياس الى عرض المحيط تشترك في حراستها المدمرات والطائرات المستعدة الى سفينة او أكثر في القافلة

التفاح وحفظ الأزهار

بنضارتها ، ولما كان التفاح لا يحفظ إلا في ثلاثجات بردها قريب من درجة الجمد فحفظ الأزهار في هذه الثلاثجات يفضي الى تأثرها بهذا الغاز . ولكن حفظها في ثلاثجات بردها أقل لا يعرضها لهذه الغاز لأن هذه الثلاثجات لا تصلح لحفظ التفاح . وكذلك حل باعة الأزهار الاميركيون بالاختبار مشكلة تواجههم قبل ان يعرف الأساس العلمي الذي قام عليه هذا الحل

فعلما في مناطق لا تدخل في نطاق حراسة « الصندرايد » وعندئذ تقع مهمة مقاومتها على المدمرات وحدها فاذا كانت المدمرات قليلة والجو جهماً والبحر متلاطمًا فقد يتعذر على المدمرات النهوض بهذه الحراسة على اوفى وجه ولذلك اقترح احد الخبراء الاميركيين ان يصحب كل قافلة سفينة حربية او غير حربية تصاح قاعدة لبضع طائرات تتناوب رصد الغواصات من الجو

تعلّم باعة الأزهار في الولايات المتحدة الأميركية ان حفظ الأزهار المقطوعة كالقرنفل في ثلاثجات معتدلة البرد يزيد نضرتها فهي أصلح للبيع ، ولكن حفظها في ثلاثجات شديدة البرد يذويها ، ولم يعرف السبب حتى كشفه فريق من الباحثين في وزارة الزراعة الأميركية فقد وجدوا ان التفاح المحفوظ في الثلاثجات يطلق مقداراً من غاز الأثيلين ، وهذا الغاز يؤثر في الأزهار كالقرنفل فيذويها ويذهب

كهربية الفم والاسنان المحسوسة

الفك الأسفل ضرس آخر تحت الضرس الأول أو قريب منه وكان محشواً بالذهب أو الفضة فمن المحتمل أن تذوب مقادير يسيرة جداً من الزنك في لعاب حمضي التفاعل ويتصل بالضرس الآخر المحشو ذهباً أو فضة وهذا يولد تياراً ضعيفاً من الكهربية وقد بسبب صدمة اذا تلامس الضرسان او اذا اتفق أن ملعقة او شوكة لمسهما معاً في اثناء الأكل وقد أجري هذا البحث على طائفة كبيرة

كان من المسلم به بين أطباء الأسنان أن فم الانسان قد « يكهرب » كهربة غريبة لا يعلمون لها سبباً وقد تنشأ عنها حالات غير طبيعية في الفم لا يعرف ما علاجها . وفي أحد الأعداد الأخيرة من مجلة جمعية طب الأسنان الاميركية أن فريقاً من الباحثين أثبت ان هذه الكهربة تنشأ عن اختلاف المعدن الذي تحشى به الاسنان فاذا كان في الفك الأعلى ضرس محشو بالملمع ، وهو خليط معدني يكثر فيه الزنك وكان في

من الكلاب وأكثر من ألفي رجل وامرأة
فاذا كان أحد الناس ممن يتعرض لهذه الظاهرة
ظاهرة « كهربة الفم »

أضرار التبغ وفوائده

نشرنا في هذا العدد من المقتطف مقالة
عن أضرار التبغ وفوائده للدكتور اندراوس
شخاشيري كما تراها في مكانها صفة ٣٧٧ وفتاتان
نشير فيها الى أنه أعدها ليذيعها بدعوة من وزارة

ألفهم المكتشفات والمخترعات

في سنة ١٩٤٠

* يدل البحث في أحجام النجوم أن رأس
الجأني في صورة هرقل أكبرها حجماً وأن قطره
٦٩٠ ألف ميل وأن قلب العقرب وكان يحسب
أكبر النجوم يأتي في المنزلة الرابعة

* كشفت خمسة عشر نجماً من « الاقزام
البيضاء » التي حشكت مادتها في نطاق صغير
حتى ليبلغ وزن بوصة مكعبة بوصة مكعبة
منها عدة أطنان . وأول نجم عرف من هذا
القبيل هو النجم المشهور باسم « رفيق الشعري »
* كشفت فأس قتال من الصلب في سوريا
ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد فهي
اذا صح هذا النبأ أقدم من أقدم أدوات الصلب التي
حقق وجودها في آثار المصريين القدماء

* ظهر من الاحصاء العام الذي تم في
الولايات المتحدة الاميركية في سنة ١٩٤٠ أن
سكان الولايات المتحدة زادوا ٢ ر ٧ في المائة
للطاعون الدملي

فعلى طبيب اسنانه ان يزرع الحشوات
القديمة ويحمل حشو الاسنان جميعاً من معدن
واحد أو من الملمع

الشؤون الاجتماعية من محطة الاذاعة اللاسلكية
للحكومة المصرية في منتصف الثامنة من مساء
السبت ٢٩ مارس الماضي فاقتضى التنويه به
واستدراك ما فات

وان عددهم ٢٧٥ ٦٦٩ ر ١٣١ نسمة وأن
مجموع سكان الولايات المتحدة والبلدان التابعة
لها والمملوكة بها نحو ١٥٠ مليوناً

* اقترب العلماء خطوة اخرى من « الطاقة
الذرية » بعزلهم الاورانيوم ٢٣٥ وهو واحد
نظائر الاورانيوم فاذا اطلقت عليه النوترونات
يزخم معتدل أحدثت فيه انشطاراً وصحب
الانشطار انطلاق مقدار من الطاقة ، ويمضي
هذا العمل في ازدياد من تلقاء نفسه في
تفاعل مسلسل ، بعد انطلاق الجسيمات الأولى على
هذا الصنف من الاورانيوم

* صنع لقاح جديد ضد الحصبة وامتنحن
امتحاناً طبيعياً « سريريا » دقيقاً فأسفر عن
نجاح . وصنع عقار السلفا ثيازول (مشتق من
السلفا نيلاميد) وهو أفعل من سابقه في كفاح
النزلة الصدرية (التومونيا) وقد يصلح علاجاً
للطاعون الدملي

* في تكوين البروترومين المادة اللازمة في الدم لتخثيره ومنع النزف وانه كذلك عامل أساسي في تكوين فيتامين k الذي يمنع النزف اذا كان الدم بعوزه البروترومين

* أذيع ان أحد مشتقات السلفا نيلاميد وهو عقار يدعى سلفا نيليلجواندين قد يكون ناجماً في علاج الدوسنتاريا الباشلسية وغيرها من حالات المعدة

* صنع عقار يدعى برومين promin وهو أحد مشتقات السلفا نيلاميد وهناك ما يشير الى احتمال نجاحه في علاج الدرن المستحدث في خنازير الهند

* قررت الحكومة البريطانية إضافة الثيامين الى الدقيق على اعتبار ان الثيامين عامل غذائي لا غنى عنه في منع بعض الأمراض وباعت من بواعث النشاط الجثماني

* صنع المجهر الكهربى للبيع وقد بدأ العلماء يكشفون به عالماً حافلاً بالمعجائب كان محجوباً عن عيونهم وعيون المجاهر التي صنعوها حتى الآن

* تم لبعضهم تلفزة مشاهد من طائفة الى الارض . وتلفزت مشاهد مؤتمر الحزب الجمهوري الذي عقد في فيلادلفيا في الصيف الماضي فقلت الذبذبات الى نيويورك بسلك تلفوني ثم أذيعت لاسلكياً من نيويورك

* أجريت تجارب متعددة أثبتت ان الثيامين او فيتامين B₁ لا يلزم لمنع بعض الأمراض وحسب بل هو لازم للنشاط الجسماني كذلك ، وان نقص الريبوفلافين وهو أحد فيتامينات B يسبب الكيرايتمس (اي التهاب القرنية) ووجوده في الغذاء يشفي هذه الحالة * قامت أدلة على ان الكبد عامل أساسي

قسطنطين بك الحمصي

حتى تسلم ادارة مصرف مالي كبير خلفه له والده ثم نشب يوماً خلاف بينه وبين المصرف العثماني بحلب فأقام الدعوى عليه وذهب الى القسطنطينية ليلاحق هو نفسه الدعوى فاتصل بأبي الهدى الصيادي وكان يومئذ نديم السلطان ومستشاره فأكرم وفادته وقضى له حوائجه وأنعم عليه السلطان بالوسام المجيدي ولقب بك وكان الفقيد كثير الأسفار فقد زار اوربا ومصر غير مرة وكان في السنوات الأخيرة لا ينقطع عن قضاء فصل الشتاء من كل عام

في اليوم السابع من شهر مارس توفي في مدينة حلب علم من أعلام الأدب والبيان هو الشاعر الناصر واللغوي المحقق المرحوم قسطنطين بك الحمصي فذهب الى بارئته محمود النقينة ناصع الصحيفة بعد حياة مفعمة بأجل ما تنعم به حياة العالمين من غرر المآثر وآيات المجد وحيد الآثار ولد الفقيد بحلب سنة ١٨٥٨ في بيت عريق في العز والمجد يرجع بنسبه الى أحد نبلاء الصليبيين الذين استوطنوا في مدينة حمص وأعقبوا فيها ولم يكد الفقيد يشب عن الطوق

بالأدب فظل زهاء ستين عاماً ينظم البدائع والغرر ويكتب الفصول الطوال في الأدب واللغة والشعر والاخلاق والفلسفة والتاريخ والانتقاد والسياسة مما نشر في أشهر الصحف والمجلات السورية والمصرية . ولما أنشئ المجمع العلمي بدمشق انتخب الفقيه عضواً فيه وله في مجلة المجمع بحث طريف في الموازنة بين رسالة الغفران للعري والشعر واللعوبة الإلهية لدانتي . ومن مؤلفاته المطبوعة : السحر الحلال في شعر الدلال وكتاب منهل الورد في علم الانتقاد وأدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر وله ديوان شعر كبير لم يطبع ومجموعة رسائل ومحاضرات ومقالات في موضوعات مختلفة لم تطبع كذلك وكان الفقيه على اتصال وثيق بكبار أدباء العربية وشعرائها ولا سيما بامام اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي وكان شديد التعصب له شأن كل من عرف الشيخ أو تتلمذ له ولقد أقيم للفقيه في شبابه حفلة تكريم أهدي إليه فيها تمثال صنع في باريس من خالص الفضة وهو يمثل مينزفا ربة الحكمة وفي إحدى يدي التمثال أكليل من الغار وفي الثانية قلم مذهب ونقش على قاعدة التمثال المرمية بيتان من الشعر من نظم صديقه الشيخ إبراهيم اليازجي وفي سنة ١٩٣٨ أقيمت له حفلة تكريم لبلوغه الثمانين برئاسة الأمير مصطفى الشهابي محافظ حلب يومئذ . هذه كلمة عجلى عن ترجمة الفقيه . وسننشر في العدد المقبل بحثاً في نثره وشعره بقلم عادل الغضبان

بالقاهرة وأثر رحلاته ظاهر بين في نثره وشعره ولما جرى الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩ كان المسيحي الوحيد الذي دعي إلى اجتماع عقده أعضاء جمعية الاتحاد والترقي واشترك معهم في الدعوة للحرية والجزهر بها وعلى عهد فخري باشا والي حلب انتخب الفقيه ثمانية عضواً في مجلس إدارة الولاية ثم عين أيضاً عضواً في مجلس المعارف برئاسة نادر بك أحد مشاهير علماء الترك ثم عين معاوناً لرئيس المجلس البلدي على عهد والي حسين كاظم بك ولما هبط جمال باشا على حلب رأى الفقيه أن يكتبهم فلا يزوره ولكن أصدقائه نصحوه بزيارته ومدحه مداراة له ففعل

ولما قررت الحكومة التركية التزحزح عن حلب في أواخر الحرب الكبرى الماضية دعا والي حلب يومئذ مصطفى عبد الخالق بك قراءاً من الأعيان ونصحهم بأن ينتخبوا عشرة أشخاص ليقوموا بإدارة المصالح وحفظ الأمن فكان قسطاكي بك في عداد هؤلاء العشرة

ولما تألفت الحكومة العربية في دمشق اختارته عضواً في مجلس الشورى ثم استعفى عندما استقلت حلب عن الشام وكان الفقيه من معارضي هذا الاستقلال وبيت الحمصي في حلب من أشهر البيوتات جاهاً ومنزلة فقد كان منتدى الكبراء والعظماء من أمثال أنور وجمال ومصطفى كمال وفيصل ولما مرت ملكة رومانيا بحلب نزلت ضيفة على أسرة الحمصي

ولقد عرف الفقيه منذ حداثة بشغفه

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثامن والتسعين

- ٤١٩ سر طاقة الشمس وأدوار زيادتها ونقصها
- ٣٤٠ أثر الرياضة البدنية في تكوين الخلق : لمالي أحمد محمد حسنين باشا
- ٣٤٩ رسالة المؤرخ في عصور الاضطراب : للدكتور قسطنطين زريق
- ٣٥٩ الغيايم أو السلاحف البرية : لاسماعيل مظهر
- ٣٦٤ حلم القبلة (قصيدة) : خليل شبيب
- ٣٦٥ حقيقة التحليل النفسي : للاستاذ موكسلي : نقلها الى العربية حسن السامان
- ٣٧٢ أشواق (قصيدة) : لعبد الرحمن الحميسي
- ٣٧٣ الطب المصري القديم : للدكتور حسن كمال
- ٣٧٧ أضرار التبغ وفوائده : للدكتور اندراوس شخاشيري
- ٣٨٤ امرأة اخرى (شبه قصة مصرية) : بقلم محمود كامل المحامي
- ٣٨٩ علاج لنزف الدم يستخرج من السمك
- ٣٩١ الفن للمجتمع : للدكتور ابراهيم ناجي
- ٣٩٧ المحجر الكهربي . يكبر الاجسام ٣٠ ألف ضعف
- ٤٠٠ النظم والطرق التجارية : بقلم ر. التيمي
- ٤٠٥ سير الزمان * الموارد الطبيعية وتأثيرها في الحضارة والسياسة والحرب ١ — البيئة الطبيعية والدولة ٢ — الموارد الطبيعية ٣ — المعادن والدول الكبيرة ٤ — بين التجارة الدولية والاكتفاء ٥ — المستعمرات والموارد ٦ — الموارد الطبيعية وخطط الحرب
- ٤٢١ حديقة المقتطف * الفلاح : لالياس ابو شبكة . الأسد السجين : لمحمود أبو الوفا . كتاب من طيار لأمه
- ٤٢٥ باب المراسلة والمناظرة * الفيزيقا الحديثة المرئي وغير المرئي : لاهد فهمي ابو الخير . اسوالد شينجلر : لملي أدهم وللدكتور محمد فاضل الجمالي
- ٤٢٩ مكتبة المقتطف * تشرشل : للصيرفي . فتحات تاريخية : لمحمد عبد الغني حسن . الاخلاص : للصيرفي . أشواق . تاريخ الوزارات العراقية
- ٤٣٨ باب الاخبار العلمية * أساليب مكافحة الغواصات . التفاح وحفظ الازهار . كهربية الفم والاسنان المحشوة . أضرار التبغ وفوائده . أهم المكتشفات والمخترعات في سنة ١٩٤٠ . قسطنطين بك الجمعي